السنة الخامسة - العدد ٦٩ - صفر ١٤١١ هـ - نوفمبر ١٩٩٠م

المجلة المصرية للثقافة الجماهيرية — ملتقى الابداع العربي والثقافة المستقبلية

الـرأس والحــل والنظــام — د. يوسف إدريس

أغرب من الخيال في شرق السودان — كمال سعد

د. محمد إبراهيم التوني

شعوب في خيط دخان

حوار الشمال والجنوب

الشهر

الدكتور محمد ابراهيم الشوش

شعوب فى خيط دخان

حوار الشمال والجنوب



جوهر الصراع : اختلال عجيب وخطير فى توزيع موارد العالم وخيراته

- دول العالم الثالث أو دول عدم الانحياز .. لا تعرف أبدا فى القاموس الاقتصادى بأنهـا فقيـرة
- من الطبيعى أن يميل ميزان القلبة والسيطرة لصالح الدول المتقدمة فى النظام الاقتصادى السائد
- لماذا تصدت الدول المصدرة للنفط لحماية مواردهـا من التضخم وتقلب العمـلات . . . ؟
- الأمر ليس مجـرد تصرف إنسانى لانقـاذ مجموعة من التعساء من مستقبـل مظلـم

المناقشات التى دارت ساخنة عميقة وامتد دخانها عبر الأسابيع الأولى من الشهر الذى مضى متخذة إطارا اقتصاديا خلال الدورة الخاصة للأمم المتحدة فى نيويورك ، والاجتماع السنوى المشترك للبنك الدولى وصندوق النقد الدولى فى واشنطن ، وإطارا ثقافيا اعلاميا حادا فى دورة اليونسكو فى بلغراد ، وفى العديد من المؤتمرات واللقاءات الدولية ، تكشفت عن صراع تحددت فيه المواقف وتعرت فيه النوايا وبرزت فيه الأنياب بين عالمين مختلفين يقتسمان الحياة قسمة غير عادلة ولا متكافئة على ظهر هذا الكوكب .

ولقد كانت اللغة السائدة بينهما ـ قبل أن يفرض الواقع منطقه ـ وتنهار النظم المتاكلة الجرية فوق رؤوس المستفيدين منها والمسحوقين تحتها ـ لغة المراوغة والدبلوماسية الهدمة التى تخفى الحقائق وراء زخرفة لفظية ناعمة الملمس ، يمارسها ممثلون بمالهم محنكون ـ حين يأتى دورهم ـ حيثما تكون قاعات التعالية يرسلون نسخا منحلة منه الى الداعيات ومنتجهم بالبريد وعبر الأقمار الصناعية ، ويتبادلون الأنخاب حين يأخر المساء مع نفر من المحظوظين الآخرين ويتقبلون ابتسامات الكبار الأبوية ، ويتركون القرارات الرئيسية ، التى تتحكم فى مصائر من يمثلونهم من مستضعفى الأرض ، تمر فوق رؤوسهم من داخل حجرات مغلقة على الكبار ، قدرا محتوما وقانونا أزليا من قوانين الكون والطبيعة لا يستطيعون له دفعا ولا هم به معنيون .

لكن حديث المحافل الدولية هذه المرة كان جادا ، وكان ساخنا غاضبا يريد تقويض هذه الحجرات المغلقة على الكبار لا يريد ترميما يذر الرماد فى العيون . جاء الحديث هذه المرة بعد أن طفح الكيل وما عاد فى جراب المقهورين ما ينهب ، فيكون استكمالا لاستقلال سياسى ظل عبر عقدين من الزمان أجوف عديم المعنى والقيمة ، تالته بعد جهد أمم تعدى رقمها ـ ما شاء الله ـ المائة فى مقاعد منظمة الأمم المتحدة ، وما نعمت فيه بخير ولا سعدت بحرية . خيراتها فى يد الغير كما كانت ، ومصيرها ومواردها رهن إشارة من يحث الأصوات باسقاطهم ، والذين استشهدوا صرعى فى الشوارع ، والذين صرخوا فرحة ومغالاة وألما ، والذين تظاهروا والذين جرت دموعهم دمعا ودما والذين هللوا وبكوا يوم ارتفعت أعلام بلادهم ما وجدوا غير الجوع والفاقة والتخبط واستبدال صفوة بصفوة . يقفون فى شوارع مدن العالم الثالث وفى حقوله وفى صحرائه لا يفقهون شيئا من نصر لم يحمل لهم خيرا ولم يحقق لهم عافية ولم يكرم انسانيتهم من فاقة وسغب .

* * *

وجوهر الصراع الذى برز الى السطح فى هذه المناقشات اختلال عجيب وخطير فى توزيع موارد العالم وخيراته ، ومصادر ثرواته ، ومكامن نفوذه وسلطانه ، ومنابر أصواته المسموعة وقراراته النافذة ، بين مجموعتين من الدول . احداهما مجموعة الدول المتقدمة ـ أو التى تسمى نفسها كذلك فعلى التى تحدد وتطبق المقاييس التى تحكم التطور والتقدم ـ وهى تشمل قلة من الدول تبلغ أربعا وعشرين دولة يتمركز أغلبها فى شمال العالم وتمثل ١٨ ٪ فقط من سكان العالم ومع ذلك تستحوذ ٦٥ ٪ من مجمل الناتج المحلى للعالم ويعيش أفرادها فى بحبوحة اذ يبلغ متوسط دخل الفرد فيها أكثر من ... دولار سنويا ، وهى مجموعة متماسكة مترابطة تتحدث فى المحافل بصوت واحد يتمثل فى (منظمة التعاون الاقتصادى والتنمية) حين تضع سياساتها وتنسق خططها وتحدد أهدافها (وفى مجلس المساعدات الاقتصادية) حين تتعامل مع الآخرين ، والثانية مجموعة ضخمة من دول العالم المستضعفة المغلوبة على أمرها والتى لا وزن لها حين تتخذ القرارات ، وهى مجموعة عجز العالم أن يجد لها فى قاموس الدبلوماسية العالمية وصفا يعبر عن حقيقتها وقلة بختها ولا يثير حساسيتها ، فهى قد تكون مجموعة دول العالم الثالث أو دول عدم الانحياز ، ولكنها لا تعرّف أبدا فى القاموس الاقتصادى بأنها فقيرة ، برغم أن الفقر سمتها الرئيسية وبرغم أن الفقر ليس عيبا ـ كما يقول أهلنا الطيبون ـ فقد كانت توصف فى البداية بأنها متخلفة حين لم تكن الحساسية واردة ، وحين كان التخلف سمة محببة للمتوحش النبيل تثير حب الاستطلاع لدى علماء الانثروبولوجيا فى الغرب المتقدم ، ثم عدل هذا الوصف الى غير نامية ، ثم ترقت الى قاصرة النمو ، ثم تحسن حالها الى أقل نموا ، وأخيرا الى نامية ، اكانت كذلك أو لم تكن ، ويبلغ تعدادها حتى كتابة هذه السطور ١٢٦ دولة بالتمام والكمال ، هذا اذا لم تتفتت الى دويلات أخرى أو يبتلع بعضها بعضا أو يرتفع متقالا علم استقلال جديد . وتمثل هذه المجموعة ٧٠ ٪ من سكان العالم ينتظر أن تصل الى ٨٠ ٪ فى نهاية القرن الحالى بفضل تناسلها المتزايد وغير المنضبط ، وعلى كبر حجمها وغزارة ناسها ، لا تملك من مجمل الناتج المحلى للعالم سوى ٢٠ ٪

فقط ، والاغلب مواطنيها يعيشون فى الارياف فى حالة بائسة من الجوع والفقر والمرض لا تليق بالكرامة الانسانية . ويتحط متوسط دخل الفرد فيها الى اقل من ٣٠٠ دولار سنويا . وبعض دول هذه المنطقة ويبلغ عددها ٤٤ دولة تعيش على الكفاف وقد صنفت حديثا على انها البلاد الاكثر فقرا وتضم الجزر والبلاد الحبيسة عن البحار ، وتلك التى اهلكها التضخم العالمى وارتفاع اسعار وارداتها وافقدها قدرا كبيرا من قدرتها الشرائية الضعيفة التى كانت لها من قبل ، وعطل معدل نموها وحول مساره الى التراجع . وهى التى يمكن تسميتها البلاد المتراجعة النمو إن صح ذلك لغويا . وهذه المجموعة بخلاف مجموعة الدول المتقدمة غير متماسكة ولا تتحدث بصوت واحد وتعج بالتشققات فى داخلها وفيما بينها . وهنالك بؤر عديدة فى داخلها تتفجر صراعا وحروبا وانقلابات وعدم استقرار واهتزاز فى كياناتها الاجتماعية والسياسية .

وتستثنى من هذا التقسيم لاسباب لا مجال للخوض فيها الآن مجموعة دول ما يسمى بالمعسكر الاشتراكى وتعد ـ فى حسابات العارفين ـ من الدول المتقدمة ، ويبلغ تعدادها تسع دول تتقاسم فيما بينها ١٥ ٪ من مجموع الناتج المحلى للعالم بينما تمثل ٩ ٪ فقط من سكان العالم .

* * *

ومظاهر التفاوت الاقتصادى والسياسى والثقافى بين المجموعتين المتقدمة والنامية عديدة متنوعة تنتشر فى كل الاتجاهات ، وتتضح فى كل منابر اتخاذ القرارات ورسم السياسات وفرض الهيمنة وتحقيق المصالح الحيوية .

ففى عالم يحتقر التكنولوجيا والرفاهية وتحقيق الربح المادى حتى ولو على حساب الآخرين من معايير التقدم والتحضر والذكاء والهدف الاسمى والاكبر لكل جهود البشرية واختراعاتها عبر التاريخ ، يعيش ٩٠ ٪ من علماء العالم فى الدول المتقدمة ويمثلون الركيزة الاساسية لتراثها الحقيقى وسط تفوقها على العالم . وهى التى تبتدع النظم والتقاليد التعليمية التى تعتبر نبراسا للعالم كله ، وهى التى تحدد المقاييس العلمية وهى التى تمنح بركتها واعترافها بالعلماء والجامعات والمناهج والدرجات الاكاديمية والاجازات العلمية والجوائز التقديرية العالمية .

وفى المجال المالى هى التى تتحكم وتسيّر على هواها ولمصلحتها ووفق مزاجها الانظمة المالية والنقدية والمصرفية فى العالم برمته ، فهى مقر المصارف الكبرى الامينة ـ بارقامها العلنية والسرية ـ على اموال الجميع امما وافرادا من اى نبع غرفوا اموالهم . وبقية مصارف العالم فروع تصب فى الأصل ، وهى التى تملك وحدها ـ لا تبغى شريكا من خارجها ـ حق اتخاذ القرار والنقض فى قمة اجهزة العالم الاقتصادية والمصرفية التى تتحكم فى النظام المالى والنقدى فى العالم والذى نشأ اساسا فى حضنها كالبنك الدولى وصندوق النقد الدولى . وصوتها فى هذه المنابر ـ بغض النظر عن مساهمتها المالية او مساهمة الآخرين ـ هو الصوت الطاغى لا يرتفع صوت نشاز الى جانبه . وعملتها النقدية هى التى تشكل الاحتياطى للعالم إذ يتم التعامل بها عملة صعبة لا حدود ولا قيود على حركتها فى مجال التعامل التجارى فى العالم ، وعملات الآخرين سهلة رخوة لتسهيل التعامل الداخلى لا تتعداه او تخرج عن نطاقه .

ومجموعة الدول المتقدمة هى التى تتحكم فى حركة الافكار والمعلومات والانباء عبر الاثير وعبر الهواء وعبر البحار وعبر الارض وعبر الفضاء . فى يدها تتمركز اهم وسائل الاتصال الجماهيرية . وفى ارضها تعمل وكالات الانباء العالمية الرئيسية ذات الاثر ، ومراسلوها ينتشرون فى كل انحاء العالم فى اجواء السلم والحرب ، يصغى الناس اليهم حين تعبيهم اكاذيب اجهزتهم : تخاف ان تخبرهم بالذى هو واقع فعلا ، وليس قول الحق بممكن فى وضع غير مستقر ، والدول المتقدمة تتحكم فى كافة شبكات المواصلات السلكية واللاسلكية وحركة النقل والطيران والملاحة البحرية والتامين


ويلي برانت


إدموند ماسكي (امريكا) وفالتر جينسر (المانيا الاتحادية)

المصروفات العسكرية فى نصف يوم تكفى للقضاء نهائيا على وباء الملاريا فى العالم

وفى مجال التجارة الدولية تتحكم الدول المتقدمة عن طريق شركاتها الصناعية والتجارية العملاقة التى تبسط هيمنتها ونفوذها واحتكاراتها الخانقة عبر القارات والمحيطات ... وهى التى تحدد الطلب وهى التى ترفع وتخفض الأسعار، أمام أبوابها تقف صفوف الدول النامية تحمل مواردها من قطن وشيع وكاكاو ومطاط وسكر تبيعه بخسا نقدا مقايضة خاسرة، لأن منطق الاحتلال لا يقيس قيمة المزارع الكادح فى مزارع الجنوب بقيمة الإنسان المرفه فى مصانع الشمال.

وهناك عاملان رئيسيان أديا الى هذا التفاوت المخل وغير العادل، أولهما أن دول الشمال المتقدمة كانت للظروف تاريخية هى الأرضية التى ولدت ونمت فيها النهضة العلمية التكنولوجية الحديثة، والتى أفرزت بدورها الثورة الصناعية فكان من الطبيعى أن تكون فى وضع متميز بالنسبة لبقية دول العالم، وأن تستغل الامكانات الهائلة التى وفرتها الثورة الصناعية لتحقيق رفاهيتها ونموها وأن تحولها لمصلحتها والعامل الثانى والذى يعتبر امتداداً طبيعيا للأول هو الاستعمار، أو استغلال القوى المادية الهائلة التى فجرتها الثورة الصناعية للسيطرة على العالم واستغلال أراضيه الواسعة مركزا لجلب السلع واستنزاف المواد الخام الرخيصة الثمن لصالحه الجبارة والاستفادة من تعداد سكان الدول النامية الضخم سوقا واسعة لمنتجاته الصناعية

وكان طبيعيا أن يميل ميزان الغلبة والسيطرة والنفوذ كلية لصالح الدول المتقدمة فى النظام الاقتصادى العالمى الحالى، وما تمخض عنه ويتمخض عنه من مؤسسات دولية تتحكم فى مصائر العالم وموارده وبخاصة البنك الدولى، وصندوق النقد الدولى. فقد ولد هذا النظام فى أعقاب الحرب العالمية الثانية قبل خمسة وثلاثين عاما فى ظروف كانت «الغالبية العظمى من دول العالم الثالث ترزح تحت نير الاستعمار»

بعيدة كل البعد عن مسرح الأحداث العالمية. ولكن ليس من طبيعة الأشياء أن يستمر وضع ولد ونمى تحت ظل ظروف تاريخية واجتماعية وسياسية مضى عليها الزمن فتبدلت ولم يعد لأكثرها وجود.

لقد كان من أبرز التطورات التى حدثت مخلفة هذا النظام وراءها مهلهلا عديم الفعالية، ذلك التفاوت الذى طرأ فى النمو الاقتصادى للدول المتقدمة نفسها. ففى الوقت الذى انطلق فيه الاقتصاد الألمانى واليابانى والفرنسى، أصيب بالعقم والركود الاقتصاد البريطانى والأمريكى وهما الدولتان اللتان تتحكمان فى النظام النقدى العالمى وتمثل عملتهما الاحتياطى الرئيسى للعالم كله. ومنها أيضا تقلص الهيمنة الأمريكية الاقتصادية التى كان انشاء البنك الدولى وصندوق النقد الدولى أصلا من أبرز مظاهرها. ومنها - وقد يكون أهمها - خروج دول العالم الثالث من قبضة الاستعمار والسيطرة السياسية، ورغبتها تأكيد ذلك بتحقيق استقلالها الاقتصادى والثقافى والخروج من فلك التبعية، والسيطرة على مواردها لتحقيق رفاهية شعوبها، والمساهمة الفعالة والعادلة فى برنامج الدولى للسلع والتجارة العالمية بغرض تحقيق تنمية ورفع حالة شعوبها من درك الفقر والحاجة. ومن هذه التطورات الهامة أيضا ظهور الدول المصدرة للنفط بامكاناتها الضخمة وقدرتها الخارقة على خنق اقتصاد الدول الصناعية ووضعه تحت رحمتها، واصرارها أن تكون القيادة فى يدها لا فى يد الآخرين.

وقد احدثت هذه التطورات شرخا خطيرا فى النظام الاقتصادى العالمى أخذ يتسع بصورة واضحة. وبرغم كل الأصوات المستغيثة فى الجنوب والأصوات الواعية والمنزعجة على مصيرها فى الشمال، ظلت دول العالم المتقدم تعيش فى وهم الماضى مغمضة عينيها دافنة رأسها فى الرمال، تحاول أن تصد المحتوم بالمسكنات المؤقتة والترميمات السطحية والجدار يتقوض حتى انهار تماما..



مجموعة الدول المتقدمة

(استراليا، النمسا، بلجيكا، كندا، الدنمارك، فنلندا، فرنسا، جمهورية ألمانيا الاتحادية، اليونان، أيسلندة، أيرلندة، ايطاليا، اليابان، لوكسمبورج، هولندا، نيوزيلنده، النرويج، البرتغال، اسبانيا، السويد، سويسرا، تركيا، المملكة المتحدة، الولايات المتحدة).

(المعسكر الاشتراكى)

(ألبانيا، بلغاريا، تشيكوسلوفاكيا، جمهورية ألمانيا الديمقراطية، المجر، منغوليا، بولندا، رومانيا، الاتحاد السوفيتى).



الاهمال من جانب الدول الصناعية أدى إلى تكتل بلدان أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية

وكانت بداية الهزة التي اتلفت النظام الاقتصادي في أساسه انهيار النظام النقدي العالمي في عام ١٩٧١ وهو الذي كان ينظم الشئون النقدية العالمية . ويعرف بنظام (بريتون وودز) وهو اسم لقرية في الولايات المتحدة شهدت مولد صندوق النقد الدولي عام ١٩٤٤ . ويحدد مجموعة القواعد النقدية على قيم ثابتة يعبر عنها بالذهب والدولار . وحتى عام ١٩٧١ وبمقتضى تلك النظام كان على الدول أن تدعم قيمة عملتها بما تملك من ارصدة او تخفضها . وقد احتل مكانه حاليا نظام واه متقلب يعرف باسم (معدلات الصرف العائمة) ويقوم على أساس علاقات معدلات الصرف بين العملات التي تتقرر يوميا في الأسواق حسب قانون العرض والطلب . وقد ادى هذا الى عدم استقرار أسعار العملات مما دفع بالتجارة الدولية الى حالة بعيدة من الارتباك والفوضى وادى الى مزيد من الفقر في الدول النامية .

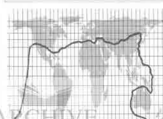
وفي اطار هذا الوضع المرتبك وغير المستقر كان لابد ان تتصدى الدول المصدرة للنفط لحماية مواردها الناضبة من التضخم العالمي الذي ادى الى تآكل ارصدتها ، ومن مخاطر تقلب العملات الذي اضر بالعائد الحقيقي لمبيعاتها . ولقد كان ارتفاع اسعار النفط بازدياد منذ عام ١٩٧٣ بمثابة القشة التي قصمت ظهر النظام الاقتصادي العالمي المائل لصالح الدول الصناعية المتقدمة . وكان ان اختلت الأسس الاقتصادية القائمة على اعتبار النفط سلعة متوفرة رخيصة الثمن على الدوام . وانقلب ميزان المدفوعات في الدول المتقدمة رأسا على عقب . وبلغ العجز التجاري فيها الوف الملايين من الدولارات . وعم الكساد وافلس عديد من المؤسسات التجارية . وركض التضخم الى نقطة لم تكن في حسبان احد . وارتفعت البطالة الى ارقام حرجة الوزن تخريبيا وارهابا ساديا عشوائيا اصبح يهدد الامن الداخلي والاسس الدستورية التي يقوم عليها نظام الحكم نفسه .

وكما هو متوقع كانت الدول النامية ـ وبخاصة المستوردة للنفط منها ـ اكثرها تعرضا للضرر والخطر . فقد زاد اجمالي الديون المعلقة على هذه البلدان الى مئات الملايين من الدولارات واصبح بعضها غارقا في الديون الى حد ان كل صادراتها في احسن احوال الحصاد لا تفي بتسديد الفوائد وحدها . وقد اصبح هذا العجز يهدد النظام المصرفي العالمي بالانهيار بعد ان شلت قدرته على منح مزيد من القروض للدول التي تحتاج اليها فعلا .

ومع توقف النمو واطلاق شيطان التكنولوجيا يلوث الارض والبحر والجو ويهدد الزرع والضرع في العالم ، يقل المزروع وتزحف الصحاري ويحصد الجوع ملايين البشر في آسيا







وافريقيا . ففي عام ١٩٧٩ الذي اطلق عليه عام الطفل مات اكثر من ١٢ مليون طفل حسب الإحصاءات المعروفة .

* * *

في هذا الوضع لم يبق من حل منطقي سوى توفير رأس مال ضخم يمنح للدول الفقيرة ، كمساعدات مباشرة صريحة ، اذا ما اريد لها الحياة والنمو ، وكذلك التخلي عن هذا النظام الأناني الجائر الذي كان من نتائجه دفع العالم الى هذا الطريق المسدود . والأمر ليس مجرد تصرف انساني لانقاذ مجموعة من التعساء من مستقبل شديد الاظلام ، بل لأن منطق الحال يؤكد انه ما من مجتمع يمكن ان يعيش منعما في عالم يعاني ويلات الفقر والجوع . فتوقف النمو في البلدان الفقيرة سيؤدي في احسن احواله الى انخفاض مريع في حركة التجارة والاستثمار والأداء الاقتصادي العالمي بصورة لن تكون ابدا في صالح اية دولة او مجموعة في العالم ، وفي اسوأ احواله سيؤدي الى تعطيل امكانيات الملايين من البشر وتحويل طاقاتهم من الانتاج المشروع الى التخريب واشاعة الفوضى والارهاب الذي يدفع بالعالم الى اتون حرب لن تبقي على ظهر الأرض غنيا او فقيرا .

هذه هي حقيقة بديهية لا تريد ان تواجهها الدول المتقدمة وبدلا عن استخدام امكاناتها لدرء الخطر عن العالم تعمد الى تقليص معوناتها الاقتصادية للدول النامية عما كانت عليه في السابق بحجة ما تعانيه من ضائقة اقتصادية ، متجاهلة ان تدهور مستوى الحياة في الدول الفقيرة سيجر اقتصادها — وهو الذي يعتمد على استقرار الدول النامية وموادها الخام واسواقها — الى الحضيض .

وبالرغم من كل الوعود التي قطعتها الدول المتقدمة على نفسها في كافة المحافل الدولية بان تخصص نصيبا معينا من ناتج دخلها القومي لمساعدة الدول الفقيرة فانها لم تفعل من ذلك شيئا ، وتبرر الدول المتقدمة هذا الشح من جانبها بالقاء مسؤولية معاناة الدول النامية على معوقات داخلية . اذ يقول وزير خارجية الولايات المتحدة في الدورة الاستثنائية للامم المتحدة : مهما بلغ مستوى المساعدات الخارجية ستظل عاملا ثانويا ، فالعوامل الرئيسية كلها داخلية كالقدرة على استغلال المصادر بصورة فعالة ، وتشجيع الابداع وروح الاختراع والمبادرة وتوزيع ثروات البلاد بصورة عادلة على قطاعات واسعة من المجتمع . وعليه فان هنالك مسئوليات يتحتم على الدول النامية نفسها ان تتحملها للقضاء على

دخل الموضوع في اللحم الحي وارتفعت قرون الاستعمار : كله إلا هذا .. ؟!



الفقر والجوع الذي يحصد أرواح الملايين من مواطنيها، وأحيانا إلقاء المسئولية على أسلوب الحياة الاجتماعية لكثير من هذه الدول التي تعطل طاقات نسائها بحرمانهن من التعليم والعمل، وتعجز عن تحديد نسلها بصورة لا يمكن معها لأية معونة أن تكون فعالة أو تترك قدراتها تقضي على ما تحصل عليه من غذاء.

ولا تكتفي الدول المتقدمة بتقليص معوناتها للدول النامية في أشد حاجتها ولكنها تذهب الى حد التضييق على هذه الدول وقفل منافذ التجارة في وجهها بحجة حماية صناعاتها في وجه ما تواجهه من كساد وبطالة.

* * *

ودول المعسكر الاشتراكي المتقدمة، برغم احتمائها بالشعارات التي أبدا ما أطعمت جائعا أو أنقذت معدما، ليست بأحسن حال من الديمقراطيات الغربية المتقدمة، بل إن سياستها الرعناء في عدد من مناطق بلدان العالم الثالث التي تدور في فلكها الى هجرات جماعية لأناس تعساء ... الرعب والخوف الى الحاجة والجوع، يدورون ... في عرض البحار يضيفون جديدا على معاناة العالم ...

... ترى تلك دول المعسكر الاشتراكي تتهرب من ... في تحمل أعباء المساعدات الخارجية للعالم الثالث بحجة أن ما تعانيه هذه الدول إن هو إلا تركة استعمارية وعلى الذين تسببوا فيها أن يتحملوا وزرها وهي حجة تثير الضحك لو كان في الأمر ما يضحك، وتفسير أحد

مجموعة الدول النامية

● أفغانستان، الجزائر، أنجولا، الارجنتين، جزر بهاما، البحرين، بنجلاديش، بربادوس، بنين، بوتان، بوليفيا، بوتسوانا، البرازيل، بورما، بوروندي، كيب فيردي (جزر الرأس الأخضر)، جمهورية أفريقيا الوسطى، تشاد، شيلي، كولومبيا، جزر القمر، الكونغو، كوستاريكا، كوبا، قبرص، كمبوتشيا الديمقراطية، جمهورية كوريا الديمقراطية الشعبية، اليمن الديمقراطية، جيبوتي، دومنيكا، جمهورية الدومنيكان، الاكوادور، مصر، السلفادور، غينيا الاستوائية، اثيوبيا، الفجي، جابون، جامبيا، غانا، جرينادا، جواتيمالا، غينيا، غينيا بيساو، جويانا، هايتي، هندوراس، الهند، اندونيسيا، ايران، العراق، ساحل العاج، جامايكا، الاردن، كينيا، الكويت، جمهورية لاوس الديمقراطية الشعبية، لبنان،



تطلق دول المعسكر الاشتراكي المتقدمة بأنهم يضحون معونتهم وفق اتفاقات ثنائية للدول التي تحتاجها ولا يضعونها تحت تصرف المؤسسات المالية العالمية حتى لا تتسرب الى أيدي الأنظمة الفاشية وجيوب المرتشين والفاسدين ، تفسير قد يثير الرضى لأنــــه يحمل بعض الحقيقة ، ولكنه تفسير غوغائي غير مقنع ، غير مقنع لأنه يتخذ ثوبا انسانيا مظهرا ويسجل تعامل الدول الاشتراكية مع دول العالم الثالث ليس ناصع البياض ، فهي تفرض في بعض الأحايين شروطا غير مقبولة على الدول النامية ، كما تبين في بعض أحوال أنها تعيد طرح منتجات دول العالم الثالث التي تحصل عليها عن طريق المقايضة في الأسواق العالمية بأسعار منخفضة لتحصل على عملات صعبة غير مكترثة لما يسببه ذلك من فساد وتخريب لاقتصاديات هذه الدول وتخلص لسلعها .

* * *

وفقدان الوازع الأخلاقي في النظام الاقتصادي العالمي الذي تتحكم فيه الدول المتقدمة ، وتوجهه نحو غايات الربح المادي دون التفات لأي موقف انساني أو أخلاقي يبرزهما هذا الاهتمام الضخم الذي تمنحه لصناعة الأسلحة الفتاكة وتطور تعتبر من أكبر منابرها وأكثرها تقدما تكنولوجيا الدول الفقيرة التي لا تجد القوت ، واستغلال ما تعانيه هذه الدول من تفكك وعدم استقرار يجعلها ساحة للنزاعات الإقليمية والسلطوية ، وبث بذور الفتنة لتشغيل مصانعها وترويج أسلحتها ، ففي الوقت الذي تبلغ فيه المخصصات العسكرية السنوية في العالم ٤٥٠ بليون دولار سنوي لا تبلغ معونات التنمية ٥ ٪ من هذا المبلغ المخصص للدمار .. وكما أشار ويلي برانت المستشار الألماني السابق في تقريره عن حوار الشمال والجنوب ، فان المصروفات العسكرية في نصف يوم تكفي للقضاء نهائيا على وباء الملاريا في العالم ، وثمن عربة مدرعة واحدة والذي يبلغ مليون دولار ، يوفر ألف فصل دراسي لثلاثين ألف طفل ، وثمن طائرة مقاتلة واحدة ويبلغ ٢٠ مليون دولار ، يوفر ما يكفي لانشاء ٤٠٠٠٠ مستوصف طبي لمعالجة المرضى في القرى .

* * *

لقد كان جليا وبخاصة على اثر نيل عدد كبير من الدول المقهورة استقلالها في ظل هذا النظام المجحـــف ، أن الوضع لا يمكن أن يستمر ، وأن الطريق الذي يؤدي اليه ، هو طريق مسدود تماما ، ليس في وجه دول العالم الثالث الناشئة وحدها ، وانما في وجه الفقراء والأغنياء على حد سواء . لكن الدول النامية لم تكن تملك الأداة أو القدرة على الضغط لتوفير الحل لمشكلاتها ورثها . ولهذا لم يكن قرعها للأجراس في الخمسينات وأوائل الستينات في نظر الدول المتقدمة ، إلا نداءات سائل يلحف كمتسول متخلف عقليا واجتماعيا يريد أن يأخذ لا عطاء ، وليس هو من الشاكرين .

ثم الاعتراف من جانب الدول الصناعية أدى الى تكتل بلدان افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية في دورة الأمم المتحدة الخاصة بالتجارة والتنمية عام ١٩٦٤ ، وهو التكتل الذي عرف فيما بعد بمجموعة الـ ٧٧ ، وحين ازداد الأمر سوءا في مجال التعاون الاقتصادي العالمي وبدأت بوادر انهيار النظام الاقتصادي العالمي وتمسك الدول المتقدمة واختلالها بما وعدت في برامج مساعداتها في أوائل السبعينات ، وانهار النظام النقدي العالمي ، وبدأ التضخم يبتلع المدخرات ويوقف عجلة التنمية ، بدأ التساؤل عما اذا كانت الإصلاحات في مجال المواد الخام والطاقة والتمويل والتنمية والتجارة وتقنين المعونات مجدية .. وما اذا كان الداء الرئيسي يكمن في هيكل الاقتصاد العالمي نفسه وينخر في عظامه . وكنتيجة لذلك ظهرت الدعوة لاقامة نظام اقتصادي دولي جديد .

ولما كانت الدعوة مبهمة غير محددة ولما كانت الدول المتقدمة قد اعتادت هذه الدعوات الخطابية التي لا تحمل في طياتها الكثير ، فقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة في عام ١٩٧٤ بالاجماع على هذه الدعوة والتي تتضمن اشارات غير محددة عن دعم التنمية وازالة المعوقات عنها وزيادة نصيب الدول النامية من الانتاج الصناعي ، وضمان القيمة الحقيقية للأرصدة المالية للدول النامية بعيدا عن التلاعب في أسواق النقد ، وتعويض الدول النامية عن تأثير التضخم الذي أفرزته اقتصاديات الدول المتقدمة واتخاذ الخطوات بواسطة المجتمع الدولي للتخفيف من الأعباء المالية الواقعة على كاهل الدول النامية بسبب ارتفاع



بتسوانا ، بوروندي ، الجماهيرية العربية الليبية ، مدغشقر ، ملاوي ، مالطا ، موريتانيا ، موريشيوس ، المكسيك ، المغرب ، موزمبيق ، نيبال ، نيكاراجوا ، النيجر ، نيجيريا ، عمان ، باكستان ، بنما ، بابوا غينيا الجديدة ، باراجواي ، بيرو ، الفلبين ، قطر ، جمهورية كوريا ، رومانيا ، رواندا ، سانت لوسيا ، ساموا ، ساو تومي وبرنسيب ، السعودية ، السنغال ، سيشل ، سيراليون ، سنغافورة ، جزر سليمان ، الصومال ، سري لانكا ، السودان ، سورينام ، سوازيلاند ، الجمهورية العربية السورية ، تايلاند ، توجو ، ترينداد وتوباجو ، تونس ، أوغندا ، اتحاد الامارات العربية ، جمهورية الكاميرون المتحدة ، جمهورية تنزانيا المتحدة ، فولتا العليا ، أوروجواي ، فنزويلا ، فيتنام ، اليمن ، يوغوسلافيا ، زائير ، زامبيا ، زيمبابوي ، مالديف ، الكويت ، مالي .

واخيـــــرا : لن يتحقق للعالم النامى استقلال سالم يواكبه إصلاح داخلى حقيقى

وارداتها من المواد المصنعة والمواد الاولية والطاقة والغذاء والخدمات والتكنولوجيا .

* * *

ولو وقف الامر عند هذا لما حدث الإشكال ذلك لانها مطالب عامة ومكررة اصبحت الدول المتقدمة ماهرة ـ من خلال خبراتها ـ فى الجدل حولها الى الابد اذا استدعى الامر ... ولكن الدول النامية تعدت ذلك الى التقدم بمقترحات عملية محددة ليست من جنس ما تعودت ان تقدم به فى السابق ، ادمها اقتراحان يتقدار كالسهم الى قلب سيطرة الدول المتقدمة ، وهما اولا : تعديل بنود اتفاقية صندوق النقد الدولى والبنك الدولى بما يتلاءم ومصالح واحتياجات الدول الفقيرة ، والثانى : ضمان مساهمة الدول النامية مساهمة فعالة ومتساوية مع الدول المتقدمة فى اتخاذ القرارات . وهكذا دخل الموضوع فى اللحم الحى ... وارتفعت قرون الاستشمار كله إلا هذا !

ان يكون الحديث عن النظام المصرفى ، وسياسة تحويل النقد ، وسياسة الذهب ، وسياسة الدولار وتجارة المعونات وازالة المعوقات امام تجارة الدول النامية واسلوب تسعير الطاقة واسلوب إعادة الانتاج الزراعى ... والحلول التى تم اتخاذها لاستثمار فوائض المال .. كل هذا مقبول وقابل للنقاش ولا اعتراض لاحد عليه . ويمكن سيرها مفاوضات كونية لمدة من يناير ٨٠ الى ما شاء الله . لكن ان تمس دول العالم الثالث بعضها وقضيضها حاقبة القديمين من كل فج بأغلبيتها الميكانيكية ، وطبيعتها اللااقتصادية واللاعلمية والتى اوصلتها الى ما هى عليه ، الى داخل حجرات البنك الدولى وصندوق النقد الدولى وتتطاول بالجلوس على مقاعده الوثيرة وتكشح العارفين بأصواتها .. فلا والف لا .. والا لم يحصهم الحل فليسلموا صندوقا خاصا بهم فى يوافق الكونغرس وكافة الاجهزة التشريعية فى العالم المتقدم على ادخال فلس واحد فى خزينة صندوق او بنك عالمى لا تتحكم فيه . ولن يتقدم بنك تجارى واحد فى البلاد المتقدمة (وكل السوق فى البلدان المتقدمة على كل حال) بالمساعدة او التمويل .

وكان هذا باختصار شديد وبدون الدخول فى التفاصيل هو سدى ولحمة مناقشات الدورة الختامية للامم المتحدة التى استمرت لمدة ثلاثة اسابيع ، والدول المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الاتحادية ترفض اى حل يتناول من قريب او بعيد موضوع تكوين هذه المؤسسات المالية او يخفف من قبضة الدول المتقدمة عليها ، وبريطانيا معذورة فى موقفها ، فوضعها فى هذه المؤسسات لا يعكس وزنها الحالى وانما جبروتها ايام كانت الشمس لا تغرب عن امبراطوريتها ، ورحم الله ايام زمان .

وهكذا انتهت الدورة بالفشل الكامل ... واصبحت المفاوضات الكونية فى العام القادم فى مهب الريح وإن هى قامت اصلا ستكون مجرد اضاعة الوقت فى عالم يموت فيه اطفال من الجوع وآخرون من التخمة ، ويتعارك فيه الجوعى حتى الموت وتدور مصانع تمدهم بالسلاح .

* * *

لكن عناصر القتال كلها متوفرة . واذا كان الصراع لنيل الاستقلال السياسى قد استغرق وقتا طويلا فلا يمتظر ان يكون تحقيق الاستقلال الاقتصادى او اقناع الدول المتقدمة بالتخلى عن فلسفتها ومصلحتها سهلا ميسورا . وادراك الهدف هو اول مراحل تحقيقه . ولقد تكشفت الرؤية للعالم النامى ... واذا كانت فى السابق لا تملك عوامل ضغط فعال وتفتقد الى الترابط ، ووحدة الهدف بينها ، فقد تحقق لها الآن بعض ذلك .. كما انها اصبحت تملك الآن من خلال النفط والامكانات المالية الجبارة التى جلبها ، قدرة لا حدود لها على الضغط ، وفرض المنطق فى عالم لا يؤمن بمنطق لا تسنده قوة . وقد اعلنت دول النفط موقفها الواضح الى جانب دول العالم النامى متضامنة معه رافضة كل المحاولات الغربية لجرها لاتفاقات ثنائية تبعد النفط بالتكنولوجيا والتصنيع ، مصرة فى كل المواقف الا تتقدم باى دعم مالى او تستغل فائضها المالى من خلال المؤسسات المالية العالمية اذا لم يكن لها فيها مصرف رأى مسموع ، والا تفاوض فى اى تنازلات حول اسعار النفط وامداداته بمعزل عن وجود نظام تفدى مستقر ، وتنازلات موازية من الدول المتقدمة تجاه الدول النامية من حيث المعونات والتسهيلات التجارية ...

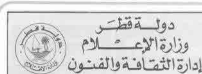
وقبل ذلك وبعد ذلك كله لن يتحقق للعالم النامى استقلال او تنمية حقيقية ما لم يتحقق اصلاح داخلى حقيقى يزيل الفساد والعفن ويخلق جوا نقيا حرا عادلا لانطلاق الشعوب القادرة باعدادها لتضخمة الى الاعتماد على النفس والشعور بالكرامة الانسانية .

د . محمد ابراهيم الشوش





العدد القادم والأعداد القادمة



يسر إدارة الثقافة والفنون بوزارة الإعلام أن تتقدم للجمهور الكريم نتاجها الأدبي والثقافي للموسم الثقافي ٧٩ / ٨٠ م :

١ - المؤسسات السياسية في دولة قطر — تأليف الأستاذ يوسف عبيدات
٢ - تراث قطر وثقافتها المعاصرة — تأليف الدكتور محمد جابر الأنصاري
٣ - ديوان ابن فرحان — الشاعر القطري المرحوم حسن الفرحان
٤ - ديوان زمان أول — الشاعر الأستاذ عبد الرحمن رفيع
٥ - الموسم الثقافي :

ويضم مجموعة من الأمسيات الشعرية والمحاضرات والندوات التي أقيمت خلال الموسم الثقافي للإدارة سنة ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م

كما قامت الإدارة بإصدار ٤ قصص للأطفال لاقت نجاحاً كبيراً وهي :

١ - قصة الغيمة السوداء .
٢ - « ثعلوب يتعرف على الأرنب
٣ - قصة الاتفاق ٤ - قصة أجمل من قوس قزح

مع تحيات
إدارة الثقافة والفنون
وزارة الإعلام

أصبحت الحرب النووية تمثل أكبر تهديد لحياة الانسان وبيئته
الأبعاد الخطيرة للحروب ظهرت بعد استخدام التكنولوجيا الحديثة

العلم وقضايا السلام والتنمية

د . محمد كامل

وصلت البلاد الصناعية الكبرى الى ما وصلت اليه من تقدم وارتفاع في مستويات المعيشة بفضل التقدم الكبير في فروع العلم والتكنولوجيا المختلفة. وفي الوقت الحالي بعد أن تخطت هذه البلاد مرحلة الثورة الصناعية ودخلت مرحلة الثورة فوق الصناعية أصبح للعلم وللمنهج العلمي وظائف جديدة تتصل بخدمة شتى شئون الحياة . ونظرا لهذه المكانة الكبيرة التي أصبحت للعلم في المجتمع ، يتعين ان تحظى قضايا ترشيد استخدام العلم والتكنولوجيا ودراسة الآثار الناجمة عن استخدامهما في الأغراض المختلفة بالاهتمام المتزايد

العلم وقضايا السلام

كان من ابرز نتائج تطبيق العلم والتكنولوجيا في الأغراض العسكرية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية ان تطورت صناعة الأسلحة تطورا كبيرا مما ادى الى نشوء اوضاع بالغة الخطورة في العالم من أهمها :

ـ التسابق الرهيب بين الدول الكبرى على انتاج مختلف انواع الأسلحة وخاصة أسلحة الدمار الشامل ، وتضاعف ميزانيات التسليح وزيادة تصدير السلاح الى دول العالم الثالث .

ـ أصبحت الحرب النووية تمثل اكبر تهديد لحياة الانسان وبيئته وقد زادت القوة التدميرية للأسلحة النووية المخزونة لدى الدول الكبرى ملايين المرات في السنوات القليلة الأخيرة .

ـ غزو [illegible] الفضاء [illegible] استخدام الفضاء الخارجي والمحطات للأغراض العسكرية .

[illegible] هذه الاخطار [illegible] [illegible] استخدام العلم [illegible] الأغراض السلمية ورفاهية البشر دون الحروب والتدمير الموضوعة [illegible]

وعلى الرغم من أن الحروب ظاهرة صاحبت المجتمعات الإنسانية منذ قديم الأزل ، الا ان اضرارها على البشرية لم تأخذ هذه الأبعاد الخطيرة الا بعد استخدام التكنولوجيا الحديثة . ولا يقتصر اثر الحروب الحديثة كما هو معروف على القضاء على الأرواح البشرية وتدمير ميادين القتال بل يتعداه الى اهدار الموارد الاجتماعية والمالية والثروات الطبيعية للدول المشتركة في القتال .

وللوصول الى قصر استخدام العلم على الاغراض السلمية لابد من بذل الجهود المضنية بواسطة الحكومات والمؤسسات الشعبية والعالمية والعلماء انفسهم . ويعود اهتمام العلماء بهذه القضية الهامة الى الثلاثينات من هذا القرن عندما تأسست في جامعة كمبردج بالمملكة المتحدة وفي فرنسا جماعتان من العلماء للدعوة الى هذه القضية والى نبذ الحروب ودراسة اسبابها والخطوات التي يتعين على العلماء اتخاذها لحفظ السلام . وبعد الحرب العالمية الثانية وما شهده العالم خلالها من دمار وخراب قويت هذه الدعوة وانتقلت الى معظم بلاد العالم المتقدم .

ومن الضروري ان تزداد مساندة العلماء لهذه القضية الهامة ، كما ان عليهم ان يفكروا في النتائج المترتبة على بحوثهم وان يضعوا لانفسهم من الضوابط والمعايير التي تمنع استغلال العلم في الاغراض التي تتعارض مع مصلحة الانسانية . ولعل ما حدث منذ سنوات قليلة من قيام بعض علماء البيولوجيا الجزيئية من وضع قواعد سلوكية لاستغلال هذا الفرع الخطير من العلم لخدمة البشرية هو علامة مضيئة في تاريخ العلم .

ان الجهود التي تقوم بها منظمات الأمم المتحدة والدول الكبرى لتحريم استخدام الأسلحة النووية والحد من انتاج الأسلحة الإستراتيجية هي خطوات هامة على هذا الطريق يجب ان تتلوها خطوات اكثر فاعلية .

إن سياسات شراء احدث الأسلحة واشدها فتكا التي تتبعها عديد من دول العالم الثالث والتي تستنزف ميزانياتها المرهقة تحتاج بلا شك الى اعادة نظر ، وجدير بهذه الدول ان توجه الأموال الطائلة التي تنفقها على التسليح الى المشروعات الإنمائية المختلفة والى بناء المؤسسات العلمية والتكنولوجية التي تساعدها على التقدم العلمي

العلم وقضايا السلام والتنمية



والتكنولوجي بما يضمن الرفاهية لشعوبها . ان ركود تجارة السلاح سوف يساعد على تقليل استثمار جهود العلماء والتكنولوجيين في البحوث العلمية والتكنولوجية الخاصة بالاسلحة وخاصة في الدول الكبرى .

العلم وقضايا التنمية

إن تقوية الهياكل والانشطة الاقتصادية في الدول النامية عن طريق نقل التكنولوجيا اصبح ضرورة ملحة للقضاء على الظروف السيئة التي تعيشها شعوب العالم الثالث . ومن الضروري ان يكون نقل التكنولوجيا الى هذه الدول موجها في المقام الاول لخدمة التنمية الاقتصادية والاجتماعية بهدف :

- ايجاد مساواة اكبر في توزيع العائد على افراد المجتمع .
- القضاء على جميع اشكال الفقر والتخلف .
- خلق مزيد من فرص العمل .
- تمكين هذه الدول من الاعتماد التدريجي على الذات .

إن الدول النامية عليها ان تتجه الى استيراد التكنولوجيات المناسبة لها وخاصة تلك التي تحتاج الى وفرة الايدي العاملة وان تبتعد ما امكن عن استيراد التكنولوجيات الباهظة الثمن التي يحتاج تشغيلها الى قلة من الفنيين ذوي المهارات العالية . كما ان عليها ان تهتم بتطوير الصناعات الصغيرة وخاصة الصناعات الريفية لايجاد مصادر اضافية للرزق في المناطق الزراعية المتخلفة مما يساعد على وقف هجرة سكان هذه المناطق الى المدن والعواصم وما يسببه ذلك من مشاكل ومآسي اجتماعية .

ومن اهم الامور التي يجدر بحكومات الدول النامية الاضطلاع بها هو تشجيع الصناعات الوطنية وتدعيمها في وجه المنافسة الاجنبية وانتاج سلع ذات مواصفات ومعايير تتناسب مع كافة الدخول والاحتياجات مع التركيز على مواجهة الاحتياجات الضرورية لاصحاب الدخول الضعيفة . كما يجدر بها ايضا ان تتبنى سياسات طويلة المدى للاعتماد على النفس .

إن الانتفاع باهم منجزات العلم والتكنولوجيا في تحسين ظروف حياة البشر في الدول النامية يقتضي بذل جهود ضخمة كما يتطلب اتخاذ عديد من التدابير العملية التي يجب على حكومات هذه الدول ان تسارع بتطبيقها ومن هذه التدابير :

- انشاء الاجهزة الوطنية للسياسات العلمية والتكنولوجية ومؤسسات البحث والتنمية ودعمها .
- توثيق الصلة بين السياسات التعليمية والعلمية والتكنولوجية لتعزيز تدريس العلوم والتكنولوجيا ولضمان تنمية علمية ذاتية ملائمة مع الاوضاع والاحتياجات الاقتصادية والاجتماعية .
- تحقيق اتزان مناسب بين التنمية الذاتية للتكنولوجيا المحلية وبين استيراد الخبرات الفنية وفقا

لاستراتيجية واضحة توفق بين تنفيذ المشروعات العاجلة وبناء القدرة العلمية والتكنولوجية للمستقبل.

- نشر الثقافة العلمية واشراك عدد متزايد من المواطنين فى تقدير اهمية العلم وضرورته الاقتصادية والحضارية بما يمكن ضمان التأييد والدعم اللازمين للتنمية العلمية والتكنولوجية الذاتية.

المشاكل الخطيرة

كما ان ترشيد استخدام العلم والتكنولوجيا فى الدول النامية جميعاً يقتضى ان تؤخذ قضايا البيئة فى الاعتبار عند تنفيذ المشروعات الانمائية. ومن المعروف ان هذه القضايا تتصل بمسالتين: الاولى مسالة الموارد الطبيعية وتنميتها وحسن ادارتها والثانية: مسالة نوعية الظروف البيئية التى يعيش فيها الانسان ويعبر عنها بصحة البيئة وابرز مشاكلها التلوث البيئى.

ولا يتسع المقام هنا لإيراد المشاكل الخطيرة التى تنجم عن عدم مراعاة الاعتبارات البيئية عند تنفيذ المشروعات الإنمائية فالأمثلة ماثلة فى جميع انحاء العالم. ويقتضى حسن ادارة الموارد الطبيعية والمحافظة على صحة البيئة: ضرورة اشراك العلماء المتخصصين فى البيئة فى تخطيط المشروعات الانمائية واهتمامهم بانتاج تكنولوجيات ومواد غير ملوثة او مدمرة للبيئة ودراسة المشاكل البيئية المختلفة وخاصة مشاكل التلوث البيئى الناتج عن تأثير الكيماويات وغيرها والمسار الذى تسلكه هذه المواد فى المحيط الحيوى حول الانسان وكذا داخل اجسام البشر.

ويجب العمل على الحفاظ على المستوى الحالى للمراكز الحضرية والريفية والاقلال ما امكن من الاسراف فى التكثيف الراسمالى للبنية الاساسية مثل بناء الطرق الرئيسية والخدمية على حساب المناطق الخضراء، واجراء البحوث العاجلة لتحديد الكثافة السكانية المرغوبة فى حالتها الادنى والقصوى، مع الاخذ فى الاعتبار الاماكن التعويضية والتصميم المعمارى والتحكم فى التلوث الناتج من وسائل النقل العام والتقليل من استخدام السيارات الخاصة كلما امكن، وكذا التحكم فى التلوث الناتج من الانشطة الإنسانية الاخرى.

الحياة الحضارية

تعتبر التكنولوجيا الحديثة احدى منجزات ما يسمى بالحضارة الغربية التى تركت بصمتها على انحاء كثيرة فى العالم وخاصة من النواحى المادية، بل والى حد ما من الناحية الفكرية ايضا. ويعتقد كثير من المفكرين انه اذا كانت حضارة الغرب متقدمة من الوجهة المادية فانها ليست كذلك من النواحى الروحية والمعنوية. وعلى البلاد النامية ذات الحضارة العريقة عند اجراء عمليات التحديث بها الافادة من التقدم العلمى والتكنولوجى بما لا يؤدى الى تغيرات اجتماعية مفاجئة فى حياة الافراد او هزات فى الاوضاع الثقافية بها. ولهذا السبب يجب بهذه الدول مراقبة الآثار الاجتماعية لكل التكنولوجيات التى تستوردها بعناية بما يخدم تقدم شعوبها.

[illegible] وسائل الاعلام الحديثة من راديو وتليفزيون وكاسيت وفيديو ذات الاثر الخطير على الرأى العام وخاصة بين اوساط الشباب يعتبر امرا جوهريا للحفاظ على تراث وقيم المجتمعات ويجب استخدام هذه الوسائل لنشر الافكار التى تتفق مع القيم الروحية والحضارات المحلية للمجتمعات المختلفة.

كما يجب على القائمين على استيراد التكنولوجيا فى الدول النامية استيراد التكنولوجيات التى تساعد على الانتاج الضرورى والبعد عن استيراد تكنولوجيات وسلع الاستهلاك الترفى التى تساعد على انتشار روح الإسراف والتبذير فيما لا طائل منه. ومن المؤسف حقا ان نرى مثل هذه السلع تغرق اسواق كثير من الدول النامية الفقيرة فى وقت تحتاج مثل هذه الدول الى استيراد ابسط الضروريات.

العلم وزيادة الإنتاج

يواجه العالم فى الوقت الحاضر نقصا متزايدا فى موارد الغذاء والمواد الخام والطاقة ومن الضرورى ان تتجه جهود العلماء والباحثين وخاصة فى الدول المتقدمة الى اعطاء مزيد من الاهتمام الى البحوث الزراعية التى تؤدى الى زيادة انتاج الغذاء وخاصة فى دول العالم الثالث الفقيرة، والى استنباط طرق مبسطة لتقليل الخسائر فى الغذاء المنتج سواء بعد الحصاد او اثناء النقل والتخزين اذ انه من المعروف ان نسبا كبيرة من المحاصيل الزراعية وغيرها تفسد اثناء هذه العمليات او نتيجة لمهاجمة الحشرات والقوارض والطيور. ان تطوير طرق الزراعة والالات الزراعية التقليدية المنتشرة فى دول العالم الثالث اصبح هو الاخر امرا هاما يستلزم اعطاءه مزيدا من الاهتمام بواسطة العلماء والتكنولوجيين فى الدول الصناعية الكبرى إذ ان الدول النامية ليس لديها القدرات العلمية والتكنولوجية لانتاج هذه التكنولوجيات المبسطة بمفردها.

إن من اهم المشاكل التى تواجه العلماء فى الفترة القادمة هو اكتشاف بدائل جديدة للخامات التى تنفد مواردها والاسراع فى انتاج الات وماكينات جديدة تكون اكثر اقتصادا فى استهلاك الطاقة، وكذلك تحسين تكنولوجيات الطاقات المتجددة كالطاقة الشمسية وطاقة الرياح وغيرها للاقلال من استهلاك البترول والفحم.

كما تزداد الحاجة الى الاهتمام ايضا باكتشاف طرق رخيصة لإعادة استخدام المواد المختلفة التى تدخل فى تركيب السلع التى يستغنى عنها كالزجاجات



والعلب الفارغة والسيارات والثلاجات والملابس القديمة وغيرها من السلع .

العادات الاستهلاكية

على أن من أهم الأمور أن تحاول جماهير المستهلكين وخاصة في الدول الصناعية الكبرى تغيير عاداتها الاستهلاكية . ويقتضي ذلك بالطبع عمل حملات اعلامية ضخمة في هذه الدول لتبصير الجماهير بأهمية ترشيد الاستهلاك . أما جماهير المستهلكين في الدول النامية فانه يجدر بها أن تقتصد وتبتعد عن شراء سلع الاستهلاك الترفي التي لا تتفق والقدرات الاقتصادية والاجتماعية لهذه الدول .

وتتطلب مجابهة كل القضايا السابقة زيادة الوعي بها بين أوساط العلماء والتكنولوجيين وفي المستويات المسئولة في الحكومات وكذا بين أوساط الرأي العام في الدول المختلفة . ان تقدم البشرية مرتبط الى حد بعيد بقدرة المجتمعات الانسانية على الاستفادة من منجزات العلم والتكنولوجيا الحديثة كما يعتمد على ترشيد وتعظيم هذه الاستفادة لخدمة قضايا الانسانية الملحة .

د. محمد كامل

الاسباب التي تفسر نمو الحضارات وانهيارها

القرآن وضح لنا علاقة الانسان بالطاقات المادية

الروح والجسد

في التصور الاسلامي

د. عماد الدين خليل

التقيت به في المؤتمر الدولي الثالث لتاريخ بلاد الشام (فلسطين) الذي انعقد في عمان في نيسان الماضي .. كان يتكلم العربية بطلاقة ممزوجة برطانة فرنسية حيث الأحرف ترد أن تتدافع من الانف بدلا من الفم !!

وشعرت كما لو انني اعرفه منذ زمن بعيد .. ولست ادري ما الذي جرنا الى موضوع (الدين) .. كان متفقا معي على ضرورة الدين القصوى لمجابهة تغول المادية الحديثة وموازنته .. ولكنه كان يختلف في إلحاحه على فكرة (روحانية) الدين وتطهره عن كل ما هو مادي جسدي على موقوت .. إن الدين .. أكد الرجل أكثر من مرة .. هو تجربة روحية صرفة .. وأية محاولة لادماجه في تيار المعطيات المادية إنما هي تشويه له وطمس على جوهره الاصيل ..

قلت له : ولكن .. كيف يتم اتصاله بالعالم ؟ كيف يتحقق الوفاق المرتجى بين النزوع المادي الأكيد في كيان الحضارة وبين وضع ضوابط ومؤشرات واهداف روحية لها كي لا تجنح وتضل الطريق ؟

أجاب : يعمل من فوق !!

قلت : دونما أن تتماس ؟

قال : إنه بمثابة شحنات كهربية هائلة وإنه الخير .. وهو يعمل من فوق .. على تغيير العالم .. تغيير الانسان بالاحرى .. وأية محاولة لادماجه في البنية المادية للوجود سوف تقود الى إحدى النتيجتين .. احتراق العالم او تسرب الطاقة الروحية وضياعها ..

قلت : ولكن لابد من الاتصال اذا ما اردنا التحقق بالخلاص المنشود ..

اجاب : كيف ؟

قلت : في التصور الاسلامي ليس ثمة ثنائية على الاطلاق .. ليس ثمة فوقية وتحتية بالمفهوم المكاني .. إن الروح تعمل في قلب الجسد .. تغير وتبدل من خلال قوانين المادة نفسها .. والمادة او الجسد .. ليسا في نهاية الأمر فطين

متناقرين او خصمين لدودين .. على العكس : انهما صديقان وودودان يمكن ، بإزالة الحواجز التى يصطنعها سوء الفهم ، او التجربة الخاطئة ، ان ننطلق بهما على خط سواء لتحقيق اعظم الاهداف ..

معطيات القرآن

واذ رأيت الصلاة المجيب ، سألته : الم تقرأ القرآن الكريم ؟

قال وهو يبتسم : مرارا !!

قلت : لا .. ليس هذا قصدى .. وإنما اردت ان اعرف اذا كنت قد تعمقت فى معطيات القرآن الفريدة ، المتميزة ، الواقعية ، فى موضوعنا هذا .. مسالة الروح والجسد .

اجاب : رغم انني بحت مقتنعا بأية محاولة تسعى لقسر الروح على ان تخضع للجسد فانني احب ان اعرف ..

قلت : ابدا .. ليس فى الامر اى قسر وانما هو التوازن والتداخل والتكامل لتمكين الانسان من التحقق بالفاعلية على الارض ، ومن ضبط هذه الفاعلية كى لا تجنح او تميل او ينحرف بها الهوى . إن القرآن الكريم مثلا قد قدم لنا - من خلال تسبيح آياته جميعا - صيغة للنشاط البشرى على الارض تتميز بالتوازن والتداخل والتكامل بين قيم الروح والمادة ، انطلاقا من تكويننا الآدمي المنبثق عن نفخة الروح فى قبضة التراب ، وحدثنا - من خلال حشود سوره ومقاطعه عن تجربة المسلم ، فردا وجماعة ، تلك التى لن تأخذ مسارها الصحيح المنسجم مع موقف الإستخلاف فى الأرض ، الا بموازنة متطلباتها الروحية والمادية على السواء .. وعن القيمة الكبيرة التى اولاها القرآن للمسألة الجسدية والمادية مما لا نلمح عشر معشاره فى معظم التجارب الدينية التى جنحت باتجاه الروح ونظرت الى الجسد او المادة نظرة احتقار واستعلاء .. فان معنى هذا ان اى خلل فى هذا التوازن الذى يؤكده القرآن سيؤول بالضرورة الى تفكك وانحلال الفرد والجماعة وتمزقهما وتشتتهما بهذا الاتجاه او ذاك .. الامر الذى يقود ولا ريب الى تأزم فى الفاعلية البشرية وبالتالى فى تدفق معطياتها الحضارية ، مما يعرض (الجماعة) لانتكاسة قاسية قد تأتى عليها من القواعد ..

الحصاد المر

واصلت حديثى قائلا : فى مقابل (حالة التوازن) هذه التى يرسمها القرآن ويدعو المؤمنين الى التشبث بها ، والتحرك وفق مقاييسها الموضوعية العادلة ، تبدو اية تجربة بشرية تجنح باتجاه المادية ، مهملة الروح ، او التشبث بالروحية مهملة المتطلبات المادية ، شذوذا وانحرافا لانها تزوير وتزييف للموقف البشرى ، وقسر لتجربة الانسان الفردية والجماعية على التشكل فيما يأباه تكوينها الاساسى القائم على التداخل والتكامل والتوازن بين قيم الروح وقيم المادة على السواء .. ولن تكون نتيجة هذا الانحراف الذى يأخذ فى الحالة الاولى اتجاها ماديا صرفا ، او علمانيا مزدوجا يفصل بين الشؤون الدين والدنيا ، ويأخذ فى الحالة الثانية اتجاها رهبانيا هروبيا يرفض الدخول فى قلب العالم لتغييره بما ينسجم ومهمة الانسان فى الارض .. لن تكون نتيجة هذا الانحراف إلا تمزيق الذات الإنسانية على المستوى الفردى والنفسى الامر الذى ينعكس على طبيعة النشاط الإجتماعى فيصيبه هو الآخر بالتمزق والتشتت والازدواج وفقدان الهدف ، والتشاؤم الاحساس السالب بالعبثية واللاجدوى وتحطم الامل بالمصير وسيادة نزعة التشاؤم والانشقاق واللاانتماء .. وهى مسائل تبلغ بتصاعدها الدورى المستمر ، درجة من الحدة يغدو معها النشاط الجماعى الحضارى الموحد مستحيلا او فى حكم المستحيل .. ثم ما تلبث الجماعة ان تجد نفسها عاجزة عن مواصلة الإبداع والانجاز ، ويؤول امرها الى التدهور والسقوط .. وهذا يقدم لنا ، على المستوى التاريخى ، احد الاسباب الكبرى التى تفسر نشوء الحضارات ونموها من جهة ، وتوقفها وتحللها وانهيارها من جهة اخرى ..



حوار حول الروح والجسد في التصور الإسلامي

الصراع .. نعم .. ولكن

وإذ يتشبث كل من هيغل وماركس بمسألة التناقض والصراع في عالمي الفكر أو المادة، كمفتاح لتفسير النشوء أو السقوط الحضاري، وبينما يبلغ تأكيد أرنولد توينبي على مسألة التحدي والاستجابة حدا يصل به إلى التزام موقف الصراع والتناقض بين الإنسان والبيئة، نجد القرآن الكريم مع اهتمامه بمسألة التناقض والصراع كمحرك للنشاط الحضاري، وتخصيصه لها المساحات الواسعة، يقف هذه المرة موقفا متميزا مستقلا مغايرا تماما للموقف الغربي عموما والذي يتعقبه هناك حتى على المستوى الفني والصحفي، فتجيء محاولات الصعود إلى القمر والكشف عن الفضاء باسم (غزو) القمر أو الفضاء، الأمر الذي يفسره بعض المفكرين بأنه امتداد للصراع القديم الذي شهدته قارة أوروبا الضيقة بين الأقوام المتصارعة ومن الأرض الشحيحة !!

غزو الفضاء

سألني وهو يرتشف كوبا من الشاي دعوته إياه : ماذا تسمي المحاولة إذن ؟ قلت : إن القرآن هنا يرسم خطا جديدا في تصويره للعلاقة بين الإنسان والعالم .. خطا يقوم على الوئام والانسجام والتكامل والوفاق والتجانس والالتحام بين الروح والمادة بين العقل والقلب، بين الأرض والسماء، بين الفعل والتأمل بين الغريزة والوجدان، بين الحضور والغياب، وبين الطبيعة وما وراءها .. وما دامت قوى الطبيعة وطاقاتها قد سخرت أساسا لخدمة الإنسان ومساعدته على الرقي الحضاري فإن العلاقة بينهما ليست بالضرورة علاقة قتال وصراع وغزو وبغضاء .. إنما علاقة انسجام وتقابل وتواصل وتعاون وتكامل وكشف وتنقيب .. إنها علاقة الخادم المطيع بالسيد القدير .. إنه في هذه الحالة لا يصطرع مع خادمه أو يستفزه أو يرفع السلاح بوجهه .. إنما (يستخدمه) بحصافة وذكاء لتأدية واجباته جميعا في أجواء تسودها علائق الطاعة والمحبة والإبداع ..

إن الصراع بين الإنسان والعالم نظرة غربية منقطعة صرفة مهما وضعت في إطار فلسفات شاملة تبدو للوهلة الأولى منطقية ومبررة، ولكننا بمجرد التوغل في دقائقها ومنحنياتها فإننا سنعثر على مفهوم الصراع الذي تبنى عليه منحنياتها ..

ويحل لهم الطيبات

ممتع و [illegible] إذا ما تصفح [illegible] على مواقف القرآن ونظر في [illegible] مسألة [illegible] فهم [illegible] [illegible] نجدها تأخذ [illegible] والتنديد [illegible] هذا هو الآية التي تتحدث بصراحة عن (الزينة) مرة بني آدم أن يلبسوها (وأين ؟ عند كل مسجد، حيث يؤدي الإنسان غاية تجربته في التجرد والانسلاخ عن زخرف الحياة الدنيا (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) تعطف ذلك دعوة صريحة - أيضا - إلى الأكل والشرب شرط ألا يبلغ ذلك حد الإسراف (كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين)، ثم ما تلبث الآية التي تليها أن تتساءل بصيغة إستنكارية واضحة (قل : من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق ؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة، كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون) .. إن المحرم والمرفوض في الإسلام هو الفاحشة، أيا كان مصدرها، الجسد أو الروح، وليس ثمة رفض أو تحريم أو احتقار موجه إلى الجسد بما أنه جسد، وإلى غرائزه وحاجاته بما أنها غرائز وحاجات تقف في طريق الروح .. إننا نقرأ في الآية الكريمة التي تلي ذلك - الارتباط بين الآيات الثلاث يحمل مغزاه الواضح - نقرأ (قل : إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن، والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون) ..

هناك آيات كثيرة تستنكر على بعض أتباع الديانات المحرفة السابقة تحريمهم الكثير من الطيبات التي أحلها الله، وما أكثر الآيات التي تدعو الإنسان إلى استغلال الطيبات دون إفراط أو تفريط .. وإلا لم كان خلق الله سبحانه لها وتفجير خيراتها وتوزيعها في أنحاء الأرض ؟ (كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه) (قل : هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا) (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا، قل آلله أذن لكم ؟) (كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء)

ويتضح من الآيتين الأخيرتين أنهما تضعان التحريم الاعتباطي جنبا إلى جنب مع الشرك بالله، وتنعى على أولئك الذين يمارسون هذا التحريف بشأن الحقائق الكونية ويحق انقسهم على السواء، قائلين إن هذا أمر لامفر منه .. إنه كما يقول القرآن هو تزوير للموقف الإنساني في الأرض، والشرك بالله هو أخطر تزوير، ومن ثم كانت الممارسة البشرية التي تعتمد التزوير مرفوضة في القرآن مهما صغر حجمها أو كبر ..

الأهداف الروحية

وإذ وجدت اهتمامه يتزايد واصلت طرح المزيد من الشواهد قائلا : إننا نجد في الآية التي تقول (فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم) أن كبت بعض جوانب الغريزة أو الحد في إشباعها .. القائم على ضرورة التنويع، يجيء بمثابة (عقاب) وليس - كما قد يتصور البعض - قاعدة من قواعد الدين .. على العكس، إن إحدى كبريات البداهات الدينية التي نتعلمها من القرآن الكريم، أن الحلال هو القاعدة العريضة في ميادين الإشباع الغريزي جميعا : طعاما وشرابا وجنسا، وأن التحريم مسألة (استثنائية) محدودة

الشواهد تدل على عمق روح الدين في المجتمعات الأوربية

دور الدين في توجيه الحياة السياسية والفكرية

الدين في العالم الغربي

د. عون الشريف

يظن كثير من الناس أن أوروبا التي قامت حضارتها الراهنة على مبدأ العلمانية، بمعنى فصل الدين عن الدولة وعن حياة المجتمع، بحيث يصبح أمراً شخصياً، قد تخلت بذلك عن دينها، وانتهجت في حياتها العامة والخاصة منهجاً مادياً إلحادياً، لا يشغل الناس فيه سوى تحسين مستواهم المادي في هذه الدنيا، دون التفات لدين، أو انتظار لآخرة. وهو ظن واهم، يحكم على الأمور بظواهرها، دون التعمق في مخبرها. إذ أننا لو تجاوزنا اللحظة للمعنى الفعلي للدين في حياة الغربيين عامة، وفهمنا الأمور بظواهرها، لاكتشفنا من الشواهد الماثلة ما يدل على عمق روح الدين في المجتمعات الأوربية. ونظرة سريعة الى الرمز القومي لكثير من الدول الغربية، وهو العلم، ترينا أن الصليب هو الرمز الذي يتكرر فيه بشكل أو بآخر، كما هو الحال مثلاً في العلم اليوناني والكندي والاسترالي والنيوزيلندي والسويسري والدنماركي والسويدي والبريطاني والنرويجي والايسلندي.

وليس هناك من ديانة في العصور الحديثة نشط مبشروها ودعاتها في أرجاء العالم مثلما نشطت المسيحية، ديانة الغرب، وقد انتشرت المسيحية في القرون الأخيرة انتشاراً فاق أضعافاً مضاعفة كل ما أحرزته من نجاح منذ قرنها الأول، وكل هذا قد تم في أسر الفترة التي انتصرت فيها العلمانية على الكنيسة منذ حوالي أربعة قرون.

الدين والحياة العامة

ويلعب الدين دوراً مهماً في توجيه الحياة السياسية في كثير من الأقطار الغربية، ويكفي أن نلاحظ [illegible] وقوة الأحزاب المسيحية في بعض هذه الأقطار، مثل المانيا وهولندا وسويسرا والنرويج وفرنسا وايطاليا والنمسا وغيرها.

وقد أجاز الكونغرس الأمريكي قبل فترة قراراً يجعل من الشعار (بالله نثق) شعاراً وطنياً.. واقترحت احدى لجان الكونغرس أن يكون الايمان بالله من شروط الالتحاق بالخدمة العامة. ورغم أن التعليم الرسمي لا يدخل في حسابه بمقتضى الدستور إلا أن الاتجاه العام في السنوات الأخيرة يميل الى العناية بالدين، كما برز في توصيات لجنة التعليم لمدينة نيويورك عام ١٩٥٥ م، التي تحث المدارس العامة الحكومية (لتشجيع الايمان بالله معترفين بالحقيقة البسيطة أن أمتنا متدينة). ورغم أن الدستور الأمريكي في جوهره كان ممثلاً للاتجاه البروتستانتي في فصل الدين عن الدولة، لأن معظم المهاجرين الى امريكا كانوا من المضطهدين دينياً، بسبب خلافاتهم الدينية البروتستانتية، إلا أن روح التدين في أوساطهم من ناحية عملية، كانت ومازالت عالية، بسبب هذا الالتزام القديم. ومن الملاحظ أن الجمعيات الكنسية والتبشيرية في طول العالم الغربي وعرضه، تشكل جهازاً من أقوى أجهزة التأثير الفكري والسياسي بما تملكه من أموال، وبما يقوم به العلماء والباحثون فيها من جهود.

ويكفي مثلاً على ذلك جريدة الكرستيان سيانس مونيتور الامريكية الواسعة الانتشار على نطاق العالم، وهي جريدة دينية تنشرها جماعة تتخذ من العلم الطبيعي سبيلاً الى تدعيم المسيحية، وتذهب الى أن المسيحية ذاتها علم وطب قائم بذاته.

باب الاجتهاد

ومن الواضح أن النهضة الأوروبية قد سبقتها ثورة دينية أعادت الى الدين فعاليته في نفوس عامة الناس. وقد كان الانقسام الكبير الذي شطر الكنيسة الى فئتين: كاثوليكية متمسكة بالمسيحية التقليدية، التي تمثلها سلطة البابا الروحية، وبروتستانتية رافضة لسلطته فاتحة لباب الاجتهاد فيما يتعلق بالمسلك الديني. كان هذا الانقسام في جوهره بداية وعي جديد، استعادت به أوروبا قدرتها على الحركة في كل الميادين بعد



ان ازالت القيود الفكرية والسياسية التى كبلتها بها الكنيسة منذ اواخر الدولة الرومانية . وقد كانت سلطة الكنيسة طاغية مهيمنة على كل حياة المجتمع ، فهى التى تضع للناس المعايير الفكرية والاجتماعية ، وما عليهم الا الطاعة والانصياع . وقد كانت الكنيسة فى هذا المجال اراء محددة مثل رأيها فى طبيعة الكون الفلكية ، الذى جاءت الكشوف العلمية مخالفة له ، فوجد العلماء مثل كوبرنكس ، وجاليليو ، الاضطهاد ، واحرق بعضهم فى محاكم التفتيش التى نصبت لمحاكمة المفكرين والعلماء . ومن اجل ذلك اتسم الخلاف الكنسى فى مجال الطبيعيات وغيره من المجالات الاجتماعية ، التى سعت الكنيسة بواسطتها للتحكم فى حياة الناس ، مثل شهادات صكوك الغفران ، التى كانت تباع للعامة باغلى الاثمان ، وهى قريبة من فكرة (ورد العتق) عند بعض المسلمين ، وان كانت تدار على اساس رسمى فى الدوائر الكنسية .

وقد كان فى نشاط الكنيسة الاقطاعى وسيطرتها على كثير من اوجه الحياة الاقتصادية ، ما يحول بين الطبقات الجديدة والتوسع فى مجال التجارة والصناعة ، ولا عجب من ثم ان رفضت الدوائر البروتستانتية ترفض كثيرا من التعاليم الاقتصادية التى كانت تنادى بها الكنيسة ، وعلى راس ذلك تحريم الربا ، فقد كان سعر الفائدة هو عصب الاقتصاد التجارى الجديد والتباع ما تنادى به الكنيسة فى هذا المجال حكم على الحركة المالية التى يسيطر عليها اليهود بالتوقف والبوار . ومن ثم ارتبطت الحركة الرأسمالية فى العالم الغربى بما يسمى بالاخلاقية البروتستانتية ، التى تشجع على جمع المال ، ومواصلة العمل لتحسين مستوى الحياة المادى مع التمسك بروح الدين . وهى اخلاقية مخالفة فى جوهرها لروح الزهد والتنسك والبعد عن الدنيا ، التى تدعو لها المسيحية فى اسلسها .

رفض الشكليات

ورغم ان الانقلاب الدينى الذى تم فى اوروبا ، كمقدمة للانقلاب الاجتماعى والفكرى فى القرن الخامس عشر الميلادى ، قد رد المسيحية الى وضعها العام فى حياة المجتمع كما فهمه اهل الغرب ، بأن تكون دينا يتصل بين الفرد وربه ، ولا يتصل فى حياة الناس العامة الا بمقدار [illegible] بين الفرد وربه . لا ان حدة الخلاف بين المختلفين قد قادت كثيرا من المجموعات المناوئة الى الثورة لا على الكنيسة فحسب ، وانما على الدين ايضا ، كما هو واضح من مظاهر الحركة العلمية الغربية التى تقوم فى كثير من جوانبها على رفض فكرة الدين ، وانكار وجود الله .

ولكن جوهر الموضوع ليس هو هذا الخلاف الجانبى بين العلماء ورجال الدين ، وانما هو كما قال المصلح الدينى ارازمس (جعل المبادىء الاخلاقية المسيحية ، كما تمثلها كلمات المسيح وحياته ذات اثر فى الحياة اليومية لدى القسيس والرجل العادى على السواء ، اذ ينبغى ان يحيا الناس فلسفة ، لا ان يضعوها موضع جدل) .

ومن المؤكد انه رغم النظرة الالحادية التى تتجلى فى جوانب الحضارة الغربية ، فان الاتجاه الجماهيرى العام كان يميل الى رفض الشكليات الدينية ، التى قتلت بها الكنيسة التقليدية روح الدين فى حياة الناس العامة ، ويسعى الى تأكيد الفضائل الفردية التى جاءت بها المسيحية ، وعلى راسها البر والاحسان والمحبة .

وهذا الاتجاه الجديد فى النظر الى الدين ، باعتباره ممارسة وسلوكا شخصيا يلتزم المرء فيه باخلاقيات محددة ، بدل النظرة الرسمية التى تجعل من الدين جهازا او مؤسسة ذات طقوس وقوانين وجيوش من الوسطاء بين الله وعباده ، هذا الاتجاه هو الذى فتح المجال امام الشخصية الاوروبية لتحيا من جديد ، مكتشفة بذلك ذاتها الضائعة فى متاهات القرون .

وقد استطاعت بهذه الاخلاقية ان تعيد تشكيل حياتها الاجتماعية والسياسية ، بعد ان اعادت ترتيب حياتها الروحية والفكرية والوجدانية ، وخرجت على العالم وهى مرتكزة على دعامة قوية من الايمان بتراثها وحضارتها . ولذلك لا عجب ان كان رجال الدين الاوربيون هم طلائع الزحف الاوروبى فى كل مكان . ولا بأس هنا من ان نقتبس مقالة جومو كنياتا رئيس كينيا الراحل فى كتابه (فى مواجهة جبل كينيا) (لقد جاءوا والانجيل فى ايديهم والارض فى ايدينا فاصبح الانجيل فى ايدينا والارض فى ايديهم) .

وقد يقول الناس ان حركة نشر المسيحية فى العالم على ايدى الاوروبيين ليست فى حقيقتها إلا جزءا من الحركة الاستعمارية ، ولا يراد بها وجه الدين .

وقد يكون الامر كذلك ، ولكن الحقيقة تبقى انه لو لم يكن للدين مكانة فى حياتهم ، لما بذلوا كل هذه الجهود فى سبيل نشره كجزء من ثقافتهم ، او كاداة من ادوات سيطرتهم .



الديـــن في العالم الغـــربي

خطر التقليد

صحيح أن التطور المادي المذهل الذي قاد به الغرب العالم لابد أن يترك آثاره القوية على الفكر الديني ، ولكن أليس ذلك هو الوضع في العالم أجمع ؟ ألا نشكو نحن ، مع اختلاف نظرتنا الى الدين ، من المشاكل التي تبعد الناس عن دينهم كل يوم ، كما يشكو علماء الدين في الغرب ؟ ولكنهم هناك يجيلون النظر في كل ما يجري في حياتهم من تطور ، ويعملون أذهانهم مجتهدين في تطوير فكرهم بما يتلاءم وتطور الحياة من حولهم . ولذلك نشهد في هذه السنوات الأخيرة بعثا دينيا جديدا في كثير من الأقطار الأوروبية والغربية عامة . وما اتجاههم نحو الديانات الشرقية عامة ، إلا محاولة لادخال عنصر التصوف والروحانية التي افتقدوها بسبب زحمة الحياة المادية .

والقول بأن أهل أوروبا والغرب عامة تخلوا عن دينهم ، فلنغفل مثلهم ، قول فيه من الخطر أكثر مما فيه من الجهل . فان نهضة أوروبا الحديثة نهضة قائمة في جوهرها على ثورة دينية سعت الى السيطرة على العالم ، لا بالآلات والأسلحة فحسب ، وإنما بالفكر والارتكاز على المقومات الروحية للشخصية الأوروبية .

د. عون الشريف قاسم

الحركة الوجـــدانيـــة هي أهم حركة تجديـــد في الشعـر العـربي

حركة الاتجـــاه العـاطفي ذات النـزعة الحسية المتـطرفة

بواكيـر الواقعيـة جاءت مع اتصال الانسـان بالقضايا الفـرديـة

حـــول جائـــزة الملك فيصـل

ما أقرب الماضي إلى الكذب !

مجيـــد طوبيـــا

كل التقاء الحضارة العربية بالحضارة الأوربية الحديثة أعنف هزة أصابت الوجدان العربي ، وذلك منذ ابتلاه الجمود والركود إبان القرون المظلمة من الحكم العثماني .. وحين التقى المماليك في مصر على صهوات خيولهم المطهمة بجنود نابليون في مدنهم ونظامهم المتطور - أواخر القرن التاسع عشر - أدركوا وأدرك العرب في مصر والشام أنهم يعيشون عهدا قد انقضى ، ويجابهون حضارة جديدة عليهم أن يواجهونها .. كانوا كأهل الكهف ، اجبروا على الانغلاق والسبات ، وعندما صحوا وجدوا الدنيا من حولهم وقد تبدلت !! .. تلك الفكرة التي بنى عليها المويلحي كتابه المعروف «حديث عيسى بن هشام» حيث يبعث أحد باشاوات القرن التاسع عشر ويهبط إلى القاهرة الجديدة عليه ويشاهد مذهولا ما طرأ من تغير على حياة الناس !!

فرحيل الحملة الفرنسية وقيام دولة محمد علي ، وكنتيجة للصدمة الحضارية ، بدأت في وقت واحد حركة إحياء لبعض ألوان التراث العربي ، وحركة اقتباس لبعض ثمار الحضارة الأوربية في كافة المجالات ، في الاجتماع والتربية والسياسة والأدب والفن .. وظهرت طبقة من المثقفين واجهت منذ البداية مرحلة الانتقال الجسيمة ، بما فيها من صراع وتناقض بين القديم الساكن والجديد المتحرك ، زاد من حدة هذا الصراع ما وقع من تسلط أجنبي ، الانجليز في مصر والعراق ، الفرنسيون

في الشام والمغرب العربي ، والايطاليون في ليبيا !!

في ظل ذلك الصراع المركب وذلك التطور سريع التغير ما كانت الواقعية لتصلح تعبيراً عن الوجدان المبلبل ، فالواقعية كمذهب إنما تأتي وليدة لمجتمع قد تجاوز مرحلة الانتقال إلى حياة شبه مستقرة .. لهذا نشأت مع بشائر القرن الحالي طائفة من الادباء بلغت حداً طيباً من الثقافة والوعي ، وتفتح وجدانها على هذا العالم الجديد بكل ما اتاحه للفرد من شعور بذاته مفقوداً أمداً طويلاً إبان قهر الحكم التركي .. فالتفت الكاتب والفنان الى وجدانه ، يرقب من خلاله عالمه المتقلب ، ويعبر عن تجاربه الفريدة ومشاعره الذاتية بأساليب متأججة بالخيال الجامح والحدة العاطفية والصور المستحدثة ، وعدل الأديب عن رصد واقع العالم الخارجي الى التعبير عن وقع هذا العالم على وجدانه هو ، مستبدلاً بالنظرة العقلية المتزنة في الأدب «الكلاسيكي» ذلك الجيشان العاطفي الذي يزخر به وجدانه ، متجاوزاً بالضرورة منطق العقل ، ومقيماً علاقات مغايرة عن طريق الخيال ، ومبتدعاً لنفسه معجماً شعرياً خاصاً في استخدام جديد لألفاظ اللغة وأساليبها يرتبط بإيحاءات نفسية ودلالات رمزية بعيدة بشكل او آخر عن أثر الموضوعي للواقع الحادث ..

هذا الاتجاه هو ما عرف عند معظم الدارسين لشعرنا العربي الحديث باسم «الحركة الرومانسية» مستعيرين هذا المصطلح الأوربي ..

د. عبد القادر القط

اكتشاف الذات

لكن الحركة الرومانسية في الأدب الغربي جاءت تعبيراً عن مرحلة حضارية انتقل فيها المجتمع الأوربي من انماط الحياة الى شكل متناقض يكاد يضع حداً حاسماً بين عصرين مختلفين قبل وبعد الانقلاب الصناعي وحروب نابليون .. بينما ظل التغير الذي طرأ على مجتمعنا العربي وقتذاك محصوراً الى حد كبير في أبناء الطبقة المتوسطة وبخاصة المثقفين منهم ، وظل ارتباط هؤلاء بالتراث ومصادر الدين ينزع بهم الى شيء من المحافظة يحد من استجابتهم التلقائية لدواعي التحول الكبير .. فتعايشت كثير من الاتجاهات الأدبية المتعارضة ، كل منها يمثل مرحلة حضارية بعينها ، وهي نفس الظاهرة التي مازلنا نلاحظها حتى يومنا هذا !! ..

ولهذا يقترح الاستاذ الدكتور عبد القادر القط تسمية [illegible] الحركة في «الاتجاه الوجداني» .. [illegible] الشاعر في [illegible] هذا الاتجاه يرقب [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] تراكيب [illegible] [illegible] الرغبة والأمل [illegible] الإرادة والقدرة [illegible] الانشداد نحو الماضي والاندفاع نحو المستقبل .. الامر الذي دفعه الى المراوحة بين إطاري القصيدة القديمة والقصيدة القائمة على نظام المقطوع ، فاستفادت القصيدة التقليدية واكتسبت مسحة عصرية ..

ولم يكن هذا ليعني ان الحركة الوجدانية حركة سلبية ، بل هي في معظمها إيجابية ، تقوم في جوهرها على رفض الفرد لما لم يستطع ان يتكيف معه من أوضاع لم تستقر بعد ، وعلى فرحة هذا الفرد باكتشاف ذاته ، تلك الذات التي ظلت ضائعة مقهورة في ظل عهود من الجهل والتخلف والظلم ..

والحركة الوجدانية بهذا تكون في مجال الشعر اكبر حركة تجديد شهدها الشعر العربي في تاريخه الطويل ، لا يمكن ان يقاس اليها تجديد العشريين ولا أصحاب الموشحات ..

الشاعرية الأولى

ليس المقصود بالذاتية ان يقتصر الشاعر على التعبير عن ذاته وعواطفه وتجاربه الخاصة وحدها - وإن كان هذا من اهم مظاهرها - بل ان يكون للشاعر كيان مستقل ونظرة متميزة للحياة والناس ، ووجدان يقظ يرصد المجتمع والطبيعة والنفس البشرية ..

وقد أتيحت للشعر حينذاك موهبة كبيرة وضعته على أول الطريق الى النهضة الحديثة ، وهي موهبة محمود سامي البارودي .. وإن سبقه بعض الشعراء الذين مهدوا له السبيل ، وعاصره آخرون في بعض أرجاء الوطن العربي لعل أبرزهم إبراهيم اليازجي (١٨٤٧ - ١٩٠٦) ومحمود سعيد حبوبي (١٨٥٠ - ١٩١٤) .

حفلت حياة البارودي منذ صباه بالأحداث والتجارب ، فخاض وهو شاب حرب كريت ، ثم حرب البلقان ، ثم قام بدوره المعروف في الثورة العرابية والذي أدى الى نفيه سبعة عشر عاماً فقد أثناءه زوجه وبعض ولده وكثيراً من أصدقائه في أرض الوطن !! ... وقد فرضت هذه التجارب والمحن على الشاعر فيه ان يرتد الى ذاته ، فيبعث في شعره من الحرارة والعواطف الممتزجة بالبصيرة الصادقة ما لا ينبع الا من التجربة والملاحظة الذاتية للنفس والحياة والناس .. وهكذا اجتمع في شعر البارودي أسلوب جديد بالنسبة الى عصره ، وتجربة صادقة افتقدها الشعر العربي في عصور التخلف ..

يقول الدكتور محمد حسين هيكل : شعر البارودي حياته ، فكل قصيدة صورة لحالة نفسية من حالاته .. وديوانه في مجموعه صورة للعصر الذي عاشه وللبيئة التي أحاطت به ، وللنهضة المتوثبة في الحياة من حوله وللثورة التي تمخضت عنها تلك النهضة ، والنكسة التي أصابت النهضة والثورة وكلتيهما..

والثورة المقصودة هنا هي بالطبع ثورة عرابي ..

وحتى العقاد الذي دأب في مطلع شبابه على مهاجمة التقليد ، يقول عن البارودي : «لا ترى في ديوان البارودي كله بيتاً واحداً إلا وهو يدل على البارودي كما عرفناه في حياته العامة والخاصة ، وهذه آية الشاعرية الأولى» .

لقد رد البارودي الى الشعر العربي عنصر الذاتية ، بعد ان كان قد فقده

ما أقرب الماضي إلى الكذب

قرونا طويلة .. لذلك يقول الدكتور القط «إن البارودي ـ رغم نزعته التقليدية الغالبة ـ يعد إرهاصا للحركة الرومانسية التي قدر لها أن تقوم بعده بستين على أساس من الذاتية والتجربة الشخصية ... على أن ذاتيته ما كان يمكن أن تكفي في صورتها السابقة لكي تمثل طبيعة التطور الحضاري الجسيم في عصره .. وكان لابد من أن تمتد حركة الإحياء عند شعراء آخرين لتصبح أكثر حداثة ..»

أما التطور في العالم العربي فلم يجر على مستوى واحد ، فقد سبق الى التجديد بعض الشعراء ممن اتصلوا مبكرا بالثقافة الغربية والعصرية . في حين كان شعراء آخرون في مراحل حياتهم الفنية المبكرة لايزالون يجتازون مرحلة الإحياء الأولى ، منهم في العراق الزهاوي والرصافي (الذي نشر ديوانه الأول عام ١٩١٠) .. وأيضا الكاظمي وإن كان قد قضى شطرا كبيرا من حياته في مصر ..

الفرق الواضح

في أواخر أيام البارودي وبعده بقليل ظهرت في أرجاء الوطن العربي كله ـ كما أسلفنا ـ طائفتان من الشعراء على طرفي نقيض .. الأولى تطلع أصحابها الى التعبير عن قضايا عصرهم بأسلوب يجمع بين الأصالة والمعاصرة ، وأصبحوا ـ على اختلاف في الدرجة والموهبة ـ يماثلون فحول الشعراء في العصور القديمة ، إذ كان عليهم أن يصوروا وقائع مجتمعهم متجاهلين ـ في الأغلب ـ تجاربهم الذاتية .. ومن بين هؤلاء أتيح للشاعر أحمد شوقي أن يصبح مرموقا على مستوى الوطن العربي كله .

وقد أسرف شوقي في تجاهل وجدانه ، وأوغل في شعر السياسة والأحداث والمناسبات حتى ارتد بوضع الشاعر الحديث الى ما كان عليه في العصر العباسي ، متطلعا الى مكانة الفحول من شعراء ذلك العصر !!...

وكان شوقي يعيش في منزله على شاطيء النيل ، ويشهد غدو الناس ورواحهم على ذلك الشاطيء ، ويرى الأشرعة البيضاء وهي تخفق .. وفي أمسيات الصيف كان يرى تألق القمر على مياهه .. ومع هذا فقد تجاهل ذلك كله في قصيدة من خير قصائده وأبعدها عن المناسبات وهي «النيل» .. وعلى عكس احساس المصريين المحدثين الذين لا يرون في النيل كائنا سحريا بل نهرا وديعا جميلا ، نجد شوقي قد التفت الى الصورة التقليدية التي تصور النهر كائنا جبارا غامضا ، فيقول :

من أي واد في القرى تتدفق
وبأي كف في المدائن تغدق ؟!
ومن السماء نزلت أم فجرت من
عليا الجنان جداولا تترقرق ؟!

بينما نجد أن [illegible] النهر يستحيل عند الشاعر الرومانسي الى رمز صوفي [illegible] والعطور [illegible] الزوارق [illegible] تلك القصيدة الشاعر محمود حسن اسماعيل بعنوان النهر :

بسكونه حياة .. ونطقه حياة
والموج فوق صدره صلاة
حين تنام الريح .. والموج يستريح
تخاله نشوان ، في الله النعسان
الداحه وضوء ، للصمت والهدوء
يمر بالحياة ، وموجه مرآة
أمواجه سجادة ، للطهر والعبادة
تجلو بها الطيور ، وتمرح العطور
وتصبح الزوارق ، كأنها حدائق

مسحورة الأغصان ، في ربوة النسيان ...

والفرق واضح بين ما استغرقته هنا التجربة الوجدانية من معجم شعري خاص وتصوير وإيقاع ، وما اتسمت به قصيدة شوقي من بيان كلاسيكي اقتضته طبيعة النظرة الموضوعية الى التجربة .

نتصافح نظما

وقد كان الشباب من دعاة التجديد يتوقعون من شوقي أن يتجاوز البارودي ، وأن يجدوا في شعره من التجارب الذاتية ما يعكس حياة الانسان في مطلع القرن العشرين .. لكنهم وجدوه ـ وقد بلغ ما بلغ من مكانة مرموقة بين شعراء الوطن العربي ـ وجدوه لا يهجر الأنماط الشعرية القديمة ، بل راح يتابع أحداث السياسة ومناسبات المجتمع ، فيمدح ويرثي ويخوض في ألوان من السياسة أملها لا تمثل اهتمامه الحق ، ويتجاوز أحداث مصر والعالم العربي كل ما يترامى اليه من كوارث العالم وصروفه !!.. لهذا كله ولغيره اتخذوه هدفا لحملتهم ضد القديم ، وجعلوا هدمه غاية لبناء الشعر على أساس جديد ... وهكذا قامت حول اديه تلك الحركة النقدية التي قصد بها أصحابها أن يهاجموا القديم في أكبر ممثل له ، وأن يلفتوا الأنظار الى ما يدعون اليه من جديد وتجديد !

يقول العقاد في تقديمه لديوان المازني مروجا للاتجاه الوجداني : «... حسب الأدب العصري من روح الاستقلال في شعرائه أنهم رفعوه من مراغة الامتهان التي عفرت جبينه زمنا ، فلن تجد اليوم شاعرا حديثا يهنيء بمولود وما نفض يده من تراب ميت .. ولن تراه يطري من





ميخائيل نعيمة — رشيد سليم الخوري — محمد علي

هو اول ذائبه فى خلواته .. ولا واقفا على المراقىء يودع الذاهب ويستقبل الآيب ، ولا متعرضا للعطاء يبيع شعره كما يبيع التاجر من بضاعته..

ولم يكن ذلك من العقاد استجابة محلية خاصة بمصر وحدها ، إذ نجد ميخائيل نعيمة، وهو فى بيئة أخرى بعيدة عن بيئة العقاد يشاركه الرأى ، ويقول ساخرا من شعر المناسبات : .... واصبحنا نتراسل نظما ونتصافح نظما ، ونستقبل اصدقاءنا نظما ونودعهم نظما ، ونهنئهم بعيد او مولود نظما .. إلى ان لم يبق فى حياتنا ما ليس منظوما سوى عواطفنا وافكارنا !!..

الألم الممتع

غير أن الدكتور شوقى ضيف يدافع عن احمد شوقى قائلا : «العقاد محق حين يزعم ان شوقى لا تتضح شخصيته فى شعره .. وشوقى ليس من الشعراء الذاتيين الانانيين ، وهو لم يتقدم بهذه الدعوى ولم يفكر فيها ابدا ، وانما هو شاعر غيرى ، ولست أدرى لماذا نحجر عليه ولا نجعل له هذا الاتجاه مذهبا اتخذه فى فنه ؟! .. إن من الظلم للشاعر ان نقيسه بمقياس لم يفكر فيه !!

والحق فإن القضية عن شوقى لم تكن قضية اختيار شخصى بين الغيرية والذاتية ، بل كانت انتماء الى تيار فنى خاص يجده بالقدر الذى يحقق توازنا بين التراث والمعاصرة ..

وموهبة عظيمة كموهبة شوقى لم تكن لتقنع بما فرضته عليها الظروف من اتجاه موضوعى ، إذ وجدت لها متنفسا فى إطار المسرحية ، فالمسرحية تفرض على الشاعر أن يتمثل عواطف شخصياته وازماتها النفسية .. وقد اختار شوقى من موضوعات التاريخ ما تنتهى فيه مصائر الأبطال إلى فواجع تثير الشاعر ، كما اختار من المآسى الفردية ما هو خالص لعواطف الحب وأشواق الانسان .. ففى مسرحية «مجنون ليلى» يلمس وترا شجيا من اوتار الرومانسية عندما يذكر «قيس» الألم الممتع .. والحق فاننا قلما نلتقى بين المراثى الكثيرة قصيدة فى جمال وشجن الأبيات القليلة التى قالها الشاعر على لسان المجنون وقد وقف على قبر ليلى :

إيليا ابو ماضي

جبران

هنا جسم ليلى ، هنا رسمها
هنا رمس ليلى فى الثرى المودع
هنا قبر ليلى الزكى الضحوك
يكاد وراء البلى يلمع !

شكوى هند

وقد عاصر شوقى شعراء من الوطن العربى ، وان تأخروا عنه فى الولادة ، خرجوا عليه على النهج الكلاسيكى من شعراء مدرسة الوصف .. لكنهم انطلقوا الى كثير من التجارب الذاتية .. وانتموا الى مدرسة الاتجاه الوجدانى .. مثل الشاعر السورى «خليل مردم» الذى بدا متخلصا من التحفظ الشديد عند شوقى ومعارضاته والذى استخدم نظام المقطوعة واكثر من القوافى المتغيرة والألفاظ الدالة على المشاعر والعواطف .. ايضا «خير الدين الزركلى» .. وكذلك الشاعر اللبنانى «وديع عقل» .

وقد نما الاتجاه العاطفى ذو النزعة الحسية المترفة على يد شاعر اصبح فيما بعد ممثلا بارزا لها وهو «بشارة الخورى» او الأخطل الصغير ، وله قصيدة «هند وأمها» تعد نموذجا مبكرا لهذا الاتجاه الذى برع فيه ، احال فيها عن طريق الحركة والتجسيم وبناء العبارة الشعرية تشبيه الثغر والوجه بالنيل الى صور بديعة جديدة .. وذلك عندما اتت هند تشكو الى أمها :

فقالت لهـا : إن هـذا الضحـى
اتانـى وقلتنـى قبلتيـن
وفـر ، فلمـا رآنـى الدجـى
حبانـى مـن شعـره خصلتيـن
ومـا خـاف يا أم ، بـل ضمنـى
والقـى علـى مبسمـى نجمتيـن

وثوب من لونه سالالا
وكحلنى منه فى المقلتين

لكل العصور

وفى كتابه الرائع «الاتجاه الوجدانى فى الشعر العربى المعاصر» يوضح لنا الأستاذ الدكتور عبد القادر القط ان هذه المحاولات المختلفة لم تكن إلا البداية لتجديد أبعد مدى وأكثر إزدهارا ونضجا قام به أعمدة الشعر الوجدانى البارزون ، من أمثال خليل مطران وعبد الرحمن شكرى والعقاد والمازنى ، واحمد زكى أبو شادى تلميذ مطران والذى قدر له ان يجمع شتات الحركة الرومانسية فى «جماعة ابولو» ... وكذلك الملاح التائه على محمود طه ومحمود حسن اسماعيل .. وايضا عند شعر الشام بالمهجر الامريكى ، الذى جاء استجابة تلقائية لبيئاتهم الجديدة مثل إيليا ابو ماضى والشاعر القروى رشيد سليم الخورى وجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة

لكن مع نهاية الحرب العالمية الثانية ، بكوارثها .. وشك الانسان فى الحضارة والعلم وفى قدرته على الحب والخير .. ومع حركات الاستقلال فى الوطن العربى والأوطان المحيطة به فى اسيا وافريقيا ،

بدا كثير من الشعراء ينفرون من الذاتية والوجدانية المسرفة فى انشغالها بقضايا فردية فظهرت بواكير الواقعية فى الشعر والقصة والرواية .. وظهر الشعر الحر لرغبة الشعراء فى الاقتراب من واقع الحياة اليومى .. وإزاء كل هذا انحسرت موجة الاتجاه الوجدانى .. فهل انتهت تماما ؟؟

يعود الدكتور القط ليؤكد فى نهاية كلامه بأن ما نشهده من عودة فى بعض فنون الأدب الى التجارب العاطفية الخالصة يوحى بأن الانسان فى ايامنا هذه قد ضاق بتعقد الحضارة ، واشتاق الى استقبال الحياة من جديد بعواطفه وخياله وذاتيته .. وعلى هذا يمكننا القول بأن موجة الوجدانية قد عادت ــ كما كانت من قبل ــ تعبيرا فرديا عن العواطف الانسانية فى الأدب والفن ، وفى كل العصور .

مجيد طوبيا

صلاح عبد الصبور



كتابان تعلمت منهما

أول الكتب انزلقت على أجنحته السحرية مفتونا بجمال اللفظ وسحر الإيقاع

كثيرا ما أعود إلى أبي العلاء عندما ينتابني الحنين إلى صوته الوادع الكسير

مشارف الخمسين

أسف أنا ، بل وحزين ، لاغتراب كتابين وذهاب زمانهما ، إذا افتقدهما بين أيدي ناشئة أدبائنا ، فلا أكاد أجد لهما ظلا أو صدى . أحد الكتابين عربي والآخر انجليزي وكلاهما يجمع بين دفتيه ذخيرة صالحة من أدب الأمتين .

أول الكتابين وأحقهما بالتقديم ، هو الكتاب المنتخب من أدب العرب ، ففيه جملة صالحة من شعر العربية ونثرها على امتداد عصورها ، وقد جمعه وشرحه طائفة من أساتذة الأدب على رأسهم طه حسين العظيم . ومن هذا الكتاب وعلى صفحاته المشرقة عرفنا في سنوات الصبا الأولى أسماء امرىء القيس والنابغة والأعشى وطرفة ، ثم اكتملت سياحتنا المباركة حتى وصلنا الى ساحة الشعراء في القرنين الرابع والخامس الهجريين من أمثال السري الرفاء وكشاجم والبستي والطغرائي وغيرهم ، ثم أطلعنا على بعض النابهين من شعراء عصور التخلف كالبهاء زهير وابن نباته . وقادنا بعد ذلك حتى طالعت عيوننا وجه الشعر العربي القديم المتجدد عند البارودي وإسماعيل صبري وشوقي .

كان الكتاب منجما مجزءا ، وكانوا يوزعونه مفرقا على طلبة المدارس عاما بعام ، في المرحلة الثانوية ، إذ لم تكن المرحلة الإعدادية قد استحدثت بعد لتكون أشبه بالجهل منها بالعلم . وكان مقطعو الصلة بالأدب من الطلاب يخلون بين الكتاب ومثواه في خزائنهم الصغيرة . أما هواة الضالون الذين فتنهم سحر اللفظ والإيقاع فقد كانوا يقلبون أوراقه ، ويقرأون فصوله ، ومن هذا الكتاب ، وعلى أجنحته السحرية كانوا ينزلقون الى عوالم هؤلاء الشعراء .

أذكر الآن بعد ما يزيد عن ثلث قرن انه كان فيه للمتنبي ، سيد القلب في تلك الزمان ، بضعة قصائد ، تعي ذاكرتي منها قصيدتان ، إحداهما من شعر صباه في مدح صعلوك أو سيد اسمه شجاع بن محمد الأزدي ...... من شجاع ؟ ومن محمد الأزدي ؟ لولا المتنبي العظيم . ؟ في القصيدة لهجة وعظ وارشاد تذكرنا بخطبة قس بن ساعدة الشهيرة ...

وهي اشبه بحديث صبي نابغة الى صبيان اغرار :

أبني أبينا ، نحن أهل منازل
أبدا غراب البين فيها ينعق
نبكي على الدنيا ، وما من معشر
جمعتهم الدنيا ، فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى
جمعوا الكنوز فما بقين ، ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه
حتى ثوى فحواه لحد ضيق
خرس إذا نودوا كأن لم يعلموا
أن الكلام لهم حلال مطلق

فالموت آت والنفوس نفائس
والمستغر بما لديه الأحمق
والمرء يأمل والحياة شهية
والشيب أوقر والشبيبة أنزق

اني لأنظر الى القصيدة الآن ، فأرى ليجتها تلك هي لهجة الشباب في كل عصر وأوان ، إذ يرتعدون بين أمل الحياة وبغير الموت ، وقد علمني العيش أن الانسان أقرب ما يكون الى الحزن في ساعة الفرح العميق .

الحياة العظيمة

واذكر أيضا أن الكتاب قد حوى ميميته الجليلة في مدح سيف الدولة حين بنى ثغر الحدث مسجلا انتصاره على الروم ، والمتنبي العظيم يبدأ القصيدة بحكمة تقريرية هي أعظم شعرا من كل شعر ، ودعك مما يقولونه عن الخيال والصور ، فهنا صياغة مجردة كالحقيقة ، سليمة محتوة مثل جلاء السموات والأرض :

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكرام المكارم
وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

ترى .. أعرفت يا سيدنا أبا الطيب أن الناس معادن ، وأن الحياة العظيمة هي إرث الرجل العظيم وامتحانه .



المتنبي





شكسبير

ماذا علمنا؟

اما ابو العلاء المعري ، فمن ذكرى مما حواه ذلك الكتاب قصيدتان ، اولاهما داليته الشجية في رثاء فقيه حنفي يبدؤها بهذا المقطع المقتبس كالسيف ، غير مجد في ملتي واعتقادي . ولقد علمنا فيها ابو العلاء العظيم كيف نمشي في الأرض رويدا حتى لا ندوس الهامة الجافية رؤوس اجدادنا المهشمة ، ولنذكر عندئذ مع شكسبير مشهد الحفار في مسرحية هاملت ، ولنقل ان جمجمة قيصر قد اصبحت سدادة لبرميل جعة .

وترد في الكتاب ايضا قصيدته البائية التي مطلعها :

علاني فان بيض الأماني

فنيت ، والزمان ليس بفان

ليس هذا مطلع يخلع القلب خلعة ؟ .

اول مسرحياتي

قادتني هذه المجموعة على امتداد صباي الى قراءة بعض شعراء العربية الكبار الذين كانت دواوينهم في طوق اليد والجيب . ولقد فتنت بالمتنبي حتى حفظت معظم شعره . بل لقد كنت كثيرا ما اجسده في خيالي رجلا يعيش بين ظهرانينا ، يبدو من القرب يحوي النبأ من هالته الروحاني . فاحادثه عندئذ ويحادثني . ولقد كانت صورته عندي هي صورة الشيخ المتنبي الكريم على نفسه وعلى الناس . فقد كنت قرأت عن ابي كبرياته ما علقني زمنا به . كان المتنبي يسمو في ظنيا عن شخص الحياة الصغيرة الا الشعر الى ملكت مختلف الحياة التي نعيشها واشهد في اول محاولاتي المسرحية كانت تنعم جوانبه في بلاط سيف الدولة ابطالها المتنبي وابو فراس وابن خالويه وسيف الدولة ، يخرج في اثنائها الشاعر مغاضبا لتتلقى به ارض تنكره الى ارض ينكرها ، وقلبه الثقيل معلق بقلعة حلب واميرها الشجاع الفذ . وتمضي السنون حتى ينقذه الموت من اشواقه المبرحة .

ولكن انى لي في ذلك الوقت ان اكتب مسرحية او شبه مسرحية ، وانا لم اشهد مسرحا في حياتي . فلم يك في مدينتنا الصغيرة من مجالس التشخيص الا داران صغيرتان الرثاثة للسينما ، تعرضان بعض الأفلام العربية التي لم تشهد صناعة السينما في تاريخها الطويل في جميع بلاد العالم ما يماثلها سوءا ، فهي افلام موجة الحرب العالمية الثانية وما بعدها ، حين نما جمهور عمال وموظفي معسكرات جيش الاحتلال ، وبسط سلطانه على ادوات الفن والتسلية . اذ كان هو اكبر مستهلكيها .

كانت هاتان الداران تقدمان لافلامهما المختلطة بعض الحلقات الامريكية التي شاعت في ذلك الزمان ، مثل حلقات «زورو» و «عودة زورو» ... او بافلام مسلسل طرزان وقردته العجيبة شيتا التي تسللت الى طولنا كتبا مقروءة قبل ان تقروها اشرطة مصورة .

الحنين الى صوته

تلك كانت علاقتي بالمسرح كمتفرج ، اما علاقتي به كممثل ، فلم تزد عن قراءة بعض مسرح شوقي وتوفيق الحكيم ، وكلاهما - فيما اظن - لا يقودان الى فهم المسرح حق الفهم ، بل لابد من تجاوزهما الى المنابع الاولى لكي تقترب من سر الكيمياء المسرحية ، او سر خلط عناصر الحكاية والشخصيات والحوار ، وصهرها في بوتقة واحدة .

وقد قادني المنتخب من ادب العرب ، ايضا ، الى قراءة ابي العلاء المعري في لزومياته .

ومن الغريب ان الطبعة التي قرأتها حينئذ هي ذاتها الطبعة التي اقتنيها الآن واعود اليها حين يتناهى الحنين الى صوت ابي العلاء الوادع الكسير . فلم اعرف فيما صدر بعد ذلك طبعة ادق منها واوثق . وهي مطبوعة في عام ١٩٢٣ هجرية ، بمعونة احد محبي العربية ، بالطبعة الجمالية بمصر ، على ورق بين الأصفر والابيض ، ودون ان يحتل غلافها اسم محقق يزعم لنفسه سبقا الى فهم النص ، ويثبت اسمه باحرف اكبر من احرف اسم صاحب الكتاب ، كما جرت العادة في هذه الأيام الغبراء .

ابو العلاء

ولعله مما يفتك ويملأ نفسك اكبارا ، كما حدث لي في تلك الايام البعيدة ، افتتاح ابي العلاء المقدمة للزومياته بقوله :

كان من سوالف الاقضية اني انشأت ابنية اوراق توخيت فيها صدق الكلمة ، ونزهتها عن الكذب والميط (الظلم) ...

فلنذكر عندئذ ان هذه الكلمة المحدثة (الصدق) التي طالما نتشدق بها كاتبنا المحدثون كان ابو العلاء هو مبدعها ، ولكن بحق ويقين ..

وحين قرأت ابا العلاء محا من فؤادي كل ما عداه ، فكانه ختم عليه الا يحل به



المعري



محمود سامي البارودي





بيرون

سواد ، وادركت انى لو عشت فى زمانه لحرصت على ان اكون احد تلاميذه او خدامه ، اقرب اليه طعامه ، واقوده فى مشيته ، واميط الاذى عن ثوبه ، ولعلى اجنى لقاء ذلك علما لو ادبا او خلقا .

وتمر الايام من بعد ، وندرك ان الطريق الذى اختاره ابو العلاء شاعرا وانسانا اكبر من العتمة التى حفها الزمان ، وانظف من عصرنا الذى تملؤه الكذب الشائع فى الابواق ، فلنقسم ادراك محنته دون ان نكلف انفسنا التاسى بعد .

ومجمل القول هو انه لو لم يكن لهذا الكتاب النفيس من فضل سوى انه قاد شداة الشعر الى علم الاسلاف العظيم لكان هذا سببا كافيا لبقائه بين ايدى طلاب المدارس ، ولكن يد العبث التى عبثت بالتعليم كله محت من المدارس هذا الكتاب فيما محت من علم وخلق ، ووضعت بين ايدى التلاميذ اسوا النماذج من شعر معلمى المدارس ومفتشيها ، واكثر النماذج ركاكة من نثر متصدرى الساحة واشباه الساسة ... ولله الامر من قبل ومن بعد .

الذخيرة الذهبية

ولقد كنا فى ذلك الزمن القديم نلمح بعض الشعر المترجم عن الانجليزية والفرنسية يتناثر فى اعمدة الصحف والمجلات ، فمن ذلك ترجمة قصيدة «مرثية فى مقبرة ريفية» لتوماس جراى ، وقصيدة «الى الوقواق» لوردزورث وقصيدة «الى وعاء اغريقى» لكيتس ، وقصيدة «اغنية الى الرياح الغربية» ، وقصيدة «الى قبرة» لشللى العظيم ، فضلا عن بعض قصائد للامارتين وفاليرى من الفرنسيين .

وكان بعض الادباء الهواة الاول الخامعة يحكمون احيانا على ترجمة ... لبعض الاعمال الشعرية ، اذ ترجم لويس عوض «رومثيوس طليقا» لشللى ، والحق بها المسرحية المطولة ... التى كتبها فى رثاء جون كيتس ، كما ترجم عبد الرحمن بدوى ... فاوست للجوته .

ولقد انفتحت لدى المكتبة الادبية اذ بعضها عميقة الثمن التى ... ما يزيد عن ذلك القدر الضئيل من شعر سوانا من الاقوام ، ووجدنا بين ايدينا كتابا من مختارات شعر اللغة الانجليزية كانوا يوزعونه فى الجيل الذى سبقنا على طلاب المدارس ، فادركنا نسخا مستعملة منه على سور الازبكية حيث تباع الكتب القديمة ، واشتريناها بقروشنا الضئيلة .

كان ذلك الكتاب هو كتاب «الذخيرة الذهبية» الذى جمعه ف . ت بالجريف فى اواخر القرن التاسع عشر ، عصر غلبة الذوق الرومانتيكى ، قبل ان يثور الشعر الانجليزى على نفسه ، وتمتد اليه مغامرات التصويريين او تجريب «اليوت» ، وكان اخر الاصوات العظيمة فيه هو صوت اليرابيث وروبرت براوننج

الحصيلة الشعرية

كنت اقرا مستعينا بالقاموس ، ومازالت نسختى القديمة من قاموس «الياس» تصاحبنى منذ خمسة وثلاثين عاما ، امد اليها يدى بكل الحب القديم رغم جوارها فى مكتبتى لمورد البعلبكى وقاموس النهضة لاسماعيل مظهر .

عرفت من قراءتى فى ذلك الزمان للمنتخب من شعر الانجليز ، او الذخيرة الذهبية ، صورة الشعر الانجليزى منذ بدايته فى عصر تشوسر حتى القرن التاسع عشر ، ولا ازعم اننى عرفت الصورة بدقائقها وتفاصيلها ، فما الى ذلك من سبيل ، وانا لا ادعى لنفسى معرفة وثيقة إلا بالادب العربية ، ولكنى عرفت الصورة التى قد تصلح لشاعر اجنبى عن هذه اللغة ، يريد ان يدرك ابعاد الحساسية الشعرية فى هذا الادب ، قرات بعض سونيتات شكسبير لأعرف منها الشكل الفنى للسونيتة ، وعالمها الاثير ، واحببت عالم كولردج الذى تمتزج فيه الفلسفة والشعر والوهم ، واظن ان قصيدته «الملاح القديم» ستظل من احب قصائد الشعر الى نفسى ، كما احببت لشللى ، شجرة الورد الحساسة النقية ، اما بليك فقد اكتشفته فيما بعد ، إذ ان بالجريف لم يلمه بكل شاعريته الجموح .

الزمن المفقود

هذا انا بعد ثلاثين من السنين اجدنى تشبث القلب بين عالمين ، يدركنى الملال فى بعض الليالى ، فامد يدى الى ديوان من دواوين شعرنا القديم ، اتامل الصنعة الذكية عند بعضهم ، او الالهام العميق عند الخين ، او امد يدى الى مجموعة من شعر سوانا من الشعراء ، الانجليز او غيرهم من امم الارض مترجما الى لغة اعرفها ، فاتامل عندئذ امتزاج الصنعة والالهام كما تمتزج الكاس الشفافة برحيقها .

واذكر عندئذ ان كتابين عظيمين قد فتحا لى هذه الكوة المضيئة «المنتخب من ادب العرب» لطه حسين ورفاقه و «المنتخب من شعر الانجليز» المشهور بالذخيرة الذهبية لبالجريف ... اذكرهما وتنهمر ذكريات الزمن المفقود امام عينى الكليلتين .

صلاح عبد الصبور

شهيات





د. يوسف إدريس

الرأس والحل والنظام

اكتب لانى اريد فعلا ان اكتب . مرة اخرى احتشد ويتنقل ما بالرأس الى الاصابع والانامل ويستحيل (الشخبطات) الى اشياء مجسدة لها معنى . اهى لعنة؟ اهى نقمة ؟ اهى نعمة ؟ اهو قدر يحيط عنقى بطوق من حديد لا يعرف حداد فى العالم كيف يحطمه ؟ فاظل انا او مقود مغمض العينين غير مطلق السراح الى أبد محدد لم يستشرنى احد ابدا فى نوعه او اتجاهه او تحديده .

وقف فى المنتصف رافضا ان يتحرك خطوة حتى يعرف الى اين ، حتى يعرف لماذا ؟ حتى يرى ان كان هناك مجال للرؤيا حتى ببصر ، ولو بالبصيرة ببعده .

اكتب .

قال : ما انا بكاتب .

اكتب .

قال : ما انا بكاتب .

لا تتمرد .

قال ما انا بمتمرد ، ان هو إلا سؤال .

السؤال ايضا تمرد .

قال : حين يصبح السؤال تمردا تصبح الكتابة معصية وخطأ لا يغفر .

سم واكتب .

قال : بسم الله الرحمن الرحيم ، تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شىء قدير ، وسكت .

إقرأ .

قال : ما انا بقارىء .

إقرأ .

قال : ما انا بقارىء .

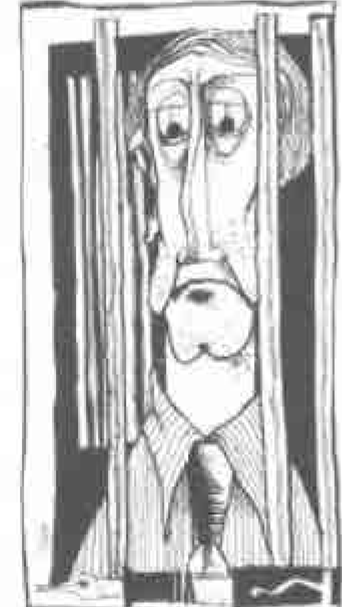
- إقرأ بسم ربك الذى خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الاكرم . الذى علم بالقلم . علم الانسان ما لم يعلم .

قال : صدق الله العظيم . الكتابة امانة . وقد عرضت الامانة على الارض والسماء فابين ان يحملنها وحملها الانسان . ما اتعسه ، وما اخطرها من امانة .

• •

ولكننى فعلا مشتاق ان اكتب . مثلما انت تشتاق ان تأكل او تشرب او تهفو بجنون الى اخذ النفس اذا غطست فى الماء وعاندت نفسك واردت ان تظل اطول الوقت مكتوم الانفاس تحت الماء . ما احلى ان ترفع الرأس المختنق فجأة وتدخل صدرك أول شهقة هواء .

شهور ثلاثة والقارىء الكاتب مشتاق للقارىء القارىء ، وكل شىء يحول بينهما الى حد ان لا شىء سيحول بينهما . الثانى ما عليه إلا ان يقرأ . الأول مشكلته ان عليه اولا ان يكتب ، وان يكتب لا ليرى للناس صورته الشمسة المنقوشة ، او



يقول للعالم : انا هنا . او من اجل ان يطالع القارىء كل يوم ، كل يوم ــ يا الهى ــ بكلام ، اى كلام . لا . لابد ان يكتب ليضىء شمعة ، ليسوق للناس كلمة طيبة ، ليضع شيئا يستحق عناء ان يمسك المواطن بالصحيفة ليفتش فيها عن شىء نافع او دواء ناجع .

الحقيقة ان اسهل شىء فى الدنيا ــ كما ترون .. ان يكتب الانسان .

واصعب شىء فى الدنيا كما لابد تعرفون . ان يكتب الانسان .

وبلادنا ووطننا الصغير والكبير ، ومواطننا كبر او صغر يمر بمرحلة تدور لها الرؤوس ولو كانت مصنوعة من حديد .

وانت ككاتب ليس مفروضا ان تكتب لتشكو مما يشكو منه الناس ويعرفونه ربما اعمق منك .

وليس مفروضا ان تكتب لتحاصر العينين بمشاكلك بحيث لا يعود الانسان يعرف من اين والى اين ؟ .

انت لا تكتب لانك تفكر . وليس اى فكر او اى تفكير . نعنى ذلك النوع الذى يسمونه الفكر المضىء او الفكر القائد .

الفكر الذى وجد الحل ويراه ، واضحا وضوح الشمس ، بحيث ما عليه إلا ان يقنع الناس به .

فاذا لم يكن الحل عندك ــ

واذا كانت الامور قد استغلقت وتعقدت ، بحيث ، حتى لو كنت تملك ذلك المفتاح الواحد السحرى الفعال ــ كلمتك ــ لم تعد قادرة على فتح ما استغلق ، او فقدت ما بها من سحر .

الحل إذن ان تسكت .. !

ولكن الكارثة ان السكوت ليس هو الحل ، فلا بد ستظل تبحث ان تظل تفكر فانت عضو تفكير ، اذا تعطل الشر ، واذا توقف استحق البتر .

• •

أسهل شيء في الدنيا - كما ترون - أن يكتب الإنسان ؟ لماذا فرطنا في أشياء عزيزة وغالية كنا نسميها قيما ؟

ايكفي هذا ايعذرني القارىء في الشارع في العمل في البحر والبر وكل مكان . الذي يسأل : لماذا لا تكتب . واين انت . وهل انت ممنوع او مصادر ؟

ايكفي ما سبق وذكرته إجابة تشفي الغليل ..!

لا اعتقد .

فانا شخصيا غير مقتنع .

لابد ان هناك شيئا اكبر واخطر واشمل هو الذي يخيم علينا جميعا ولا يكفي قلم واحد . بل لا تكفي كل الاقلام مجتمعة ان تقنعنا بوجوده او بعدم وجوده . فحنانيكم ارجوكم . اذا لم اكن عند كل حسن ظنكم فلا تسيئوا بي الظن . واذا كنت عند بعض حسن ظنكم فلا تعتقدوا ان هذا – في وقتنا ذاك – شيء مهين .

يا صديقي المواطن . بطل والله انت . واي بطل .

ليست البطولة ان تجيد التصويب وتذهب الى ساحة الوغى او عند الكمين وتقتل اول عدو تصادفه .

هذا في رأيي هي البطولة الصغرى .

البطولة الكبرى حتى ليس ان تعبر المانش او تجيد سباحة المسافات الطويلة . البطولة الكبرى ان تعرق انت البحر .

وبلادنا في مرحلتنا هذه بحر عالي الامواج صاخبها .

بحر وكانما يريد ان يبتلع الناس والزرع والاشياء وكل ما على سطح الارض .

ولكنا . بوجودنا هذا الذي يبدو فوضويا وبلا معنى وشديد البشاعة . نصنع المعجزة نغرق البحر فعلا .

لا ... نحن لا نغرق .

نحن نغرق (بضم النون) .

تجرح اجسادنا وتغرق ثيابنا ويصيب الرشاش كرامتنا . ونفرط في اشياء عزيزة وغالية كنا نسميها قيما .

ولكنه كفاح (البطل) . ابعبش . ابغرق الحفر والبرك والمستنقعات والبحور . بطل انت يا مواطني العزيز . وانت تخرب ما اصلحه الدهر بطل . وانت تصلح ما خربه الدهر بطل . وانت على اي الحالين لازلت تعيش بطلا .

ولا اقول هذا نفاقا لك او تعزية ..

فانت في غنى عن النفاق لانك في لحظة تحدد الحياة والموت . وفي غنى عن التعازي لانك تعرف ان المعزين هم المنافقون الشامتون او الذين يريدون السير وراء نعشك .

مثلك انا تماما انك تفهمني .

برغم اني اتكلم . وكانما (بالالوندي) ولكني مثلك انك تفهمني .

فانا . بفوضتك . افهمك .

بكل منا وقد راح يخترع لنفسه قانون وجود . افهمك . بل ويمتنع عن ملايين القوانين . وبا للغرابة . فقانون واحد يحكمني ويحكمك وكلانا عليه متفق .

وانا مثلك لم امت .

وانت مثلي لا تعيش كما تريد وكما يجب .

وانا وانت البطل .

● ●

يخيل إلي ان ما من شعب عاش على سطح الارض ومر بما مررنا به من تجارب وازمات .

خذ عصر المماليك او عصر البطالسة . خذ اي عصر ...

واقرأ كيف جوزناه واجتزناه ولازلنا بقين وسنظل الى ما شاء الله نبقى .

انا هذه المرة لا اكتب لاشرح وضعا سياسيا استعصى علي او علينا فهمه . ولا لاثير مشكلة او اثور على مشكلة .

انا في الحقيقة اكتب لاونس نفسي .

واونس من يريد الونسة معي .

اكتب كما اريد ان يكتب لي واحس به طبطبة حنان صادقة . تخفف عني . تشجعني . تحمسني . تنشقني جرعة اكسجين ارى بها المستقبل لي او على الاقل انفتحت ابوابه امامي .

ومادامت العبرة بالنوايا . فليحاسبني الله سبحانه على نيتي . او فليغفرها لي فما اكثر ما تكون النوايا الحسنة ذنوبا على الطريق .

● ●

بالامس سألتني ابنتي الاكبر (ايه) النظام ؟ والتعبير احد تقليعات المرحلة ويعني شيئا اكثر دقة من قولك : ماذا سيحدث ؟

وكانما فوجئت بالسؤال . فقد اضطربت .

وكان السؤال ليس همي صباح ومساء قلت : ان يكون هناك نظام .

ولكني ايضا وانا اقولها كنت افعل وكاني اعتذر او اقول : يا بنتي لست ادري .

وامس . سألت ابنتي ذات السنوات الخمس : ما هو الحل يا نسمة ؟

قالت الشقية وهي تحاورني : حل (ايه) .

قلت : يعني الحل . اي حل ...؟

قالت بثبات : الحل يبقى حل مسالة انت (مش) عارف المسألة (وعايز) تعرف الحل (ايه التخبطة دي) ... ؟

شكرا يا نسمة . فعلا لكي نعرف ما هو الحل لابد ان نعرف ماذا نريد حله .

او بالتعبير الرياضي يا نسمة لابد ان نعرف (راس) المسألة . لكي يا عزيزتي وحبيبتي نحلها .

فاذا لم نكن نعرف الراس ولا المسألة ومع هذا فنحن نحلها ومالشون في حلها . وبطولة نفعل . ونوجد . ونكتب . الا يعد هذا ما يشبه المعجزة ؟!

بل المعجزة الاكبر والتي لم تحدث ابدا في التاريخ ولكنا لابد ان نحدثها هي ان نعرف من خلال حلنا لمسألة لا نعرفها . راس المسألة .

اجل يا بني ويا ابنتي حينذاك فقط نعرف ما هو النظام وما هو الاصل .

انه لا تفهمني . ولا تفهموني ولكن يكفي احساسكم بي واحساسي بكم .

د . يوسف ادريس



الشاعر عبد الرحمن صدقى

عاشق الحياة الأول

أحس بالحياة تهتز فى فؤاده .. فتغنى بها فى شعره

عندما أصبحت نافذته التى يطل بها على العالم بعد المعاش

عشق الحياة فتأملها .. رآها فى أرجاء الدنيا تموج وتتحرك فرحل وراءها .. قرأ عنها فأدركها .. وكتب عنها فأجاد .. وأحس بها تهتز فى فؤاده وتترنم فتغنى بها فى شعره .. ولكنه رغم ذلك لم ينس الموت منذ وفاة والده ... منذ ذلك اليوم؛ لا يطمئن إلى الحياة .. ولا يثق فى الرجاء .. لم يتمن الموت ، ولكنه لم يفزع منه .. بل إن الموت بعد ذلك كان محركه الأول لعشق الحياة وقول الشعر أيضا .

هذا هو الشاعر عبد الرحمن صدقى .. الذى من معرفتى به تأكدت أنه من شدة حبه للحياة .. قبلها بنهايتها .. قبلها بإقتناع خفى بأن الموت بعد حياة .. فرغب لنفسه أن تكون الحياة العاقلة استمرارا للحياة المتوقعة .. فأسلم نفسه لشيطان الحب فاتصل فيه اللانهائى باللانهائى فى نشوة العشق الإلهى .. وصارت حياته عشقا فى عشق .

وقبل أن أرسم شخصية صاحب هذه الفلسفة – بين قطبى الحياة والموت – أعود إلى بداية معرفتى بها ، والتى تحولت من الطفولة والمراقبة إلى الاكتمال والتعرف المباشر .. فقد كان وأغلب أفراد أسرته وفيهم الدكتور عبد الرزاق صدقى وزير الزراعة السابق ، جيرانا لنا منذ طفولتى بجزيرة الروضة .. عندما وعيت كنت أرى صوره فى المجلات والجرائد وعندما أراقبه من شرفة منزلى المطل على منزلهم بشارع الإخشيد .. كنت أرسم له فى خيالى ألف صورة وصورة .. ومرت الأيام والسنون فإذا بى أراه ماثلا أمام عينى كأستاذ محاضر فى معهد الفنون المسرحية .. وكان قد ترك مسكنه فى الروضة من زمن ليمتلك مع زوجته الإيطالية الثانية بيتا صغيرا بحى مصر الجديدة ..

وكنا بين المحاضرات نتجاذب أطراف الحديث أحكى له عن ذكرياتى عنه وأستفسر ويحكى لى .. فنشأت الصداقة .. ولكنها تتوطد حين أتخرج وأعمل بالتليفزيون وهو مستشاره الفنى .. ويحال إلى المعاش فيدعونى لزيارته .. فأصبح نافذته على العالم الذى يطل من خلالها على العالم .

من خلال هذه المراحل المتعاقبة .. أزعم أننى أستطيع تصوير هذه الشخصية الأدبية التى قالت عن نفسها لقد عشت أديبا ومت أديبا . وقال عنها العقاد : إنه من أسلم نفسه إلى شيطان الذوق الفنى غير مدافع .. وإنه هو الشيطان الذى يلمح مسارب الفطنة الجميلة بين المعانى والألفاظ .. ولا ينتظر عليها حتى تفيض ملبيين وتنتشر بالشعاع الثاقب من كلتا العينين .

فهذه الفطنة الخفية فى الصوفية الفنية التى انتهت إلى عبادة الجمال ورياضة القلب على جوار قريب من رياضة الروح.

أروع عمل

وإذا كانت معرفتى بالرجل منذ الطفولة إلى الاكتمال قد عرفتنى كثيرا من جوانب شخصيته تجاه الحياة .. إلا أن زيارتى له فى بيته وهو محال على المعاش قد جلت هذه الشخصية وأضاءتها أكثر مما عرفتها من قبل .. فقد انقطع عنه الصحب – فى هذه الأوقات – الذين كانوا فى الواقع يصاحبون مقعده وليس منزلته .. فتبدى أمامى على حقيقته الجميلة دون مواربة أو قيد .. تعرفت فيه الوحيد المتوحد بغير سخط أو تمرد .. فها هو يهش لكل زائر – محتفيا بكل عابر يرجع ذلك إلى أن إيمان هذا الرجل متوافق مع فلسفته الهادئة .. لذلك يمتد له العزاء بألف جسر وجسر – تتوارد على ذهنه رجع صفحات من الماضى البعيد والقريب ، من غير توقيت ولا ترتيب .. إنها صفحات عامرة لقد أحب كثيرا وبلى الحب العاطفى العميق على مختلف ألوانه وتملى طعومه فيذكر لى حبيباته الواحدة بعد الواحدة .. ثم يشرح لى كيف تتعاطف الإنجليزية واليابانية والأمريكية والأفريقية .. ثم يستطرد وهل فى الحياة أمتع من الحب المتعة فى أن تكون محبا ، والمتعة فى أن تكون محبوبا – والمتعة فى الحب نفسه بفطرته ومعناه وجوده .. هذا هو الحب

المثلث الرحمات .

وكثيراً ما كان يسألني هل تعرفين يا عايدة ما هو أروع عمل قمت به في حياتي واستفهم فيقول : إنه عدم الإنجاب .. إنني الآن حر طليق استيقظ في الوقت الذي يحلو لي - أدور حول حديقتي الصغيرة صباحاً .. أستنشق الهواء الذي لم يشمه أحد من قبلي ، أرنو إلى البراعم وهي تتفتح .. أداعب كلابي .. أقرأ .. أتأمل - دون انشغال على ولد نجح أو رسب - سافر أم بقي - تزوج أم طلق .. إنها الجنة على الأرض حقاً .

والحق أن هذه التيجان الفارغة ، التي كان يصنعها من الذهب الخالص ليتوج به عدم الإنجاب .. كانت في الواقع محض تعزيه .. تتناقض عما كان يحس به في أعماقه .. ذلك أنه عندما عقد صداقتي معه بمكتبته التي صحبته رحلة حياته الفنية بالفن والإبداع يوماً بيوم - من الشرق والإسلام في شعر جوته ، «بودلير الشاعر الرجيم» ، «أبو نواس» ، «الخل الخل» ، «ألوان من الحب في الأساطير والحب العذري» ، «من أعلام الأدب الأوربي» ، «قصص القوميات» ترجم .. «من وحي المرأة» ديوان «حواء والشاعر» ديوان .. ها هو يطوف بي في أرجاء هذه المكتبة ركناً بعد ركن يفضي إلي بخلاصة تجاربه في لحظات .. فعند ركن ترجمات القرآن الكريم بكل اللغات .. أسمعه يقول : إن أحسن ترجمة وضعت للكتاب المنزل على خاتم الأنبياء هي ترجمة مولانا محمد علي الباكستاني ..

وكثيراً ما وقف بي وسط المعاجم .. مئات من المعاجم بالإنجليزية والفرنسية والإيطالية .. كان يقلبها الواحد بعد الآخر ليريني ملاحظاته الهامشية عليها .. وهو يقول بصوت الفنان الهادر المختصر الأجش .. وهذه الملاحظات .. لقد أفنيت عمري ونور عيوني فيها بما يفيد المترجمين إلى العربية .. إنها عمري وجهدي ، فهل تضيع دون أن يفيد منها أحد .

والعقاد .. !

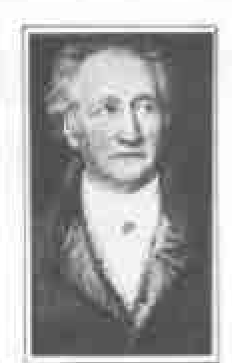
وكلمة والعقاد التي انطلقت منه عفوياً ولكن بعبرة وتحمحم على مكتبته وكتاباته المبعثرة هنا وهناك .. وأضيفته في كتابه مجلد ضخم عن ذلك الشاعر الرجيم بودلير ليحل في المكتبات محل الكتيب الصغير الذي نشره في ترجمة حياته وأسفاره .. هذه العبرات التي التي جعلته يشعر وهو على أعتاب الموت ، وهي مقالة تتوسط ديوانه حواء والشاعر كتبها عندما مرت به أزمة قلبية مماثلة للأزمة التي توفي بها الشاعر فعلا .. في هذه المقالة نجده يشير تلك التيجان الفارغة التي طالما توج بها عدم إنجابه .. فيقول فيها : هذه المكتبة لو كان لي ولد يرثها عني .. إذن لصانها من الضياع وقام عليها فانتفع ونفع .

ثم أما كنت الموت أطيب نفساً ، لو رأيت إلى جانب فراشي ذلك الولد الذي هو استمرار لحياتي وبقائي ، بما يجري في عروقه من دمائي ، وما هو مركوز فيه من شمائلي وطباعي .. عندما قرأت هذا المقطع تذكرت كلمات تورجنيف أديب روسيا العظيم الذي عاش طوال حياته مفرطاً لعدم الزواج وينادي الشباب بضرورته قبل وفاته .

لا تحسبن أن كل ما قلته عن الرجل ورد على حديث عابر .. لا .. إن أفكاره قضايا وكلمات يلقي بها فور استقبالي .. إنه يشركني بما قد فكر به أو قرأه طوال أسبوعه أو نهاره ، دفعة واحدة - وهذه على ما أعلم صفة من صفات الوحيد المتوحد - فكأنه يشعر أو يتخيل أنني الشعر ، أن ما يفكر فيه الفكر أنا فيه مع بقية الدنيا .. أو كأنه يريد أن يتأكد من أن صداقتي معه تقرب أو تتشابه مع صداقة العقاد للمازني .. ولأننا عندما نقطع الصمت أحدنا دون اتفاق نتكلم في موضوع واحد .

ومن المعروف أن عبد الرحمن صدقي كان من تلامذة العقاد وأصدقائه المقربين .. وقد كتب له العقاد مقدمة ديوانه «حواء والشاعر» وتوقف كثيراً عند محاسن مزاياه الشخصية وشعره .. وكان صدقي يؤكد مدافعاً عند ورود ذكر الحديث عن تلامذة العقاد : بأنه حقاً من تلامذته ولكن ليس من تلاميذ يوم الجمعة ، حيث ترونه ويلقي تلامذته المحبين والمتشددين به إلى حد التطرف .

يؤكد ذلك وذلك .. ما يأتي به صدقي من أحكام حول العقاد فإنه يقول لي مثلاً : إن العقاد كتب العبقريات بحسه الديني وليس العقلي ، أو أن العقاد كان يقتبس في أشعاره ممن سبقوه عرباً كانوا أم أوربيين كالمازني تماماً .. وإذا كان المازني قد ووجه بذلك وانطلقت منه العفاف ، فمرجع ذلك أن المازني كفنان كان يشفق على البيت فيبقي عليه ورحمة به لا يقطع أوصاله .. أما العقاد بحسه النقدي كان يقوم بتشريح البيت وإذابة معالمه في شخصيته الشعرية الفذة .. ولكن هذا لا يخفى على الذكي الفطن ؟ أو عندما أعلقه في غنى مكتبته بالمؤلفات .. فيقول إنها أكبر من مكتبة العقاد .. ذلك أن العقاد كان في الحربيات أيامه قد اتفق مع مكتبة «الأنجلو» على أن يقرأ الكتاب ويعيده إليها .. كما أن العقاد كان يقرأ





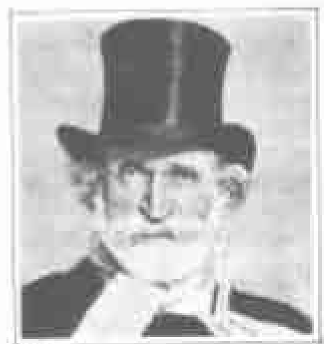


جوته

بودلير

العقاد

افتقد الناقد المنصف فأصبح مادحا ومنصفا لشعره



فردي

اللغة الانجليزية فقط اما انا فاقرا الفرنسية والايطالية ايضا .

الثناء على النفس

وعبد الرحمن صدقي .. من اكثر الادباء الذين يثنون على انفسهم على الحديث .. وفي كل مناسبة حياته الاخرى .. وربما كان مرجع ذلك انه يفتقد المادح والناقد المنصف .. فأصبح مادحها ومنصفها .. ونجد ترجمته عن ذلك حتى داخل شعره .. اتذكره مثلا يقرأ لي قصيدة في الحريات ابدعه ، ولم تنشر بعد .. تحت عنوان «عاشقان بين الموسيقار الايطالي والشاعر المصري» يقول فيها :

سمراء يا خمرية اللون
فردي ، هنا حيث في اللحن
«عايدة» انت ولا اعني
إلى روابيس لدى الطعن
«عايدتي» عودي محجبة
فيهمات عليف عابر يعلي
عودي إلى مصر كما رجعت
حوائم الطير الى الوكن
انظم لك الشعر رخيم الصدى
جزل القوافي مطرب الوزن
شاعرك العاشق جاز الصبا
كالقيل قد ترهن وهن
«عايدة» ما زلت حسنا ، فما
تأتين حتى ترحلين عن
قربي جواري حسره مسحبة
حسبي الذي اسقطت من شمس
حسبك بعد العقل عند اللقا

نجني ثمار الروح والاذهن
من باع عقلا مجنون الهوى
زفت له عرائس الفن

فهو هنا يقول لبطلة القصيدة انه سينظم لها الشعر .. اي شعره هو رخيم الصدى ، جزل القوافي مطرب الوزن .. ثم يصف لها ما خفي من مظهره الشيخ ، بأنه وإن كان اجتاز الصبا .. إلا انه فتى في حسه وقلبه مهما علت سنه .

وتحمل هذه القصيدة بجانب استحسانه لشعره وترجمة ذاته خصيصة من اهم ملامحه الا وهي .. عدم حبه للتصريح .. فإنه هنا قد وارى كلمة العلاقة بين الموسيقار الايطالي فردي ، والشاعر المصري عبد الرحمن صدقي نفسه .. لان بطلتها سمية لبطلة اوبرا فردي «عايدة» .

كما تتبدى في هذه القصيدة سمة من سمات شعر صدقي .. وهي عدم الاحتفاء بالوزن احيانا .. فبجانب ان ابيات هذه القصيدة قد تأرجحت بين البحرين البسيط والكامل .. إلا ان بعض شطرها مثل «انظم لك الشعر رخيم الصدى» فيه تطويل لا يتمشى مع متفاعلن متفاعلن فعلن وهو الكامل .. او مستفعلن مستفعلن فعلن وهو البسيط ... وهذا يؤكد قول العقاد بانه في سبيل الصوفية الفنية يقدم الشاعر قرابينه على المذبح الخالد إذا وجب القربان على حساب كلمة او قافية ، او على حساب فكرة او عاطفة .. ولكن الحساب الذي لا يحسبه قيد شعره ولا مقدار ذرة هو حساب الجمال الملموح في محراب تلك الصوفية فلا هوادة هنا ولا نقص ولا زيادة ، في مواسم هذه التقوى وشعائر هذه العبادة

والصوفية الفنية كما فهمها العقاد .. هي التي تتلقى الحب انواعا فتخلص منه برحيق كرحيق النحلة من شتى ومختلف الرياض .

فإنني احبك حب الاب
وحب الصديق بلا مأرب
كذلك احبك حب الرجل
وتلك ليس بالقلب
عواطف شتان ما بينها
فإن اختلف واحدا القلب
توحد ما بينها في هواك

ولا شيء فيه بمستغرب
فيك انوثة كل الإناث
وفيك براءة كل صبي

ويذهب العقاد ويلتقط من شعر صدقي الكثير بتهيه وفي الحق ان شاعرنا الذواقة هو خير من يلتحن في الشعر العربي في مزيته الكبرى ، وهي مزية «السليقة الغنائية» التي يسلمها له اصحاب الدعاوى الفنية منذ مولده على نغمات الحداء .. ثم عدوا يكثرونه فيها كما وازنوا بينه وبين فنون العرائس من ربات الملاحم ، او ربات المسارح ، او ربات الحكمة والبيان ، على اختلاف الاوزان ، او بلا اوزان .. الا نعتبر كلمة بلا اوزان اعترافا من العقاد بالشعر الحر الذي طالما احاله على لجنة النثر للاختصاص .. الا يكون بذلك ذبح الاوزان في محراب صديقه وتلميذه عبد الرحمن صدقي ، ويردف .. فإن عروضنا العربية لتتسع لكل نغمة من انغام الشعر إذا هي انصبت على شروط شاعرنا الذواقة لخوالج النفس ، وخواطر الذهن ، ولطائف الذوق .. ولقد حمل الشاعر اوزاننا نغمات «الباليه» الراقصة فحملتها وخفت بها اطراف اصابعها .. فلا حسبنا ثروة الشعر العربي بما يزيد عليها من نفائس هذا الديوان «حواء والشاعر» فنحسب بينها انه آية من اصدق الآيات على ان الشعر العربي حياة خالد .. لانه يؤدي رسالة الحداء على اجنحتها في قوافل هذا القرن العشرين .

الى الاوبرا

وكان العقاد هنا يردد كلمات صدقي عن نفسه بنصها .. فإنه كان عندما ينشد لي قصيدة .. يتوقف عند بعض المقاطع والابيات .. ويقول انتهي إلى الاوبرا والاوبريت ، والسيمفوني في شعري .. وكيف تهبط الكلمات من عل وترتفع إلى الهامات .. كصوت الاوبرالي الفذ والباليرينه الرشيقة .

وإذا كان عبد الرحمن صدقي شغوفا بإرواء نفسه من بحر الثناء والتقويم الذي والفته منه بعض الدفقات سواء من صديقه العقاد او صديقه الذي كان قد

من مذكرات شاهدة ربع قرن

رجل سليمان نجيب .. أو صديقه الأوحد «علي أدهم» الذي بقي له .. وكان يزوره في مكتبه كل يوم خميس .. فله كل «الثناء والتقويم الجميل لكل إنتاج وأفعال من هم حوله أو رحلوا عنه ، حتى تشمل استحسانه للتصاغر» .. إلا أنه لم يتبع قول الشاعر العربي :

فليس وشاب الرأس ذا ، وذا
ليس يرى شيئاً فيأباه
يهيم بالحسن كما ينبغي
ويرحم القبح فيهواه

فيقول لي مثلاً .. إن قراءة «علي أدهم» واسعة ومتشعبة تماماً كقراءاتي ولكنها جد مختلفة المنحى .. وإذا التفت إلى زوجته «نازلي» عندما أسلمت و «إلسي» الإيطالية قبل ذلك .. فيقول لي : أنظري إلى قوامها وحيويتها .. إنها لا تفوت يوماً إلا ولعبت فيه الرياضة .. لاحظي أرديتها المتناغم ألوانها .. يمثل هذا التناغم نظافة بيتي .. ها هي الكتب المتراصة تتجاذب أطراف الحديث مع الصور المعلقة ، وأكثرها لجارهم الفنان محمد صبري .

ويستمر استحسانه لزوجته في كل ما تعمل .. ترتفع هذه النبرة عندما ندخل لتناول الطعام .. فإنه يلقي أولاً بنظرة شاملة على الطاولة ويلفت نظري إلى تنسيقها .. ثم ينعطف على كل جزء بذاته .. يتوقف عند السلاطة مثلاً فيقول .. لاحظي أن الخضروات فيها لم تغادرها الحياة حتى بعد التقطيع والتقشير .. ذلك أن «إلسي» على حزمها في كل الأمور رقيقة اليد على الخضروات .. وتغمز لي هي بعينها بأن صدقي كبير القلب شديد الحدب على كل شيء .. ويسرد لي هو كيف تعرف بإلسي في ميناء جنوه ، بعد وفاة زوجته الأولى وعروس ديوانه الأول «من وحي المرأة» وكانت هي أيضاً بغريب الصدف إيطالية أيضاً .. وقبل أن أتناول هاتين الإيطاليتين في حياة شاعرنا .. تراود قراءاتي وتتداعى .. فأجد أن عبد الرحمن صدقي في تركيبته هذه مصداقاً لقول ابن حزم في ترجمته عن نفسه بكتابه طوق الحمامة .. حيث نجده في أثناء حديثه عن الحب وأنه إذا أحب صفة في محبوب له لم يتحسس بعدها إلى غيرها مما يخالفها ، ويقول «حتى أخبرك أني أحببت في صباي جارية لي شقراء الشعر فما استحسنت من ذلك الوقت سواد الشعر ، ولو أنه على الشمس أو صورة الحسن نفسه ، وإني لأجد هذا في أصل تركيبي من ذلك الوقت لا تؤاتيني نفسي على سواه ولا تحب غيره البتة» .

ذلك أن حياة صدقي .. كما عرفناها .. لم يتزوج إلا إيطاليتين كاللاتي خفق قلبه البريء اليهن في المرة الأولى .. وإن بعد ذلك يجد في صحبة الشابات عزاء في كهولته وشيخوخته إلهاماً لفنه ، وشيئاً غير قليل من إرضاء لرغبته في أن يظل شاباً دائماً .. فهو كما عشق في طفولته بعد الإيطاليات .. الأمريكيات والإنجليزيات وغيرهن .. فإنه بعد فقد عروس ديوانه الأول وزواجه الثاني .. لم يسلم من امتحان الحياة له بالفتنة بعد الفتنة .. وكلها فتنة الأنوثة الخالدة .. تتراءى متجسدة في بنات حواء .. على اختلاف الأنماط في الحسن والتماثل .. فنجده في ديوانه «حواء» والشاعر ينشد القصيدة تلو القصيدة في حواء الفخمة البيضاء في حريم الشرق القديم ، وحواء الوديعة السمراء على ضفاف النيل ، وحواء الرشيقة الشقراء بين حلب ودمشق .. وحواء المتقلبة الأطوار والأهواء ، وحواء في البادية العربية ، وحواء في مصايف الإسكندرية .. وأخيراً وليس آخراً حواء المقيدة في ذكرياتها الجديدة حيث نراه لايزال هائماً يبحث عنها في الظلام ، حتى إذا حل به الإعياء وجد نفسه عند باب السماء .. وهنا يطلع الفجر الروحي .. فإذا بالشاعر قالب الحس في غمرة الوجد الصوفي .. وقد انتهت به الرحلة .. رحلة العشاق في الأعماق .. إلى غايتها .

بين الهمس والتجهير

وإذا عدت لوصف صدقي لزوجته الأولى .. ومعايشتي أنا لزوجته الثانية .. أجد التمايز الصارخ بينهما .. فبينما كانت الأولى كما يحكي .. هامسة في مشاعرها وتمعنها الثقافة .. رأيت الثانية علنية متجاسرة في كل تصرفاتها وكلماتها .. يحكي لي مثلاً عن الأولى أنها كانت عندما تقرأ وتقع عيناها على مقطع شف فيه المعنى واتجاه الكاتب ، ويكون هو يقرأ أو يكتب .. فإنها لا تقاطعه لتقرأ عليه ما أعجبها .. باستعراضية فجة .. وإنما تؤجل ذلك لمناسبة مواتية أخرى أما الثانية فقد قرأت أنا أنها مرة رداً على كلام نشره أنيس منصور في أخبار اليوم حول الزوجات الأجنبيات كزوجة عبد الرحمن صدقي .. وكيف أنهن قد يحببن كلابهن أكثر من أزواجهن .. فردت عليه إلسي في نفس المكان قائلة : إذا كان كل الرجال

صلاح عبد الصبور



محي الدين صابر



سليمان نجيب

في سيــرة الزوجـة المصـرية أخذت به الرحـلـة إلى نهايتها

مثلك .. قال لي الحق بالفعل إن أحب الكلاب أكثر من الرجال .. وعندما سألتها يوما .. ألم تكوني قاسية على أنيس منصور الذي نشر ذلك على سبيل الطرافة .. قالت .. ذلك أن أنيس منصور ينحو دائما نحو التعميم .. إنه شاهدني أسأل صدقي في نهاية طعامه .. هل ستأكل هذه القطعة من اللحم ؟ فقال لا .. فرفعتها من أمامه لأعطيها للكلب .. فهل هذا يدل على أنني أحب الكلاب أكثر مما أحب زوجي ..

قالت هي ذلك مع أن عبد الرحمن صدقي نفسه .. كان يردد على مسمعي دائما .. أن أغلب الأجنبيات .. لسن غربيات كالشرقيات .. فالشرقية تخص زوجها بأحسن الأشياء وأطعمها والأجنبية تبقيها لنفسها وإن لم تصل إلى حد تفضيل الكلاب على كل حال .

ورغم أن زوجة صدقي الأولى لم تعتنق الإسلام .. فإنها على فراش الموت قد رجت ذويها أن يرثها صدقي في استحقاقها من مال أبيها وقد بروا بوعدهم .. أما الثانية .. فعندما استقر بها المقام في مصر كان أول شيء فعلته هو دراسة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين .. فقررت أن تعتنق الإسلام .. ويوم ذهبت لشهر إسلامها .. تهلل شيخ الأزهر فرحا وسألها عن سبب إسلامها ؟ وهو يتوقع أن تقول شعرا في حسنات الإسلام وفضله على المرأة .. ولكنها ردت عليه بواقعية صارمة .. إنني أسلم كي أرث زوجي .. فقد عرفت من دراستي للشريعة الإسلامية أن الميراث يكون فقط مع اتحاد دين الزوجين في الإسلام .. من خلال هذه السيدة الأربعينية عرفت شيئا آخر غاب عني .. وأنا دارسة للقانون وابنة مأذون أيضا .. وهو أنني عندما جلست أسألها بعد وفاة صدقي عن نصيبها في «الفيلا» قالت لي إن لي في الفيلا بادئ ذي بدء النصف تلك التي بعت مصوغاتي واشتركت في شرائها مع صدقي .. أضيفي إليه الثمن وهو نصيب المرأة في تركة زوجها .. ومؤخر الصداق .. يصبح لي أكثر من الثلاثة أرباع .. واستفهم .. ما الذي جاء بمؤخر الصداق في كلامها ؟ فتجيب .. ذلك أنه يقتضي عند أقرب الأجلين .. فما دمت لم آخذه لأننا لم نطلق .. ومات هو عن تركة .. ولا تركة إلا بعد سداد الديون .. فإن مؤخر الصداق كدين شرعي أول أثقال التركة الواجب استحقاقها .

وبالرغم من اختلاف الزوجتين في الطباع إلا أنهما كانتا المبادرتين بالإيقاع بصدقي في شباك الزواج .. وهذا يدل على أنه كان إنسانا يشفق من المبادرة ويحب في كل أعماله أن يبادر من الخارج .. يقول لي هو إن الأولى رغم رقتها الهامسة .. هي التي بادرته وقبلته يوما عند سفره .. وتقول لي الثانية .. إنها وهي عائدة من أمريكا اللاتينية على ظهر باخرة .. وقفت بها عند جنوه لتزور والدتها وأخيها وتكمل مشوارها إلى بيروت .. وعندما صعد هو بقامته المديدة وتقاطيعه الوسيمة وسمرته الجذابة .. شد انتباهها فأسرت لذويها .. أنها ستوقع بهذا الرجل في شباك زواجها .. وأنا وجدته منكبا طوال الرحلة على قراءة الكتب .. فقد عرفت المنفذ إليه .. ذهبت واشتريت كتابا .. واستلقت في الشمس ممسكة به بالمقلوب .. وعندئذ اقترب هو منها .. فأطلقت عليه كل سهامها .. ثم نزلت ميناء بيروت بعد أن تركت له عنوانها .. وسهامها .

وعاد عبد الرحمن صدقي إلى القاهرة ليحكي لصديقه سليمان نجيب وينشد :

هويتك منذ رأيتك تخطرينا
على مرح كأنك ترقصينا
على شطآن بحر الروم تلهو
غواربه وترتحل اللحونا
فما خفقت في عينيك حتى
عداني سحر عينيك الجنونا
وإن الحظ يكمن فيه حتفي
وفي عينيك ألفيت الكمينا

طلب الزيارة

فأشار عليه سليمان أن يرسل في طلب زيارتها إلى القاهرة .. وتقول هي إنها لكي تحيك شباكها .. وتدللها .. وتظاهرها بأنها غير عازمة على الزواج .. فقد حضرت بحقيبة صغيرة .. ويسألها سليمان نجيب بالنيابة عن عبد الرحمن صدقي عن بقية أمتعتها .. فتجيب بأن الرسالة طلبت مني الحضور للزيارة فيؤكد لها سليمان نجيب بأن صدقي أرسل لها بغية الزواج .. فتمثل هي دور المترددة ثم تقبل الذي كانت تطمح إليه وكأنه رجاء موجه لاستعطافها .

وإذا كان قد خيل لنا ظاهريا أن صدقي أحب الاثنتين بشعورهن بدرجة واحدة .. فإن شعر الرجل ليفضح العكس .. وإن لهما الشاعر أثرا فأثرا في نفس الرجل .. جلاء شعره أو رد فعل الشاعر .. ذلك أنه كتب الشعر لأول مرة في الرفيقة الأولى .. من وحي المرأة بينما لم يوجه للثانية إلا بعض القصائد المتفرقة من ديوانه الثاني «حواء والشاعر» بل إنه فيه لم ينس عروس ديوانه الأول في قصيدته «الذكرى العشرون» الذي يستهلها وينهيها بهذه الأبيات الآسفة على ذكراها .. ثم زواجه الثاني :

شقيقة روحي هل عهد زواجنا
وقد حال عيدا للأسى والترحم
أتى فهجرت الدار أنيسها
وجئت على أعتاب قبرة أرتمي
شقيقة روحي : لا تخشي شريكة
تشارك في قدس المكان المعظم
للأبد : حبي ما يزال كعهده
وقلبي وإن أقرضت غير مقسم

وهذا يشي بأن صدقي كان متوافقا بدرجة أشد مع الأولى .. ومن المؤكد أن الثانية كانت تشعر بذلك .. وقد تجسد ذلك في أحلامها الفظيعة يوم مرض صدقي .. فقد روت له عن رؤيتها في المنام طيف زوجته الأولى الفقيدة .. جالسة عند طرف الوسادة على رأسه .. وأنها حين انزعجت وارتفع عويلها في النوم ، طمأنتها الفقيدة أن لا غرض من زيارتها إلا عيادته ودعتها إلى الجلوس على رأسه عند طرف الوسادة المقابل ..

ومن عبث الأقدار ، أن تموت الأولى الرقيقة في نوبة ألمت به وخافت عليه منها ، بينما مات هو في نوبة قلبية خوفا من مرض على الثانية .

وإذا كان سليمان نجيب هو من دفع بالإيجابية في أوصال صدقي .. حتى يعاود الحياة الزوجية من جديد .. فإن رجلنا قد أخلى مكانا رحبا في قلبه ليحتفظ فيه بكل الذكريات واللفتات

من مذكرات فاتنة ربع قرن

الرائعة التي تلقاها في حياته من سليمان نجيب .. فقد كان رحلتنا عندما يكلمني عن صديقه سليمان .. يصفه بالشهامة والدريه على صقل الإنسان حتى الخام .. وعندما أستفسر .. يحكي لي أنه عندما عين .. رحلتنا .. وكيلا لدار الأوبرا .. وكان سليمان رئيسا لها .. وحان موسم العرض .. وتوجب السفر لاستقدام الفرق .. بعث سليمان نجيب للمسئولين يطلب السفر وأنا معه .. ولكنهم ردوا .. بأن سفر واحد منكما يكفي .. فكتب سليمان من جديد .. فليكن السفر للوكيل لأنه الرئيس الفعلي فجاء رغم هكذا .. وأمام شهامة الرئيس توافق على سفره مع وكيله .. وسافرنا معا .. وهنا تبدت عبقريته في تشكيل الخرساء .. فلأن بدل سفرنا الضئيل كان لا يسمح لنا إلا بالنزول في فنادق متواضعة .. فإنه كان يوم ابرام العقود مع الفرق الكبيرة .. يجعلنا نترك حقائبنا في الفندق المتواضع لننزل في فندق غاية في الفخامة .. ويقول لي إن ذلك شرف لنا أمام الفرق أولا .. ويجعلنا ثانيا نتذوق ما هو الترف ولو لليلة واحدة .

عبد الرحمن صدقي وهي تكل من بادرة بادرة حلوة في حياته .. حتى وهو على أعتاب الموت يقول : كانت تخيم على غرفة رقادي ، بل في البيت كله سكينة حزينة ، مثل سكينة المقابر ، ولكنني كنت لا أستشعر السآمة .. فالسكينة حبيبة إلى نفسي .

وفي وسط هذه السكينة أحسست بحركة غير اعتيادية وبعض اللغط في البهو ، ثم خطوات عازمة فتية في اتجاه غرفتي ، ثم طلعة سمراء تنكب على رأسي وتترك على جبهتي الشاحبة قبلة مشفقة رحيمة .. فأدرت رأسي في تؤدة من الضعف والوهن متطلعا ، فإذا صاحب هذه الأريحية العاطفية أحد وزراء الدولة ، إنه على رأس الوزارة التي أعمل بها .. وقد لقيته على هذه الصفة مرات معدودات .. ولا أحسب التوفيق كان حليفا لي في تلك اللحظات .

وهذا هو يذكرني في مرضي ، ويأبى إلا أن يعودني على كثرة الشواغل والمهام الرسمية .. وقد أخذ مجلسه إلى جانب فراشي برهة وهو ساهم متأثر .. وقد تركتني هذه العاطفة الكريمة في حيرة عظيمة .. ثم زاد من حيرتي خلفاء هذه الفترة من الزملاء والناس أجمعين .. في بلد لا تخفى عن الناس فيه خافية وكان من هذا جميعه أن تضاعف ثقل الدين في عنقي .. ولكنني لا أجد اليوم بدا من احترام إرادته على الرغم مما أحس به من حاجتي إلى التخفيف من دَيني والخروج من حيرتي بإعلان فضله وشكره .

عندما ألححت أنا في سؤاله عن هذه الشخصية في أخريات أيامه .. قال لي هامسا .. إنه الدكتور طه حسين .. وكان وزيرا للمعارف وكنت .. أي صدقي .. موظفا مبتدئا في مكتبه .

تداعي الذكريات

ذكريات وذكريات .. كانت تتداعى في خواطر الرجل وتشرق على حياته الهادئة وهو بمسكنه في آخر أيامه وزواره ندرة .. أذكر يوما زرته يوم جمعة لأني لم أكن قد زرته يوم الأحد كعادتي .. فتهلل وهو يستقبلني قائلا : والله لقد أنقذت حياتي من الموت يا عايدة ، قالها وقد شرخ صوته نبرة حزن حزينة .. تنبئ بتحرقه في وحدته .. رغم التعزي بالقراءة ، فأسفت



له عن عدم حضوري الأحد الفائت لاستحكام أزمة المواصلات في مصر وعدم وجود التاكسيات .. ولما كان يوم الجمعة هو ميعاد زيارتي للأستاذ العلامة محمود محمد شاكر وهو بمصر الجديدة أيضا .. فقد عرضت أن أصحبه إليه .. فقال بتردد .. ولكن ليس قبل أن تعلميه بذلك .. أو تبقى معي .. فاتصلت بالأستاذ شاكر أعتذر له بحجة أني سأقضي النهار مع صدقي .. فرد هو ولماذا لا يتفضل هو لزيارتي .. فتهلل وجهه فصحبته .. وبهذه الطريقة اختصرت يومين في يوم واحد .. كنت يوم الجمعة أستقل تاكسي من الروضة أمر على منزل عبد الرحمن صدقي .. ثم إلى الأستاذ شاكر .

ومن الغريب أني بهذه الفعلة أيضا أخرجت صدقي عن حرصه المعهود حيث كان يدفع أجر التاكسي منذ أن انطلق من الروضة .. مع أنه كان في الأيام الخوالي يقتضي مني المال كثيره .. عندما قمتها بالنسبة لديوان حواء والشاعر رغم أنه كتب لي عليه إهداء .. واستفسرت عن هذا التناقض دفع بوجهي بحجة أن بالديوان قصائد مهداة إلي ومن ثم توجب بذل عبد الشراء .. وقد يرجع حرص صدقي السابق إلى أنه لم يدرب على إعطاء المصروف كأي أب .. أو أنه كان يدخر لزمن أصبح لا يثق بمقابله فيه وربما لأنه كان لا يمتلك إلا مرتبه .. وأجورا قد تأتي ولا تأتي .. ذلك أنه كان قد بدأ اعترافاته ومذكراته ثلاث مرات .. ولم تتم أجزاؤها .. ففي سنة ٧١ .. بدأ يكتب إعترافاته في مجلة الهلال وعندما نفرغ في الحلقة الثالثة إلى أصله التركي وما إلى ذلك .. توقفت .. بأكثر من حجة ..

ودرجة درجة .. تناقصت كتابات الرجل في الصحف والمجلات .. وأصبح لا يغشى المجتمعات على حبه لها .. لأنه لم يدع .. وكان النهر الذي يشرب منه أبناء الوسنا هو نهر النسيان في أساطير اليونان .. وهكذا الفقد الصديق والصاحب في آخر أيامه .. إلا عن الأستاذ على الدعم الذي كان بدوره يغيب عنه لزيارة أولاده في إسبانيا وغيرها ..

سبعة أعوام تمر .. وما زالت كتبه الثمينة حبيسة الصناديق

وبتركه وحيداً إلا من زياراتي .. واصطحابي له إلى بيت الأستاذ شاكر..

وكان من الممكن أن يمضي به هذا الموقف الجاحد من جيله إلى طريق التحدة .. فيحرق مكتبته كما فعل «أبو حيان التوحيدي» عندما مر بمثل هذا الموقف .. ولكن صدقي الإنسان الذي كان كسولاً حتى على الحقد .. ونشيطاً في نسيان الإساءة .. كان وهو على أعتاب الموت .. شديد الحفاوة بهذه المكتبة . فيقول : لم يكن خاطر الموت يفزعني ، وإنما كان يحز في نفسي أني أموت قبل أن أشفي غلتي من القراءة .. إن خزائن كتبي زاخرة بعشرات الآلاف من المؤلفات المختارة في أكثر من لغة .. ولم تترك لي الوظيفة فسحة من الوقت لدراسة الجزء الأكبر منها .. وهنا ـ على ذكر خزائن كتبي ، تذكرت أني اقتنيت معظمها بالشراء من مخلفات من سبقوني إلى دار البقاء ـ وسرح بي خيالي فتخيلت كتبي ـ بعد موتي ـ مبعثرة في أسواق الوراقين تتناقلها أيدي الباعة من أنصاف المتعلمين ، وتطرح في كل مكان مطارح الهوان .. أما كان الأولى لو أوصيت بها لدار الكتب حين كان في العمر متسع .

وعندما توفي صدقي في مارس ٧٣ .. ولم أكن قد أعددت مقالاً عنه فقد نشرت في مجلة الإذاعة مقتطفات من مقاله على أعتاب الموت .. وما يتعلق منها بأمنية إهداء مكتبته .. وذلك تحت عنوان «عبد الرحمن صدقي .. عاشق الحياة يفارقها إلى لقاء وصفه في رثاء نفسه» . ومن الغريب أن يتصل بي الورثة يسألوني هل ترك الرجل وصيته لديه .. فقلت لا وإنما هو نشرها في ديوانه «حواء والشاعر» .

ورغم أن القانون .. لا يعتبر مثل هذه الأمنية وصية ملزمة لأحد . فالفضل حقاً هو إلتزام زوجته وباقي الورثة بتنفيذ هذه الأمنية الوصية .

وبالنيابة عن كل أبناء مصر الذين سيفيدون من هذه الثروة .. التي تشهد بأن صاحبها كان واحداً من جيل الموسوعيين على ندرتهم .. بعثت دار الكتب والوثائق القومية .. برسالة شكر



محمود شاكر

إلى السيدة نازلي حرم الفقيد .. أرفقتها بعد الأربعين بلجنة فرز وتعبئة .

عندما ذهبت لأسجل هذه اللحظات .. تنبهت لوقوع شيء غريب في نفسي ذلك أن هذه الزيارة قد تكون زيارة المائة أو تزيد .. إلا أنني فيها لم ألاحظ أن للمقاعد رجلاً أو للفرش والستائر أحرفاً .. وهكذا افتقدت الأشياء قلبها وروحها بغياب «الشعاع الهادي» الذي كان يحتضن كل شيء .. فتناثر كل شيء .. وبانت أطرافه .

شارع عبد الرحمن صدقي

أرفف الكتب التي أخليت من محتوياتها تبدو كتوابيت غادرتها «المومياوات» الكتب هنا وهناك تبدو كبقايا الحفريات .. هذا كتاب بلا غلاف .. جثته اللجنة الرحيل .. فانكمش على نفسه محاولاً التواري عن الأنظار .. كثيراً ما رأيت الرجل الذي فقدناه يقلب صفحاته ولكن في حرص شديد .. ويحتضنه باهتمام كوليد .. لقد أشعرني كل ذلك يومها على خيبة الأمل على رحيل هذا الرجل الذي ترك كتبه يتيمة من بعده .. ومازالت منذ مايو ٧٣ حبيسة الصناديق .. رغم أن الدكتور محي الدين صابر كان قد عرض عقبه أيام كان صابر وزيراً للتربية أن يشتريها للسودان بخمسين ألف جنيه .. ويشحنها بعد وفاته .

سبعة أعوام تمر .. ولا تخرج الكتب من الصناديق لتحتل قاعة «عبد الرحمن صدقي» كما هو متوجب .. أو تكوين لجنة .. لحصر الهوامش والملاحظات حول قواميسه وكتبه واستخلاصها .. للاستفادة بها من قبل الدارسين والمترجمين .

لقد كتبت مع كل المعترفين بفضل الرجل .. بعد انتقال هذه المكتبة الثمينة للثقافة .. ألا يستحق عبد الرحمن صدقي الشاعر الفنان جائزة الدولة التقديرية . لقد كان الفقيد أديباً فناناً غزير العطاء .. قدم لمصر التي أحبها صفحات ثرية من الفن .. خلال خمسة وأربعين عاماً خصبة .. أبدع فيها شعراً حسناً .. وكتب فيها مقالات جادة .. وتفرع منها لأبحاث أضافت لمكتبتنا الكثير ولم يقف عطاؤه لمصر عند الخلق والإبداع والكتابة . ولكنه ساهم بمجهوده الكبير أستاذاً بالمعهد العالي للفنون المسرحية ومديراً للأوبرا .. ومستشاراً فنياً للتلفزيون .. وعضواً بالمجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

يوم سلمت هذا الترشيح عن تلامذة الرجل بمعهد الفنون المسرحية إلى مدير مكتبه (حسين ...) انتفض عند قراءتها .. وشمله صمت لم أعرف سره .. إلا بعد نيل يوسف السباعي لهذه الجائزة في نفس العام .. ثم اضطر للتنازل عنها لأنه كان سيراً للمجلس الأعلى الذي يمنح هذه الجائزة ..

ألم يكن الأولى أن نتشرف به الجائزة .. لا سيما وقد انتقل عبد الرحمن صدقي إلى ركب الخالدين ..

لقد خابت دعوتي هنا كما خابت في صحيفتي بأن يحمل شارع «منيس» الذي كان يسكن فيه بمصر الجديدة .. اسم عبد الرحمن صدقي .. ولم أنجح إلا في أن يكون لزوجته معاش استثنائي .. وهذا قليل .. من كثير كان يستحقه الرجل وعن جدارة أيضاً ..

والصيحة المعلقة الآن هي إلى الأستاذ الشاعر صلاح عبد الصبور .. وفي إلحاح السرعة بتهيئة قاعة عبد الرحمن صدقي .. للقراء والمستفيدين .

عايدة الشريف

نعمان عاشور

جورج أبيض

ساقتني قدماي ذات صباح الى زيارة المخرج الراحل فتوح نشاطي في المسرح القومي بحديقة الأزبكية .. كان قد احتل لنفسه غرفة في الدور الثاني بالمبنى العتيد بعيدا عن صالة العرض والكواليس وخصصها لكي تكون مكتبا له ... نحن على نهاية عام ١٩٥٨ وفتوح نشاطي يشغل هذه الغرفة من سنوات بعيدة في احدى الوزارات او المصالح والدواوين الحكومية .. كنت على موعد معه لقراءة نص مسرحية اكتبها ليخرجها في مسرحيتي «خلف الحريم» ولم يكن لي سابق علم بوجود مثل هذه الغرفة السرية فلما سألته عنها اخبرني انه يحتفظ لنفسه بها ليحتمي فيها من التقلبات التي تطرأ على الحياة المسرحية وليشعر دائما انه مرتبط بعمل يومي في المسرح .. لكني ما كدت اجلس لاحتسي معه القهوة كالعادة المتبعة في مكاتب العمل حتى فوجئت بالفراش يخطرنا بوصول الاستاذ جورج ابيض، والحق انها كانت مفاجأة مذهلة بالنسبة لي لم استطع ان اخفي معها ما اثارته الواقعة في نفسي من اثارة واهتزاز .. جورج ابيض .. بشحمه ولحمه وشخصه؟ بعدها مباشرة دخل علينا العملاق وهو يبتسم محييا .. كانوا ايامها قد عينوه للاشراف على إحدى شعب المسرح القومي .. ولكنه لم يكن يتردد على المسرح بانتظام .. الشيء المذهل انه حين رآني لم يكتف بتحيتي سلاما باليد ... وانما فرد ذراعيه كما لو كان في إحدى مشاهد تراجيدياته الرائعة واحتضني بحضن .. ثم اردف:

– انا جي مخصوص يا ابني علشان اشوفك ... قالولي تحت انك عند فتوح قلت لازم اشوفه ..

إلى هذا الحد كانت حفاوة الرجل بوجودي !!! ومن يكون هذا الرجل !!!

جورج ابيض

جورج ابيض !!! الفخم والابت شخصية عرفها تاريخ مسرحنا الجاد منذ بداية القرن ...

لويس الحادي عشر

زايلني القلق بعد لحظات حين طلب إلينا الجلوس .. ورفض ان يتناول القهوة ... وراح يعاتب فتوح نشاطي لأنه كان قد طلب منه ان يراني !!! يراني انا !!! ومن اكون بالنسبة له !!! لم يكن إحساسا بالضآلة او الصغر ... ولكنه كان من جانبي اعتزازا مذهلا ان يحاول جورج ابيض بجلالة قدره مقابلتي والتعرف بي غير معقول !!! وابتسم فتوح نشاطي وهو يعتذر له ... لأنه كان ينوي القيام بذلك بعد ان يتكرر لقاؤنا .. ووضع جورج ابيض كفيه وهي مشبوكة الاصابع على اسفل بطنه ثم تنحنح فانطلقت في صوته النبه بحة مثيرة ... فلما اخذ الحديث مداره بيننا بدأت انتبه إلى صوته ورخامته وعذوبة انطلاقه ودقة مقاطعه .. لم اكن شاهدت جورج ابيض الا في الصغر حين كان يطوف بفرقته في الاقاليم وصحبت عمي لمشاهدته في المنصورة وهو يعرض تحفته الرائعة التي اشتهر بها على الدوام ... «لويس الحادي عشر» ثم بعد ذلك اختفى الرجل من افق حياتي لسنوات طويلة .. ولم تكن تذكرني به الا بعض قراءاتي عنه وعن نشاط مسرحه في عديد من الرسائل والمقالات التي تنشر ... واحيانا في بعض ما يروى من ذكريات ...

اكتشاف سيد درويش

كانت ابرز الصور التي تشغل واعيتي به ... حكاية مستفيضة حدثني عنها المطرب الفنان حامد مرسي ... اشهر من عرفهم تاريخ الاوبريت الغنائي في مسرحنا الحديث ... وبطل فرقة الكسار واكثر من يحي التراث الغنائي القديم ... كان في ذات ليلة يروي لي ذكرياته عن سيد درويش اذ كنت اعد عنه برنامجا للتليفزيون اواخر عام ١٩٦٣ ... واستعنت بحامد مرسي في محاولة تتبع بعض دقائق حياة سيد درويش ومناسبات الحانه ... وروى لي واقعة مجسمة عن جورج ابيض زادتني معرفة به وبقيمته وجهوده . حدث ذلك على وجه التحديد عام ١٩١٨ وكان حامد مرسي لا يزال صبيا يجيد الغناء وتستعين به الفرق على تقديم فقرات طرب بين فصول مسرحياته تحببا للجمهور . مثلما كان يحدث مع عبد الوهاب في مبدأ ظهوره ... وكانت فرقة جورج ابيض المسرحية ايامها تعاني من الركود نتيجة لانتشار وسيطرة جوقات ومسارح الهزليات وعلى رأسها فرقة الريحاني فارتحل جورج بفرقته الى

بنبرة درامية كما لو كان في أحد مشاهد تراجيدياته الرائعة

إنه أهم شخصية فنية عرفها تاريخ مسرحنا الغنائي

صارح الفرنسيين جعلت مسرحه يعاني من الركود

منعني من تسجيل الحديث لأن ما سيقوله لا يحتاج الى كتابة

الإسكندرية واصطحب معه الشاب أو بالاحرى الصبي المطرب حامد مرسي ليغنى بين الفصول كما جرت العادة ...

زوروني كل سنة مرة

ذات ليلة كما روى لي الفنان حامد مرسي ... كان يغنى أحد أدوار عبده الحامولي بين فقرات الفصل الثاني والثالث لمسرحية عطيل التي يمثلها جورج ابيض ... فوجىء بمقاطعة حادة من مجموعة بين المتفرجين راحت تصفق في صخب ... فلما انتهت الفقرة في سلام أسرع اليه أحدهم يطالبه باصطحابه لمقابلة الشيخ سيد .... يقول الفنان حامد مرسي ... لم أكن أعرف من هو الشيخ سيد هذا ولكنني لم أتردد في تلبية رغبتهم وذهبت مع الرسول الموفد الذي اصطحبني اليه وكان واقفا على باب مسرح الهمبرا بمحطة الرمل محاطا بمجموعة من الاسكندرانية ... كان ضخم الجسم مشعث الشعر اقرب الى السمرة والبدانة أشبه ما يكون بالفتوات وبادرني في الحال ..

ـ اسمع ... إزاي عرفت تغني لحن الاسطى بالشكل ده ؟

وكان يقصد بالأسطى عبده الحامولي ... رأس المطربين وسيد الملحنين على أواخر القرن التاسع عشر ... ويمم حامد مرسي روايته ... أمسك سيد درويش بيدي وطلب عربة حنطور وأجلسني بجواره واتجهنا جميعاً الى مقهى على ترعة المحمودية جنوب الإسكندرية وأحضروا للشيخ سيد العود بعد أن أجلسني أمامه وطلب الى أن أتعجب ليحفظني اللحن الجديد الذي لا يمكن أن يغنيه صوت غير صوتي ... وكان هذا اللحن هو الاغنية الشهيرة لسيد درويش والتي تغنيها فيروز ، أغنية «زوروني كل سنة مرة» .. ولم يتركني الا بعد أن كنت قد حفظت اللحن وغنيته له عدة ساعات ..

وفي الليلة التالية حضر الشيخ سيد الى المسرح وطلب الى أن أغنى اللحن بين الفصول ... وأخبرني أنه سيجلس في الصالة ليستمع ويرقب وقعه من وراء الكواليس وهو غير مصدق أذنيه ... فلما انتهى التمثيل سألني عن صاحب اللحن فقدمت له الشيخ سيد درويش وتم بعد ذلك [illegible] جورج أبيض بعودة الى القاهرة حتى [illegible] سيد درويش من الإسكندرية وكان لديه نص مسرحية غنائية يعدها للموسم التالي وهي مسرحية [illegible] ... [illegible] سيد درويش بوضع ألحانها لتكون الخطوة الأولى والباكورة الناضجة لما أبدعه سيد درويش من الحان وأوبريتات خالدة بعد ذلك .. وكانت هي الأساس في نهضة المسرح الغنائي ..

مصر القديمة ... ومصر الجديدة

أعود بكم بعد ذلك الى غرفة مكتب فتوح نشاطي في المسرح القومي عام ١٩٥٨ وأنا جالس معه في حضرة العملاق جورج ابيض ... كان طبيعياً أن أسأله وأنا في غاية الاعتداد والسرور عن سبب رغبته في لقائي ... فلما به يروي لنا نفس ما رويته لكم من قبل على لسان الفنان حامد مرسي كان بوده أن يكتشفني كما اكتشف سيد درويش ... فلما اعترضت عليه في ذلك وأنني أو غيري لا يمكن أن نقارن بسيد درويش ... فمن أكون حتى يساويني به وأين أنا وغيري من هذا العملاق الخالد !! أجاب وهو يهز رأسه في هدوء وتمعن ...

ـ يا ابني انت عملت نفس ما عمله سيد درويش ... انا شفت لك وقريت لك كمان ... «اللي تحت» و «الناس اللي فوق» ... انت عملت حاجة غريبة كنا محتاجين لها من زمان .. المؤلف اللي يكتب مسرحية خالصة وتتمثل على المسرح طوالي من غير اعداد أو تغيير أو تبديل .... لا من مخرج ولا من ممثل دي مش شويه ... فرح انطون هو الوحيد اللي حاول يعملها في مصر القديمة ومصر الجديدة .. لكنه للأسف ما اتلقى ...

ولاحقته في زهو ما انا كتبت مسمي الناس اللي تحت في الأول مصر الجديدة بدون أن أدري شيئاً عن فرح انطون ومسرحيته وضرب جورج ابيض كفا على كف وهو يرقب ...

ـ عارف ... انا نفسي قلت عليك انك ولا فرح انطون .. واسأل فتوح ..

وهز فتوح رأسه ...

ـ حقيقة ... جورج بك قالها لي أكثر من مرة !!!

الصحافة والمسرح

وطالت الجلسة بيننا لأكثر من ساعتين .. اخذت نفسي خلالها بكثير من الصمت وأنا في ذهول مما أسمعه على هذا المارد العملاق .. وراح جورج ابيض العظيم يحدثنا عن حياته في المسرح والمشاكل والمصاعب التي واجهها ونظرته الى المسرح الجديد ورأيه فيه وما ينتظره من تقدم حين رأيتني أطالب الأستاذ فتوح نشاطي ببعض الأوراق وأخرج قلماً من جيبي قال ...

ـ عاوز تعمل ايه ؟

فأخبرته بأنني سأحاول تسجيل ما يقوله لأنه تاريخ .. غير أنه نهاني لأن ما سيقوله شيء معروف لا يحتاج الى كتابة .. ورغم ذلك فقد سجلت من حديثه هذه الصفحات التي لم تكتمل الا بعد أن وعدني بلقاء آخر يجيب فيه على ما

جورج أبيض

سأقوم بوضعه من أسئلة .. وعلق ضاحكا :

ـ أنا عارف انك بتشتغل صحفي ... لكن أنا بكلمك كمسرحي ... سيبك من الصحافة ومن الكلام اللي بيكتبوه فيها وأضاف فتوح نشاطي .. خلونا في المسرح ...

وكانت جلسة ممتعة أطلقت لسان جورج أبيض بالكثير الذي سجلته وشاركني فتوح نشاطي رحمه الله في ايضاح الكثير من جوانبه ....

بملاذا حدثني جورج أبيض ؟

بعد أن أخرج جورج أبيض منديله ليجفف به العرق وتململ من ضيق المكان قال مع ذلك إنه أنسب مكان لنكون في شبه عزلة ... ثم شرد بناظريه إلى سقف الغرفة فإذا بها تقع على بعض زخارفها العربية ... وتأثر وهو يتأمل الزخارف مترحما على طلعت حرب زعيم الاقتصاد الوطني والرجل الذي أنشأ مسرح الأزبكية عام ١٩٢٩ وراح يقول ...

كان زمان فيه تضحية ... التضحية بالفلوس ... وكان اللي يحب فن من الفنون مستعد انه يقدم في سبيله أي شيء حتى عمره خد مثلا المسرح اللي احنا قاعدين فيه النهار ده .. يقصد مسرح الأزبكية اتبنى نتيجة هواية ... حب كبير لفن التمثيل ... وإلا ايه اللي يخلي واحد زي طلعت حرب كان يبني مسرح الأزبكية ... تعرفوا بأي هدف .. مش تعصب لأولاد عكاشة ... زكي وعبد الله ... هما قالوا عليه كده أيامها

أبدا مسرح الأزبكية اتبنى لخدمة اللغة العربية ... تصوروا .. دا كان الهدف الأساسي لطلعت حرب .. تتقدم عليه المسرحيات اللي باللغة العربية بس ..

مسرح أوائل القرن

وهنا حلت لي القاطعة ... بنفس الجفاف الدائم يا جورج بك ... فلتعذري ... هو دا كان الأصل ... من حسن الحظ

حسين رياض

نجيب الريحاني

انا رجعت من بعثة فرنسا سنة ١٩٠٤ والحركة الوطنية بتاعت مصطفى كامل عمالها تحمى وتشتد .. وكان مصطفى كامل نفسه بيكتب مسرحيات ويمثلها ... تصوروا .. كان المسرح له قيمة كبيرة وكل المتعلمين ملتفين حوالين المسرح ... كان شيئا أساسيا في حياة الناس ... وواخد اهتمام كل المتعلمين .. وماحدش كان له فضل عن غيره ... يعني انا مثلا كنت باغطي ناحية في اتجاه واحد مع خليل مطران وعبد الرحمن رشدي .. وعزيز عيد كان له ناحية .. وسلامة حجازي واخد ركن كبير ... الكلام ده قبل الحرب العظمى ... الحرب الأولانية ... وكانت الناس وأحوالها جد ... ويوم بعد يوم الدنيا بتتفتح قدامهم والاهتمام في المسرح في ازدياد ... والمسرح ده يلما كان له في الأيام دي ضحايا .. عارفين ... في

سنة من السنين .. سنة ١٩٠٩ أنا فاكر تمام ... كانت المسرحيات بالمئات ... وكلها ماشية مع بعض ... مسرحيات تراجيدية ومسرحيات كوميدية غنائية وفرق تفتح وفرق تقفل وناس تفلس وناس تيجي غيرها ... ونظر الى فتوح نشاطي

ـ لازم تكون فاكر الأيام دي يا فتوح .. انت برضه ما كنتش صغير قاجابه .. أيامها أنا كنت لسه تلميذ في ابتدائي لكن احنا عاوزينك تكلمنا عن مسرحك انت يا جورج بك .....

ونظر لي نظرة ذات معنى ...

المسرح لا يفقد جديته أبدا

وطلب جورج أبيض فنجانا من القهوة وكوبا مثلجا من الماء وعاد يجفف عرقه ... ثم استرسل في حديثه.. انا مش جاي علشان اتكلم على مسرحي دي فترة راحت وانتهت ...وسارعت القاطعة ... يا جورج بك .. مسعادتك تاريخ وانت الأصل والأساس ولولا وجودك وثباتك لفقد المسرح جديته فلاحقني ... أبدا ... المسرح لايمكن ان يفقد جديته ... خد عندك الريحاني .. ابتدا هلس في هلس ... وانتهى وكله جد ... الريحاني على الآخر كان قرب بالكوميديا بتاعته من التراجيديا ... ودي هيه بداية الخيط اللي انقطع بموت الريحاني ... وانت بقى يا ابني اللي مسكته بايدك ... واجتاحتني رعشة ووجدتني أهب واقفا وأنا هلع وغير مصدق لما يقول ... أنا !!! أنا يا جورج بك !!! وابتسم الرجل في هدوء لحركتي البلهاء وأردف فتوح نشاطي ... ما هو علشان كده ... جورج بك اهتم انه ضروري يقابلك .. ؟

ليس أهم من النص

وجاء كوب الماء المثلج والقهوة ... وكان يرتشفها بصوت مسموع وأنا جالس على مقعد أمامه .. وكأني نملة ازداد ضآلة كلما تطلعت له وهو جالس كالفيل ... وعاد ليجفف عرقه قائلا :: المهم يا ابني تكون عندك مثابرة وتكون عندك

قبل الحرب العظمى كان المسرح شيئا أساسيا في حياة الناس

لماذا قال لي: إن كلماته لا يفسرها إلا ناقد أو مؤرخ؟

حاجات كتير .. اكتر من كده علشان تقويها .. وده كله متوقف على الإستمرار .. اصل دور المؤلف غير الممثل .. وعصرنا احنا الشرقات كان عصر التمثيل .. ما حدش عارف ايامكم اللي جاية حاتبقى ايه ... انما من هنا ورايح مش حيكون في المسرح اهم من النص ... ودا هو الخطر .. وقال الاستاذ فتوح رحمه الله مقاطعا .. متخافش يا جورج بك .. دا احنا بقى عندنا مؤلفين جداد كتير .. وانا معك ان المسرح اساسه الكلمة ..

وعلشان كده انشاء الله حا اخرج رواية جديدة للاستاذ نعمان ... كتبها خلاص وبنقرى نصها ... واطلعه على ماكنا قد طبعناه من نص المسرحية ... وهنا اوصاه جورج ابيض خليك معاه يا فتوح انا متفائل ان المسرح عندنا حا يلاقى حيله وعلى صورة جديدة خالص ... ما كانش عندنا النوعيات دى زمان ..

صاحب أضخم التجارب

كان قد صمت ... فسارعت لإرده الى سابق حديثنا سيادتك يا جورج بك ما كلمتناش عن مسرحك ؟ .. وشهق في ملل .. كلها حاجات قديمة المهم في الجديد ... ومع ذلك ... انا اصلى ذاكرتي على قدي ... يعني ... وقاطعته وقد ادركت انه يهم بالوقوف .. طب ممكن يا جورج بك تديني وعد اقابلك تاني ... وحا احضر شوية اسئلة .. فضحك ساخرا الصحافة دى غريبة .. ؟ وحاولت ان اوضح له انني لا اقصد ان اخذ منه حديثا لانشره ولكنني انشد الاستفادة منه كصاحب اكبر تجربة في مسرحنا المعاصر ووعدني الرجل بان يلاقيني بعد يومين هنا في المسرح القومي .. اذ انه يحضر يوما ويغيب يوما واسلته بيدى وانا اسلم عليه وراح يربت على كتفي .. شد حيلك .. واتوصى بفتوح بكلمتين حلوين زى اللى كتبتهم قبل كده، وتركنا وانصرف بعد ان ودعنا حتى الباب الخارجى لحديقة الازبكية ..

جورج ابيض

الوثائق المسجلة

استفسرنى فتوح نشاطى بعدها ونحن نعود الى الغرفة عن الأسئلة التي كنت انوى توجيهها اليه فاخبرته بحقيقة ما كان يراودني وشرحت له فكرتى الطموحة .. لم تكن مجرد خاطر عابر ابنته مناسبة هذا اللقاء العابر مع جورج ابيض ... وانما كانت فكرة خامرتني من سنوات ... اثر جلسات ولقاءات متعددة مع اكثر من عملاق فني مثل ... حسين رياض وفؤاد شفيق وفاطمة رشدى وبديع خيرى وغيرهم ... لماذا لا نحاول ان نسعى للحصول منهم على تسجيلات بذكرياتهم وتاريخهم ونضالهم من اجل المسرح وتكون هذه التسجيلات بمثابة وثائق باصواتهم انفسهم نؤرخ بها لحياتنا المسرحية في كل مراحلها .. من المؤسف ان احدا لم يفعل ذلك او ربما حاوله بعضهم ... لكن الفكرة ذاتها كانت تشغلني من قبلها بسنين وكنت اعجز عن ان اقوم بتنفيذها ... وكذلك لم استطع تنفيذها بعد لقائي الاخير مع جورج ابيض ... ربما لانني عدو لدود للآلات التسجيلية من اى نوع كان ....

النهضات والإنتكاسات

انصرم اسبوع لم يحضر جورج ابيض خلاله الى الازبكية ... ولكنني في ذات صباح وانا اصعد درجات السلم الى حجرة الاستاذ فتوح نشاطي ... إذا بي وجها لوجه امام جورج ابيض ... استوقفني ممسكا بذراعي وهو يعتذر لانه لم يحقق لي رغبتي في اللقاء .. واصل انا يا ابني بالتحرك بصعوبة .. انت لسه برضه مصمم على اسئلتك دى؟ .. فاخبرته بانني طوع امره .. واخذني من يدى لنجلس في الشرفة الخارجية لمسرح الازبكية ... وبعد ان جلسنا بدا هو الحديث ...

ـ بدى افهم ... انت عاوز تسألني عن ايه ؟

ومن واقع معرفتي بتاريخه ... جاءتني فكرة ترسبت طويلا في تاملي لطبيعة الحياة المسرحية عندنا ... فاسرعت بطرحها عليه .

ـ ما السبب في ان المسرح عندنا لا يتطور باضطراد ... بمعنى انه يتعرض في بعض المراحل لنكسات ساحقة ... وفي مراحل اخرى ينتفض ازدهارا ؟ ما سر هذا التارجح الذى تجئ فيه مراحل الهبوط على فترات الازدهار ؟ كان الرجل ينصت الى محاولتي لتفسير فكرتي مستشفا ما وراءها ... وكان يهز راسه بين لحظة واخرى ليشجعني على متابعة الحديث ... وفي النهاية وبعد ان شرد بذهنه لحظات قال في هدوء ....

ـ الحقيقة كلامك لا يمكن ان يفسره إلا ناقد او مؤرخ ..

جورج أبيض

فالحقت ملاحقا ...

ـ تجربتك يا جورج بك اهم مما يمكن ان يكتبه اي ناقد او مؤرخ ..كانت اصلب واثبت من تمسكوا بالمسرح الجاد ... ولا اعني بذلك التراجيديا وحدها ... او استعمال اللغة العربية الفصحى ....

ونظر الى الرجل وكأنه غير مصدق ...

ـ في «الديكيد الاولى» ـ وكان يقصد العشر سنوات الاولى من القرن العشرين ـ انتعش المسرح نتيجة الحمية التي صاحبت الحركة الوطنية لمصطفى كامل ومحمد فريد ... وفي العشرينات انتكب المسرح الجاد وسادت الكوميديا والغناء خاصة في سنوات الحرب العالمية الاولى... واضطررت لان انضم بفرقتي لسلامة حجازي ... ثم مقاومة الريحاني بمساندة محمد تيمور رحمه الله ... ولكن قيام ثورة ١٩١٩ اعاد للمسرح الجاد ازدهاره

توعية الجمهور وحقيقة المسرح

وبعد ان صمت لحظات ... عاد الى الكلام وهو يتطلع الى السماء .. كأن يستلهم ذكرياته ...وفجأة انطلق يقول ..

ـ الحقيقة ان الحياة العامة نفسها او ما تسميه انت (بلصمتي) الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية



تؤثر كثيرا في [illegible] المسرح [illegible] الجمهور [illegible] الجمهور [illegible] الفني [illegible]

وهذا [illegible] من مسؤولية الدور الذي يجب ان يقوم به رجالات المسرح ... فعليهم مراعاة الجمهور ... وفي الوقت نفسه يجب الا يخضعوا له ... واذا للحجيا حاولت كثيرا ان افعل ذلك ولكن طبيعتي وطاقتي الفنية ورسالتي كانت تفرض علي الا التوجيه عن ان يكون لمسرحي رسالة ولا انساق وراء نزوات الجمهور ... وبسبب ذلك تقطعت صلتي بالمسرح خلال سنوات عديدة...

وطالبته بمحض الايضاح فتابع حديثه كل وقت له نفسه .. لكن بفلسفة المسرح بالذات ... زي ما درسناه ومارسناه ... وزي ما يجب انه يكون ... اكبر كثير من انه دار للتسلية من حيث انه بيجمع كل الفنون وبيجمع كل الاذواق ... المسرح فن كبير ولابد ان يكون له رسالة ...

الصرح الكبير

وهنا نتبه جورج ابيض الى انني كنت اكتب كل ما يقول فسالني :

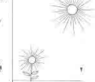
ـ احنا مش اتفقنا انك مش حتكتب حاجة ؟

فاكدت له ان ما اكتبه سأحتفظ به لنفسي ولن انشره في الجرائد وجاء احد السعاة من داخل مبنى المسرح ليطلب جورج بك لكافة التليفونية فاستأذن دورولا ...هذا لازم الدكتور ...

ومن بعدها لم ار جورج ابيض ... ولكني لم يفتني حين وفاته ان اكتب كلمة قلت فيها ...ان وفاة جورج ابيض تعني انهيار اكبر صرح في بناء مسرحنا المعاصر ...

نعمان عاشور









أغرب من الخيال في شرق السودان

كمال سعد

لأن السودان - كما يقولون - قارة متنوعة الثقافات ، فإن رحلتي إلى الجنوب بما فيه من قبائل ولغات مختلفة وغابات وجبال ومحاولات مستمرة للتحديث ، جعلتني أقوم برحلة أخرى إلى الشرق لعلني أتعرف على منطقة قالوا عن طبيعتها إنها أغرب من الخيال، وقالوا إن كل شبر فيها لا يتعامل إلا مع الذين يتداولون الجمال ويملكون موهبة الإفصاح عن شيء من تلك الشعور ، وتتدفق الدماء حارة من قلوبهم كما أقبلوا على الحركة أو تعمقوا بلا حدود في روافد الحياة التي تثير في وجداننا الدهشة والاستغراب !

البطولة النادرة

وبداية فإن شرق السودان هو ذلك المكان الذي تقع تحت ميزته



الاستراتيجية التي جعلت منه جزءا من مناطق الصراع الأوربي في الشرق الأوسط وخاصة على البحر الأحمر خلال القرن التاسع عشر .

ولعل أبرز أدواره في نضال الأمة السودانية عندما رفع راية الكفاح ضد المستعمر بقيادة الأمير عثمان أبو بكر دقنه الذي كان يتولى إدارة تلك الإمارة الممتدة من مدينة سواكن على البحر الأحمر إلى دهر عطبرة ومن ميناء حلايب حتى مصوع شمالا .

وكان عثمان دقنه زعيما لا ينازعه أحد على شرق السودان ، ولذلك قام في هذا الإقليم بدور بارز في نشر الدعوة المهدية وقاد ـ وهو لا يتجاوز الأربعين عاما ـ حرب العصابات ضد القوات البريطانية باستبسال لا مثيل له ، أشار إليه «ونستون تشرشل» في مذكراته التي قال فيها إنه عندما كان ضابطا في الجيش برتبة ملازم أول ، واجه هذا الرجل في موقعة «كرري» التي جرت في نهاية القرن التاسع عشر ، وأنهم وجدوا أنفسهم في تلك المعركة تحت الأرز في حقل زيت مغلي ، فما كان منه إلا أن عبر الكمين في أحد أطرافه وأفلت بحصانه !

وقد كان عثمان من مواليد مدينة سواكن .. وكانت أسرته ذات حظ كبير في التجارة ما بين المنطقة ومدينة جدة السعودية ، إلى أن وضعتها الإدارة التركية تحت المراقبة ، ثم صادرت تجارتها واستولت على كل أموالها ، أيشى الفتى فقيرا ، كارها للاستعمار بكل أشكاله ، وعندما يصبح رجلا يقعها بسلمه المهدي إدارة شرق السودان ، ويقسم أن يحافظ عليها بحياته ، ويتقد وعده ، فلا يقبل التخاذل أو المساومة ، ويدافع عن أرضه في بطولة نادرة ، ولا يستطيعون كسر شوكته إلا عندما يشترك جيشان في قتاله وهما الجيش البريطاني والجيش الإيطالي ، حيث يأمرون باعتقاله مدى الحياة لخطورته وقوة تأثيره على أتباعه ، فيظل في معتقل البحر الأحمر منذ عام ١٩٠٠ ميلادية إلى أن ينقل إلى سجن مصر ثم سجن حلفا في عام ١٩٠٨ ، ليموت في عام ١٩٢٦ بعد أن ضعف جسده وأصبح طاعنا في السن ، ولتظل قصته حية في نفوس كل أبناء السودان .

كارثة الجفاف

وشرق السودان الذي رأى ميلاد وكفاح وموت هذا البطل الإسطوري ، لا يزيد تعداده على مليوني نسمة .. فرغم





كل مساحاته الهائلة فان المنطقة الحيوية الفعالة الآهلة بالسكان - هي تلك التي تمتد على طول الحدود الاثيوبية الارترية وتنتهي عند الحافة البحرية في الشمال الشرقي ، حيث نافذة السودان الوحيدة المطلة على البحر الأحمر بطول ساحلي لا يتجاوز ٧٢٥ كيلو مترا والتي تربط البلاد مباشرة بالملاحة العالمية وبالجزيرة العربية ..

أما لماذا يتزاحم السكان في هذه المنطقة ، بينما نجد مناطق أخرى شبه خالية من السكان ؟ .. فالسبب في ذلك يتلخص ببساطة في كلمة واحدة : الماء !

فلولا وجود الدلتا الزراعية التي يحملها خور القاش وخور بركة - ولولا الأمطار ، لكانت المنطقة كلها - وليس قطاعات منها - يستحيل العيش فوق أرضها !

وقد روى لي الأهالي كيف أن هبوط منسوب المياه في الآبار أدى منذ حوالي ثلاثين عاما الى حدوث أكبر كارثة في تاريخ شرق السودان ، حيث أدت ندرة المياه الى مجاعة هائلة سببها العطش الشديد في المراعي وهلاك الماشية من العطش ، ووقتها سقطت الأمطار فجأة ، وتصور الأهالي أنها ستنقذ بقية القطعان من الهلاك ، وكانت صدمتهم قوية عندما حدث العكس ، لأن الأمطار جاءت في فترة كانت فيها القطعان مرهقة وضعيفة ، فأدى ذلك الى هلاك مجموعات أخرى منها ، بحيث لم يبق من الكارثة غير عشرين في المائة فقط من الثروة الحيوانية ، ونتيجة لذلك انهارت التجارة وعم القحط كل الاقليم ، وكانت أكثر القبائل تضررا هي قبيلة الرشايدة الذين لم يعرفوا في حياتهم أي حرفة





● شعراء «البجاة» يتحدثون عن العطش وحرارة الشمس والأسفار البعيدة !

واحدة هي الرعي ، ووجدوا انفسهم بعد ايام طويلة من المعاناة مضطرين الى العمل كأجراء في الحقول لاول مرة في حياتهم !

فالمأساة هنا تكمن دائما في الظما الذي يقضي على كل شيء ، بما في ذلك العيس أو كرائم الإبل وخاصة في موسم الجفاف الذي يلتقي مع شهر يناير ..

إلا ان الرعاة الذين يتجولون دائما بين السهل والجبل حسب وفرة المياه والمرعى ، استطاعوا ان يتغلبوا على العطش بحفر اعداد كبيرة من الآبار التي جعلتهم يستفيدون استفادة بالغة من المياه الجوفية التي لا تنضب في المنطقة إلا في النادر !

مشاكل الترحال

ورغم هذه الظروف فان مصادر المياه القادمة من مرتفعات اثيوبيا شكلت حالة من الاستقرار في المنطقة لقبائل عديدة ذات جذور عربية استوطنتها منذ القدم محترفة الرعي والزراعة ، ناقلة معها الثقافات العربية والاسلامية التي توارثها الاحفاد عن الأجداد ..

وقد ساعد على تطوير المنطقة هذا الطريق البري الذي اعد مؤخرا ليبدأ من بورتسودان مرورا بمدينة كسلا لينتهي في قلب عاصمة الجزيرة وهي واد مدني ، ثم ينتقل إلى الخرطوم ..

إن هذا الطريق اصبح يمثل شريانا اقتصاديا حيويا يمر بالعديد من مشروعات التنمية الاقتصادية ، ويتيح سهولة انسياب واردات السودان بريا ، جنبا الى جنب مع خط السكك الحديدية وخط انابيب البترول الذي يمتد من بورتسودان الى الخرطوم ..

وإذا كان خبراء الاقتصاد يؤكدون ان عمليات التنقيب المستمرة عن البترول والغاز الطبيعي والذهب والمعادن ستؤدي الى تغيير نمط الحياة السائدة في شرق السودان ، فان وجود الميناء وتطويره سيضيف إضافة كبيرة عن الرعي الى المنطقة ويزيد من تطلع الاهالي الى التطوير ..

وقد عملت الحكومات السودانية كثيرا في سبيل الاستقرار الرعويين الرحل .. ولكن منعت هذه المعاناة ضرورة ايصال الخدمات التعليمية والاجتماعية والصحية الى مناطق تجمعاتهم ، التي كان يحول من وصولها طبيعة ترحالهم الدائم ..

إلا انه مؤخرا اتجهت الدولة الى توزيع الخدمات الصحية في نقاط تقرب من مناطق التجوال .. وما زالت الجهود تبذل لتوفير الخدمات التعليمية عن طريق المدارس المتنقلة التي تصحب هؤلاء الرحل لتعليم ابنائهم .. اما الخدمات البريدية التي كان يعتمد فيها على الجمال فقط ، فهي الآن مركزة في قاطرات السكك الحديدية التي تمر بانتظام في المنطقة ، والتي تقدم الخدمات لكافة السكان المنتشرين في مناطق متعددة !

فنون القبيلة

واهم سكان شرق السودان هم البجة الذين ينضوي تحت لوائهم عشر قبائل رئيسية من اهمها الامرار والهدندوة والارتيقة والبني عامر والحباب .. ومعظم ابناء هذه القبائل لهم لغة خاصة هي اللغة البجاوية وهي لغة حامية دخلها كثير من الالفاظ العربية ..

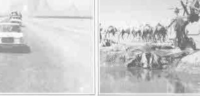
والرعاة في هذه القبائل يعنون بالاوسام التي يرسمونها على الحيوانات بالكي ، وتعد بمثابة علامات للتعرف على ثروة كل قبيلة ..

وقبائل البجة لا تتقاتل إلا بسبب خلافات على الاراضي الزراعية والآبار والحيوانات والنساء .. ومن الغريب عاداتهم انهم إذا اخرجوا سيفا من غمده لا يعيدونه إلا إذا ضربوا به اي شيء .. كما انهم يفضلون الزواج المبكر بحجة ستر الاعراض ويشجعون زواج الاقارب لانهم خير لبعضهم البعض !

وهم يعشقون الموسيقى ، وتشكل الربابة اهم الآلات الموسيقية ، ثم يليها الناي ، وتستعمل نساؤهم «الدلوكة» في الايقاع ، وإذا اردت ان تثير أي واحد منهم فاقطع وتر ربابته وهو يعزف .. إن مثل هذا العمل قد يكلفك حياتك !

اما الشعر فله مكانة خاصة في قلوبهم ولكل قبيلة شعراؤها الذين يفخرون بالآباء والديار ويتحدثون عن الاسفار البعيدة والدروب الصعبة الوعرة وحرارة الشمس والعطش والمرض والجوع وسهر الليالي .. وعندما يتحدثون عن فنون القتال تلمح فرسانهم يصولون ويجولون دون ادنى خوف من الموت ! وترى اسلحتهم البيضاء وسيوفهم وحرابهم التي لا تخيب ضرباتها !

وفي هذه الاشعار تلاحظ عادة النار قوية ، متأصلة في النفوس .. ولعل



■ « تاجوج » الفتاة العربية المفرطة الجمال التي أحبها أشجع الفرسان !

شاعرهم «المجلدي» قد لخص العادة في شعره عندما قال :

ـ اذا حاربنا قتالا نجزع لما يصيبنا ونعيد الكرة على الأعداء لتشفي صدورنا !

أشجع الفرسان

ولكل قبيلة من قبائل البجة صفات تميزهم عن غيرهم فقبيلة الأمرار من فرعهم في القتال وقوة التحمل والهدندوة اكثرهم تملكا للأرض الزراعية والثروة الحيوانية ، وهم جادون ، سريعو الغضب ، لا يحبون المزاح .. بينما ترى قبائل البنى عامر مسالمة ، تنزع الى الحياة الوادعة المستقرة ولا يحلبون ابقارهم بأنفسهم لأن ذلك في نظرهم لا يليق بهم كأسياد .. اما قبائل الحلنقة فهم يعشقون الخيول ، ويرهم الله ترى الفرس والسوط في يده ، إلا انهم متسامحون متساهلون كرماء مع الضيف يقدمون له اللبن والحبوب واللحوم والقهوة !

وعموما فكل قبائل البجة تشترك في رشاقة الأجسام والشعر المجعد المسترسل ، والمبالغة في احترام النساء ، وكلما زادت أعداد الابل في قبيلتهم كلما كان ذلك يعني ارتفاع مكانة القبيلة وزيادة نفوذها .

وغير البجة ، يعيش بالقرب من مدينة كسلا قبيلة الرشايدة وهي من القبائل العربية التي نزحت الى السودان ، وأفرادها يميلون الى الترحال الدائم ، وأغلبهم يعملون في تجارة الابل ونساؤهم لا يكشفن عن وجوههن ، وشجاعة رجالهم تجعل لهم مهابة في كل المنطقة رغم قلة التعداد !

وإذا كنت قد سمعت عن قصة «تاجوج» الفتاة العربية المفرطة الجمال ، التي أحبها أشجع الفرسان «المحلق» وأصبح سكان المنطقة يتناقلون قصتها في موروثهم الشعبي .. فهي من نسل قبيلة «شكرية» ايضا في منطقة شرق السودان واسمها «الحمران» .

وقد اتفق شيوخ جيل ... عدة الهيئة وكل رجالهم في الماضي يحتمون سوقهم ويخرجون بحثهم للقتل... الاسود والأفيال ويعودون بجلودها بعد كل رحلة صيد !

وبالمناسبة فإن قصة «المحلق» وفتاته «تاجوج» سيقدمها السينمائيون السودانيون في فيلم سوداني طويل لا يكتفي فيه فقط بسرد الحدوتة ، ولكنه سيلقى الأضواء على حياة قبيلتها الصغيرة التي تسكن منطقة نهر ستيت عند الحدود السودانية الاثيوبية !

الحياة الجديدة

وقد رأى شرق السودان في السنوات الأخيرة عدة مشروعات صناعية في نطاق خطة التنمية ، خاصة في مدينة بورتسودان وكسلا .. هذا الى جانب المشروعات الزراعية في دلتا القاش وخور بركة حيث ينتج اجود انواع القطن ، مع العلم بأن مدينة كسلا هي مصدر الخضروات والفاكهة على نطاق القطر ، وهي تضم مزارع لأجود انواع الموز .

وفي البحر الأحمر المليء بالصخور البللورية ذات الأشكال الرائعة والتي ترتفع بعض قممها الى أكثر من الف كيلو متر ، قامت المواني البحرية التي لم تزد طوال تاريخها على ميناء واحد .. ففي أثناء الحروب الصليبية كان هناك ميناء «عيذاب» .. ثم اختفى هذا الميناء ليحل محله منذ القرن العاشر الميلادي ميناء سواكن بمسحة عربية اسلامية وبزخرفة معمارية في مباني المدينة متعددة الطوابق ، تستمد طرزها من العنصرين العربي والأفريقي .

وأصبح ميناء سواكن في القرن السادس عشر منافسا خطيرا لميناء لشبونة الاسباني ، نتيجة لموقعه الفريد الذي حماه من قرصنة البحر وغارات الترك !

وكان يفد على المدينة النابضة بالحياة والثروة تجار من كل صوب ، حتى من الصين والبرتغال ، وكانت كل افريقيا تتخذ منها نقطة تجمع للابحار الى رحلة الحج ..

غير أن النعيم لا يدوم ـ كما نصحنا اجدادنا في الماضي ـ فسرعان ما طوى المدينة البؤس ، وأصبحت شعبها المرجانية على الساحل تعوق السفن ، ووقتها ذهب الكولونيل «دالستون كيندي» بتكليف من وزارة الأشغال العامة لإعداد تقرير عن الميناء .. وعاد الخبير الانجليزي ليقدم أوراقه التي كانت تحمل حكما بالاعدام لا رجعة فيه وأخذوا برأيه ، ونقلوا الميناء الى خليج واسع عميق أمام مرسى الشيخ برغوث الواقع شمال سواكن بنحو ٤٠ ميلا .. وببداية ظهور الميناء الجديد في عام ١٩٠٤ اطلقوا عليه اسم بورتسودان



.. وفي عام ١٩٢٢ صدرت الأوامر بعدم استقبال أي سفينة على ساحل سواكن .. وعندئذ أصبحت المدينة ذات المنازل البيضاء والنوافذ الخشبية الملونة ، أشبه بمدن الأشباح ، صامتة ميتة ، لا تسمع فيها إلا صفير الريح وعواء القطط !

إحياء سواكن

وتحولت مدينة بورتسودان بسرعة هائلة الى مدينة كبرى ، وأصبحت المدينة الثانية في السودان من ناحية تعداد السكان والمدينة الأولى من ناحية استيعاب أكبر عدد من الأجانب ..

غير أن مدينة بورتسودان بطرازها العصرية وحركتها التي لا تهدأ لم تستطع أن تعوض جمال مدينة سواكن التي مازالت قبلة لعشاق الفنون ، الذين يقفون الساعات أمام المباني الدالة على عظمة المدينة الغابرة خاصة المساجد الإسلامية ذات الزخرفة البديعة وقصر الشناوي الذي جعلت غرفه بعدد أيام السنة ..

ولعل هذا الجمال دفع الكثيرين من أبناء السودان المثقفين إلى المطالبة بضرورة إعادة تعمير مدينة سواكن مع المحافظة على مبانيها القديمة .. خاصة وأن هذا التعمير لن يكلف الدولة الكثير ، فالمطلوب هو مجرد اعتماد ميزانية محدودة لصيانة المباني الحالية وترميمها !

ووقف الى جوار هؤلاء بعض الفنيين الذين لا يطالبون بإعادة ترميم المباني فقط .. بل يطالبون بإعادة فتح الميناء لأن الاعتماد على ميناء واحد في الاستيراد والتصدير مسألة غير عملية بالنسبة للدولة ، وأنه مع قليل من الرعاية يمكن إعادة ساحل سواكن لاستقبال السفن الصغيرة ، خاصة وأنه مازال حتى يومنا هذا مقرا لرسو السفن التي تأتيه – فقط – في موسم الحج لنقل الحجاج الى جدة !

حلاوى القرآن

ومن مدن البحر الأحمر النابضة بالحياة في الشرق .. المصيف الجبلي الشهير في مدينة أركويت الواقعة على تلال مرتفعة في قلب الصحراء على بعد ٤٥ كيلو مترا جنوب غرب سواكن .. وهو مصيف السودان الأول ، تغطي جبله الأشجار وتملأ سهوله الخضرة الدائمة وتشكيلة من النباتات المثمرة ، وتصله بالقطار ، لتتسلق الجبال إذا كنت من محبي هذه



الهواية ، أو تمتطي جمال قبيلة الهدندوة أو تشاهد زرقة البحر الأحمر من جبل الست ، أو تزور قبر البطل السوداني عثمان دقنه ؟

ويأتي بعد هذه المدينة من ناحية الأهمية مدينتان : سنكات التي تتمتع بمركز استراتيجي على أسهل طريق من النيل الى البحر ومدينة جبيت التي كانت منجما مشهورا للذهب !

أما في جنوب الشرق أو بعيدا عن خط البحر الأحمر ، فإننا نقابل عدة مدن من بينها أروما وطوكر وتردكيتات ، إلا أن أكثرها أهمية وحيوية هي مدينة كسلا التي تبدو أمامنا تحت جبالها التي ترتفع نحو ٨٥٦ مترا .. وهي مدينة نرى فيها النموذج الفريد بين العلاقات العربية والافريقية .. وهي تشكل مفتاح السودان عند ارتيريا . وقد بدأت أهمية المدينة منذ ظهرت تحت سفح جبلها قرية الختمية .. وزادت أهميتها عندما سكنها منذ القدم ، عائلة المراغنة وهم أهل دين وصلاح ! ومن تجمع المريدين حولهم بدأوا في العمل على نشر الدين والمعرفة وتحفيظ القرآن ، جنبا الى جنب مع بعض رجال القبائل أمثال الشيخ على بيتاي وآل ترك وآل دقنه الذين أسهموا في نشر الدين والتعليم والمعرفة .. فعرفت تلك المناطق في غياب المدارس النظامية الحكومية في السابق .. خلاوى القرآن وما يتبعها من كتاتيب .. ومازالت هذه الخلاوى تقوم بدورها في تعليم القرآن ولها أثر كبير على حياة الناس وترابطهم الديني والاجتماعي ..

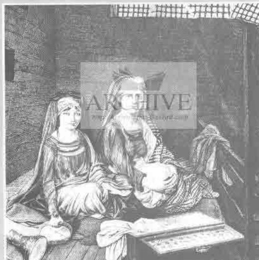
إلا أنه بظهور الحركة المهدية تحولت المدينة الى ترسانة عسكرية ، وتعرضت للتدمير من المستعمر في بعض أجزائها ، واحتلها الإيطاليون في عام ١٨٩٤ بالاتفاق مع الانجليز الذين زحفوا إليها عقب ذلك بثلاث سنوات واستولوا عليها عقب انسحاب القوات الإيطالية .. والغريب في الأمر أن الإيطاليين احتلوها مرة ثانية في عام ١٩٤٠ وظلوا بها عاما واحدا !

وهكذا نرى أن شرق السودان الذي كان جسرا للاتصال بالعالم القديم ومعبرا للهجرات العربية القديمة ، مازال يحمل في طبيعته أسرارا أغرب من الخيال .. ومازال كل شبر فيه لا يتفاعل إلا مع الذين يتذوقون الجمال ويعشقون واقع الحياة التي تثير في وجداننا الدهشة والاستغراب !

كمال سعد

عبد المنعم الجداوي

زوجة المشنوق تحمل صندوق الهدايا



تمنى لو مات قبل أن يفقد إيمانه بالذين أحبهم

أوثقوه بالقيود الحديدية وسرقوا كل شيء .. حتى زجاج النوافذ !

●●● قاطع طريق .. فاجر .. قود لحارة .. تهم ثلاث رموه بها .. اجاكت به لا شيء إلا لأنه أصر على الدفاع عن أهله .. وماله .. وعرضه .. فعندما أقبلت عسكر المماليك تريد السلب والنهب .. تصدى لهم .. قاتلهم .. طاردهم .. استنهض أبناء حية ضدهم .. فصارع أبناء الحارات .. خرجوا بالخناجر والعصي .. والبلط .. والسواطير .. هرب العسكر .. ذهبوا إلى الكاشف .. حملوا إليه الشكوى .. قالوا له «ابن السبطي» رفض أن يدفع .. مع أنه من أغنى التجار .. جرد المملوك حسين الشغن تجريدة .. وجهها إلى باب الشعرية .. وجعلها غزوة ضد الآمنين !

لم يحزنه أمر المملوك .. فهو لا ينتظر منهم عدلا .. الذي أحزنه أنهم جاءوا بشهود أربعة .. من أشباه الرجال .. أربعة من أبناء الحي .. تمنى لو مات قبل أن يفقد إيمانه بالذين أحبهم .. فالذي جعله يموت القهر شهود الزور الذين يشنق من أجلهم .. هؤلاء الجوعى المطلقون من إجلالهم .. المنافقون الذين يقتلون حبال المشانق .. ويقتلون الكرابيج تلهب ظهورهم .. ويرتلون الزيج الذل في رحاب العبودية !

غضب الحارة

حقيقة الأمر أنه أحس بالمهانة .. إذ ترك الجندي يأخذ البضاعة بلا ثمن .. فهو يحمي الحي كله .. فكيف يرضى لنفسه الظلم ! .. لهذا طلب ثمن القمصان الذي اشتراه الجندي .. فثار حفيظته .. وجز جبونه .. وألقى بالقمصان على الأرض تحطمه .. واصر على أن يؤديه .. حتى يكون عبرة لغيره .. وإلا لما اشترى الجندي شيئا دفع ثمنه !

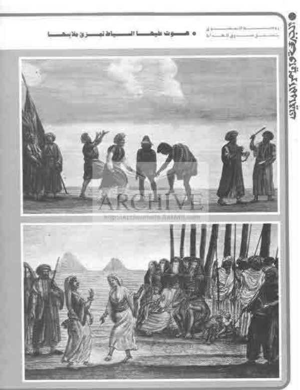
ولازت أعماق «ابن السبطي» .. وأعماقه متحجرة .. مملوءة بالحقد للطرون .. انهال على الجندي ضربا .. انضم إلى الجندي زملاؤه .. وانضم إلى التاجر أهله .. لتفجر الدخل .. تنادي أبناء «باب الشعرية» .. خرجوا من الحارات يقودهم الغضب .. تدفعهم عشرات جماعية .. تماسك خفي !! يقهر فجأة عند الناس البسطاء .. كلما لم يهو الخطر !

ضربوا العسكر حتى فرقوهم .. أجلوهم عن الحي .. طاردوهم في الحارات والأزقة .

ارفعوا المشانق

هرب الجنود من الموت .. يركضون نحو بيت القاضي .. احتلوا قصر الكاشف .. قدموا الشكوى مع الرعونة .. فتزلزل زلزال الكاشف .. انتفض غضبان .. بلا مكانه صاحبا .. صح يا بكوات الأمة في خطر .. يا .. أفذ الحكم يتزعزع .. ماذا بعد هرب العسكر .. ضاعت هيبتنا .. هان علينا الرعاع .. فليخرج أهل الوقف .. بالخيالة وحملة المزاريق .. والمشاة والصناجق .. لابد من سحق التمرد .. وشنق «ابن السبطي» في نافذة بيته .. علقوا كل الذين عاونوه على المشانق .. اجمعوا أهل الحي .. ليتعلم الجميع ويروا بعيونهم عاقبة من يعصى أمري .. أو يعتدي على عساكري !

انهالت على الحي قعقعة سنابك الخيل .. ارتفع صهيل الخيول .. سرت في الحارات صلصلة السيوف .. وهي تصطدم بركابات الخيل .. توقف كل شيء في «باب الشعرية» .. قبع الجميع خلف الأبواب يتطلعون الصامت .. تزاحمت العيون المشفقة بالدموع خلف المشربيات .. عربدت فرقعة السياط في الشوارع الخالية .. حوصرت الطرق المؤدية إلى بيت «ابن السبطي» .. تحولت الحارة إلى ثكنة للجنود .. ترجل فرسان مرد .. حطموا الأبواب .. اقتحموا الدار .. نهبوا كل ما كان في البيت .. حتى زجاج النوافذ خلعوه .. أوثقوا التاجر بالقيود الحديدية .. جروه في السلاسل .. انطلقت ألف شهقة من ألف صدر في وقت







وحده .. عجز النور عن الوقوف فى وجه الدموع .. ندت صرخة من مشربية فى أول الحارة .. فلت المرأة الملتفة فى صوت حزين .. صار كطرق زجاجة مكسورة .. يا للحسرة على شبابك !

كانت الأم تلقت .. مقوقة بالسواد .. جمعوهن من الليل .. تبتهو التى ظل ما يدور فى صدر جليل .. وسكون رهيب .. تتسلل دموعها .. تسيل فى أخاديد وجهها .. لكن بلا فزع .. تقدم على الحزن بيقين قدرى .. لا مفر من وقوع المكتوب !

الجلادون يعدون الحبال .. ويسحبون المشنقة لقاده قدما .. وهى واقفة شاخصة البيه فى العيون .. حتى عيون الجلادين .. وياتى صوت امرأة من الداخل .. تحسد اغلالا .. تمزق قيودا من الحبال .. ستقع وفى قرنيها بقايا .. سرقة .. القيت .. خرجت من الدار كقبلة القدر .. تلوت نفسها عن الشباك الموثق .. صرخت فى جنون .. جذوبى بدلا منه .. أستقوش معه .. لكن الفرسان انقضوا على المرأة .. حملوها .. ألقوا بها بعيدا .. ارتطمت عظامها بالأرض .. لكنها قاومت فى جنون .. اندفعت مرة أخرى تريد أن تحتضنه .. خيل لها أنها قادرة على حمايته .. وهوت عليها السياط تمزق بقية ملابسها .. هوت صارخة .. لكنها استمرت فى محاولتها .. تكاثروا عليها .. أقصوها .. تململ البطل فى قيوده .. صاح فيها بصوت رجل على وشك أن يلقى ربه : فاطمة .. أعذرنى .. واطلبى لى الرحمة من خالقى ..

صرخ كبير الجنود فى جنده .. يستعجلهم صنع المشنقة .. كانوا قد أعدوا كل شئ .. جربوا الحبال التى علقوها فى نافذة المنزل التى طالما أطل منها البطل .. وألقى بالإحسان على الفقراء فى المواسم والأعياد ..

وصرخ رئيس الجند فى الشهود الأربعة .. هل هذا هو ابن السنطى .. قاطع الطريق المؤذى لجيرانه .. الفاجر وأجابوه فى صوت مكروب .. منقطع الإنفاس .. مهدود من الحزن .. نعم !

نخوة النساء

ولم يفزع لفته حزن .. لم يجزع لكنه تألم .. فلم بصره يبحث بين الوجوه الواجمة عن وجه يمكن ان يقول كلمة حق .. ظلام سود نهار الشمس .. وظلم تساندة ذرية ضعف .. رجال سلبهم الخوف معنى الحياة .. فباتوا يحسدون الموتى .. ولا يلحقون بالأحياء ..

فلقه يتبدد شيئا فشيئا .. فقد اصبح الاحساس فجورا .. والوقوف في وجه الظلم قطع طريق ، وحيلة الجار اعتداء والذي على الجيران !

ودكت الجدران والنوافذ بصوت مسموع .. وضجت الحارة بالأنين والتشهيق ، والزفير .. وسقط ضوء النهار على ارض الحارة معتمر عليه .. ودكت كل شيء إلا العدم .. تحولت الكتلة التي كانت تضج بالحياة الى وليمة شهية للدود والحشرات .. والهوام .. وتهاوت الأم جالسة .. اما فاطمة زوجته .. فقد لطمت خديها ثم سقطت صريعة غيبة قاسية .

وعندما افاقت فاطمة .. كان كل شيء قد انتهى .. لم يعد زوجها إلا في الدنيا .. نهبوا حانوته .. اخذوا الجثة معهم .. دفنوها في مكان مجهول .. وكأنهم يمحون اثره دون ان يفطنوا الى انهم يخلدونه .

اغلقت فاطمة البيت ولم تعد جنازة .. لم تتلق تعزية .. فالنت تدق البيوت .. تقتحمها على اهلها .. كلهم يعرفونه .. كانوا يفتحون لها قلوبهم .. يطأطئون رؤوسهم .. شعروا بالذنب نحوها .. يتخبطون من الداخل والخارج .. يودون ان يستغفروا بالاستماع .. تصرخ في الجميع .. يا رجال الحي .. انا لا اخاطبكم فقد نفضت يدي منكم .. [illegible] الشر في نخوة [illegible] نخوة الى شتى [illegible] [illegible] القاهر [illegible] السيد الذي [illegible] زوجي [illegible] [illegible]

ابن بلد الشعرية كلها .. كلكن امهات .. وكلكن زوجات .. الرجال اطفالكن فلماذا لاتحرضونهم على اخذ الثأر ؟!

المظاهرة بالطبول

طافت بالحارات والأزقة .. دخلت كل بيت .. استقبلت بالدموع في كل مكان .. والتحمت المرأة فيما فشل فيه الرجال .. فلم تكد شمس اليوم التالي تشرق .. حتى كان باب الشعرية يغلي .. صعد المؤذنون على المآذن ، فانتبوا للاجهاد .. اغلق التجار حوانيتهم .. خرجوا يحملون البيارق والاعلام .. وخلفهم الآف النسوة يندبن .. يصرخن .. يشعين بابن البلد .. ويطلبن الانصاف من عسكر المالية .. واخترقت المظاهرة التي تتقدمها الطبول .. شارع امير الجيوش .. فالغورية .. واتجهت الى الأزهر .. فهرع المشايخ لاستقبال كبارها .. فخرجوا المشايخ ما كان بالامس .. وركب شيخ الازهر بغلته في مقدمة المظاهرة ..



اتجهوا الى القلعة .. يرفعون بلواهم الى «الباشا» .. وحمل النسوة «فاطمة» الى موضع .. تموج من فوقه .. وهن يرددن كلهن ما تقوله عن ثأر زوجها .. وشهدت القاهرة يوماً علق فيه الجزء الغضب .. واعلن فيه المطلوب من قهره .. !!

وقفوا في ميدان القلعة .. حتى علم اليهم شيخ الازهر من مقابلة «الباشا» .. قال لهم انه وعد باجراء تحقيق مع «الكاشف» ومحاكمة المسئول .. وعلات القاهرة .. وتفرق الجميع ..

وحينما ذلت «فاطمة» عائدة مع النساء .. تناولها في باب الخلق .. على قصر «حسين الشفت» .. وعلات عينيها من قصر الكاشف الذي قتل زوجها ..

في مواجهة الكاشف

وكانت القاهرة كلها تعرف ولع الكاشف «حسين» بالهدايا .. والرشاوى والذهب .. وقد اطلقوا عليه «الشفت»

ومعناها اليهودي لشدة ولعه بالذهب .. !

وفي نفس الاسبوع كانت «فاطمة» ترتدي افخر الثياب .. وحملت صندوقاً من الخشب المطلي بالذهب .. المزين بزخارف .. حملته تحت ابطها .. ومضت الى بيته .. تقدمت الى الحراس .. قالت انها تحمل هدية الى الكاشف .. امرهوا بدخولها .. التقى بها .. ابرزت الصندوق .. كأنها تقدم مولوداً على يديها .. فقبلها وجعله بين يديه .. ملأت البسمة وجهه .. سألها عن حاجتها .. قالت انها تريد انصافها من جار لها اعتدى عليها واخذ جزءاً من بيتها .. فوجئت بهذا الصندوق .. وما فيه هدية خالصة للكاشف .. !

وارادت [illegible] الصندوق [illegible] الى الحراس [illegible] [illegible]

[illegible] ثم رفعت الى عيون الجميع .. وهتفت

يدها به في الهواء .. وهوت به على المملوك الجشع .. فاستدار هارباً صارخاً .. لكن الخنجر كان قد انغرس في كتفه .. فمزق ملابسه .. وتفجر الدم عليها .. وانقض عليها الحراس بالسيوف .. وفي لحظة كانت جثة هامدة !

وكتم المماليك عن الجميع قصة «فاطمة» التي انتقمت لزوجها .. وظل «حسين الشفت» يعالج من جرحه عدة ايام .. ولم تخرج جثة فاطمة من بيته .. فقد القوا بها في بئر المدفنين .. لكن القاهرة كلها عرفت الخبر .. لأن فاطمة قالت لجاراتها وهي تحمل صندوق الهدايا وتلف جسدها بالرداء الاسود :

- انا ذاهبة للاخذ بثأر زوجي .. واما اموت او الحق بزوجي بعد ان ارفع رأسه [illegible] على حبل المشنقة امام جلاديه وامام كل اهل الحي !

عبد المنعم الجداوي







دمشق والعصر الذي أدمنته

جمال الغيطاني

...لدمشق عطر يلق في القلب، دمشق لا تزال تحتفظ بزمانها العربي القديم، بقدر ما تحوي من رقة وظل وندى، بقدر ما يحفل ماضيها القصي، والقريب، والآني بتحد عربي، يخفق القلب منها وتتردد ضرباته في جنبات التاريخ والعصر، عندما يسري الصمت، وتتوقف قلوب أخرى الى حين، عندئذ تمتشق الحسام، يضوي نصله هاديا، ومذكرا، ومنشدا، حتى يلحق به الأصل وينطوي الفرع، كانت أولى المدن التي رحلت اليها خارج وطني، نزلتها زمن الحرب، ودخان الحرائق ما تزال، ومدافعها مشرعة، وصواريخها ترسم خطوطا بيضاء تطارد كائنات الشر المحومة التي جاءت تبغى الأمان، والصلابة، والتاريخ، ثم عدت اليها مرة ثم مرة، وقاسيون شامخا كما هو، ولأنني في هجرة دائمة الى الزمان البعيد فقد رحلت مع دمشق الى العصر الذي أدمنته وعرفته، وتمنيت لو عشت فيه، العصر المملوكي، لعلي أكتشف سر هواها الدفين!

الإسطورة الدمشقية

..لكل مدينة أساطيرها، والأساطير الدمشقية تعود بها الى بداية الخليقة، بعد طرد آدم وحواء من الجنة استقرا في دمشق، لأن دمشق أقرب الأماكن في عالمنا الأرضي شبها بالجنة، هكذا رآها العرب الذين كانوا يعيشون في صحراء قاحلة، كان لآدم ولدين، أحدهما راعي، والآخر يعمل بالزراعة، وعندما أقبلا على تقديم القرابين الى الرب، قبل الله ثمار الأرض التي زرعها هابيل، ولم يقبل قربان قابيل الراعي، عندئذ امتلأ قلب قابيل حقدا، أقدم على قتل شقيقه، الى دمشق تنسب هذه الأسطورة، حيث الغوطة تمثل الخصب والزرع، والسهول المحيطة بها تزدحم بالمراعي الفقيرة، أما قاسيون المرتفع، فهو أعلى الذرى الذي تمت من فوقه القرابين، غير أن قاسيون لم يحتمل الجريمة البشعة أطلق صرخة موجعة انبعثت من مغارة لا تزال قائمة حتى يومنا هذا، وحتى القرن السادس الهجري كانت دماء هابيل الجريح ترى بوضوح في نفس المكان

دمشق
والعصر الذى أدمتلته

الذى شهد الجريمة ، وعندما حزن الملائكة ، نزل جبريل ليقدم التعازى الى أبونا آدم ، وكان المكان الذى تم فيه اللقاء كهف جبريل .

يشير القرآن الكريم الى أن السيد المسيح ، وأمه العذراء استقرا فى ربوة ذات قرار معين ، يقول المفسرون انها دمشق

يؤكد الواقع ان النبى لم يدخل دمشق لكن الاسطورة تقول بغير ذلك ، اذ تذكر زيارته لدمشق .

أسماؤها عديدة ، الشام أقدمها



ويرجعه البعض الى لفظ سام ، ومنها، « عين الشرق كله» اطلقه يوليانوس الروماني و« دمشق الشام » و« ذات العماد » و« باب الكعبة » و« فسطاط المسلمين » و« العذراء » ، ومن القابها « الفيحاء » و« الفناء » وجنة الأرض وقرية المسرة » . واللقب الاخير اطلقه عليها النبي ارميا .

يقول ياقوت في معجمه : إن دمشق سميت باسم دماشق بن قاني بن مالك بن ارفخشد بن سام بن نوح » ، ويقول في رواية اخرى » ان العازر غلام ابراهيم بنى دمشق وكان حبشيا وهبه له نمرود بن كنعان حين خرج من النار » وكان الغلام يسمى دمشق فسماها باسمه » ، لم يعود فيعطيها تفسيرا لغويا » قيل سميت بذلك لانهم دمشقوا في بنائها اى اسرعوا » وناقة « دمشق اى سريعة » .

ستيفانوس البيزنطي : الذى عاش في القرن السادس قبل الميلاد يقول : ان اسمها يرجع الى ان البطل دمسكوس ابن الاله هرمس جاء من اليونان الى سوريةوبنى مدينة باسمه .

في النقوش المصرية القديمة نجد اسمها (خيطا) وتعني تقريبا (الفضة) اما المؤرخ استرابون فقد ذكر مغاورها .

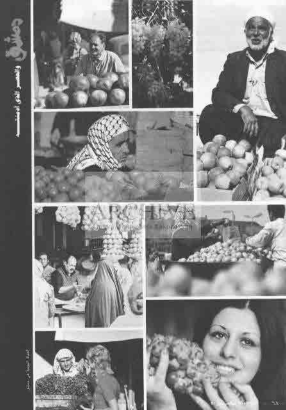
الباحثون يردون الاسم الى اصول كلدانية وسريانية » ويقولون ان الاسم ورد في الهيلوغريفية القديمة » في اثار تل العمارنة والكرنك بلفظ (تمسقو) و (تيرامسكى) و (دمشقا) ومعناها الأرض الزاهرة » او الحديقة الغناء .

لكن ماذا يقول التاريخ المكتوب ؟

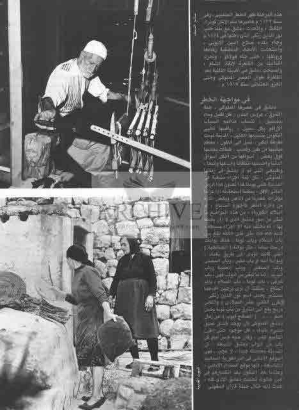
المدينة الثانية

تلوح دمشق في منطقة الشرق القديم كعاصمة للشعب الارامي منذ بداية الألف الاول ق . م في سنة ٧٣٢ ق . م تسقط في ايدى الاشوريين ثم تنتقل الى ايدى البابليين » ثم تخضع الى الفرس في القرن السادس » وفي سنة ٣٣٢ ق . م يحتلها الاسكندر الأكبر » ومن هنا يرتبط مصيرها لمدة عشرين قرنا بالغرب » السلوقيين اولا » ثم الرومان » ثم البيزنطيين » وفي سنة ٦١٢ للميلاد سقطت في ايدى الفرس الساسانيين » وتمكن هرقل من اخراجهم في عام ٦٢٧ ميلادية » ولم تمض سنوات قلائل حتى وقع اهم حدث في تاريخ دمشق » الفتح العربي سنة ١٤ هجرية (٦٣٥ م) وبعد ثلاثين عاما اصبحت عاصمة للامويين » ثم تعود مدينة تابعة للعباسيين الذين اتخذوا بغداد قاعدة لهم » ثم تحولت الى مصر في عصر الطولونيين » والاخشيديين » ثم تتبع الفاطميين » ثم تسقط بيد الامير (توتس) السلجوقي وتصبح تابعة لبغداد » في

كانت المواكب تتجه الى المسجد الكبير من احتفالات دينية



الحياة اليومية في دمشق



في مواجهة الخطر

دمشق

والعصر الذى ادمنته

(٦٩٨ هـ ـ ١٢٩٩ م) استباح المدينة ، وفعل فيها الفظائع ، حتى لتذكر كتب التاريخ ان القتلى بلغوا مائة الف ، وخرج السلطان بنفسه من القاهرة لصد خطر قازان ، يقول ابن كثير :

اجتمعت الجيوش الشامية والمصرية وفيها طلب الدعاء من الناس والامر بحفظ القلعة والتحرز على الاسوار فدعا الناس فى المآذن والبلد ، وانقضى النهار وكان يوما مزعجا هائلا ، واصبح الناس يوم الاحد يتحدثون بكسرة التتار ، وخرج الناس الى ناحية الكسوة فرجعوا ومعهم شىء من المكاسب ، ومعهم رؤوس من رؤوس التتار ، وصارت كسرة التتار تقوى وتزداد قليلا قليلا حتى اتضحت جملة ، ولكن الناس لما عندهم من شدة الخوف وكثرة الخوف لا يصدقون

القلعة المنصورة

وفى سنة ٨٠٥ هـ / ١٤٠٢ م ، جاء تيمور لنك الى دمشق ، حاصر القلعة المنيعة ، وعندما عجز عنها امر ان يطف تحتها وتقطع الاشجار وتحشى بها حتى اذا انتهى تعليقها اطلق النار فيما تحتها من الاخشاب ... الا ان تيمور لنك انسحب من دمشق بسبب الخطر العثمانى فى الشمال ، ثم مات فى سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م ، وكان قد بعث الى سمرقند بخيرة اهالى دمشق من الصناع والفنانين ، والى هؤلاء يرجع ازدهار الفن الاسلامى فى اسيا .

اننا نلمح القلعة ، التى كانت العمق العقرى لهذا الموقع الأمامى .

تقع القلعة فى الزاوية الشمالية الغربية من المدينة القديمة ، تحتل مساحة تقدر بثلاثة وثلاثين الف متر مربع ، تمتد من باب الفرج فى السور الشمالى الى باب النصر فى السور الغربى .

واحتوت على مساجد وحمامات ومدارس حتى اصبحت تشكل مدينة موازية ، فى سنة ٥٩٩ هـ ـ ١٢٠٢ م ، هدمها الملك العادل ابو بكر وشيد قلعة اخرى اقوى ، واكثر حداثة ، وظهرت الى الوجود القلعة المنصورة كما سماها قدامى المؤرخين بعد تشييدها بخمسين سنة مرت باول اختبار عندما جاء التتار من اتباع هولاكو سنة ١٢٦٥ م .

سقطت المدينة بايديهم ، وصمدت القلعة طويلا حتى اخضعها التتار ، ويرممها الظاهر بيبرس بعد ان هزم التتار فى عين جالوت ، وبعد اربعين عاما يعود التتار وتصمد القلعة لصدهم ، وبعد قرن كامل يجىء تيمور لنك وتمتنع عليه القلعة ، فيضرب الحصار حولها ويضربها لمدة شهر كامل قبل ان تستسلم

قلعة دمشق لا تزال تقوم حتى الآن ، محتفظة بكثير من ابراجها ، ومساحات من اسوارها

فى هذه المنطقة ... يمكن استعادة الزمن المملوكى لدمشق ، ... والحوارى ... وبين الحجارة العتيقة ... الخيل

كثيرا ما اضطر الدمشقيون الى الدفاع عن مدينتهم ، وادى ذلك الى



المئذنة الإسلامية

التجمع فى طوائف حرفية ، والسكن فى حوارى ، وكانت كل حارة تغلق ليلا واذا ما حوم الخطر فان هذه الطوائف كانت تنظم الاهالى فى الدفاع عن مدينتهم ، وفى السلم كانت ترعى مصالحهم وتقاليد الحرفة واسرارها ، لكن هذا الوضع لم يكن يسود الا فى فترات الانحلال العابرة وطوال العصر المملوكى لم يتغير شكل المدينة ، اذ ظلت الحارات هى اساس الحياة ، كان المماليك يدركون اهميتها كموقع امامى ، ومصد للخطر ، لهذا اعتبروها اهم مدينة فى سلطنتهم بعد القاهرة ، وسعوا من ضواحيها ، خاصة فى المنطقة المحيطة بالقلعة ، حيث كان يوجد سوق الخيل والسروج

المدارس والمبانى

احتوت دمشق على اربع وثمانين مدرسة دينية فى العصر المملوكى ، وكان لكل مدرسة وقف ، يزود المدرسة بحاجتها من المدرسين وما يكفل صيانتها والانفاق عليها ، وكانت مبانى المدارس جميلة رائعة ، وبناء المدرسة يتألف من صحن تتوسطه نافورة محفورة من الرخام تحيطه اربعة اروقة ، وفى الوسط يقوم قبر صاحب المدرسة وبانيها ومن اشهر مدارس دمشق ، مدرسة الريحانية ، التى كان ينفق عليها من وقف يتكون من بستانين ، وجزء من مزرعة واسطبل ، وكان بها خمسة وعشرين مدرسا ، يتقاضى كل منهم ١٢٠ درهما شهريا ، بالاضافة الى كيل كبير من القمح وكيل من الشعير لدابة المدرس ، وخصص ٨٠ درهم للنفق على الاحتفال بليلة النصف من شعبان ، اما ناظر المدرسة فكان يتقاضى عشر دخول المدرسة ، وفى الضواحى كانت المدارس فسيحة ، متسعة ، مثل مدارس الصالحية ، والقيمازية ، والاتابكية وكانت مدرسة العمرية من اكثر المدارس بالصالحية ثراء ، انشاها العالم ابو عمر ابن قدامة لتدريس المذهب الحنبلى ثم اصبحت فيما بعد مدرسة للمذاهب السنية كلها ، اتسعت مبانيها ، وضمت غرفا صغيرة كى يعيش فيها الطلاب ، وكان الناظر يوزع على الطلاب الف رغيف يوميا ، بخلاف الخبز اللازم لهيئة التدريس ، وفى رمضان تفتح مطابخها للناس حيث

يتناول المئات طعام الإفطار المكون من اللحم والحبوب والحلوى ، وكانت مكتبتها عامرة ، واستخدامهامتاحا للجميع

عرفت دمشق نوعا آخر من المنشآت الخيرية اهتم المماليك ببنائه ، وهو البيمارستانات ، وخلال الفترة الواقعة بين سنتي ٥٤٥هـ ـ ١١٥٠م ، و ٩٠٦هـ ـ ١٥٠٠م ، تم بناء تسعة بيمارستانات ثم بنى عدد آخر فيما بعد ، كان البيمارستان ينقسم الى جزئين واحد للنساء ، والثاني للرجال ، وكل جزء مقسم الى مقاصير ، للجراحة ، ولطب العيون ، والأمراض الباطنية ، والأمراض العقلية ، ويذكر الدكتور نيقولا زيادة في كتابه « دمشق » وصفاًدقيقا لأحد هذه البيمارستانات نقله عن المصادر التاريخية ، وهو البيمارستان القيمري ، الذي انشاه الأمير سيف الدين الكردي الأصل ، كان يقع على سفح الجبل ، يشرف على دمشق ، يتكون من قاعة كبيرة ترتكز على أعمدة يحيط بهامن جهتين مقاصير للمرضى ، وثمة مقصورة أخرى تستخدم كمخزن للأدوية ، وكان للبيمارستان عيادة خارجية تفتح للجمهور يومي الاثنين والخميس من كل أسبوع ، وكانت الأدوية تصرف مجانا للمرضى ، وكان بعض البيمارستانات يضم مدرسة للطب مثل البيمارستان النوري ، وقد الف الدارسون في هذا البيمارستان ستة وثلاثون كتابا في الطب ، وكان لابد من توافر شروط معينة في الأطباء ، منها أن يكونوا على خلق وذكاء ، وسلامة أعضاء الجسم وحسن ملبس وطيب رائحة ، وقدرة على كتمان أسرار المرضى وأن يكونوا راغبين في شفاء مرضاهم لا الحصول على ثروة منهم ، والحرص على التعليم ومنفعة الناس .

جماعة الزوايا

لازلنا في دمشق المملوكية ، هنا منشآت دينية أخرى تستحق الرؤية انهاالزوايا ، أو الخانقوات ، مكان المتصوفةنجد في دمشق ثمان وسبعين زاوية ، للرجال ، وزاويتين للنساء ، الزوايا أماكن للعبادة ، وللتعليم ، لنر إحدى هذه الزوايا من خلال عين ابن جبير ..

عرفت المدينة قسوة
المجاعات والأوبئة ..
لكنها لم تنطفئ أبدا ..

«ومن أعظم ما شاهدناه لهم موضع يعرف بالقصر ، وهو صرح عظيم مستقل في الهواء ، في أعلاه مساكن لم ير أجمل أشرافا منها

ولكل زاوية شيخ يرجع اليه في أمور جماعته ، ولشيوخ الزوايا كلهم يتبعون شيخ الشيوخ الذي هو بدوره حلقة اتصال بينهم وبين أصحاب السلطان ، إن مشايخ الزوايا القدرة على الإثارة [illegible] أمام السلطة ، ولكن لا يسجل لنا التاريخ أنهم فعلوا ذلك ، وبالواقع إن هذه الزوايا كانت تحت سيطرة الدولة تماما

الرحالة والوصف

الرغم أهمية دمشق في انتعاش أحوالها الاقتصادية ، نجد بها العديد من الصناعات العسكرية ، كذلك كانت دمشق مركزا حيويا هاما في الطريق الى الحج ، كانت نقطة انطلاق الى مكة المكرمة ، ومنها تزود الحجاج بالمؤن ، خاصة وأن الطريق طويل كانت الابل تقطعه في ثلاثة شهور ، وفي هذه العصور كان الحجاز بلدا فقيرا لا يفي باحتياجات الحجاج الذين يترددون عليه ولأن دمشق نقطة هامة على الطريق ، فقد قصدها عدد كبير من الرحالة الأوروبيين زارها نيكولو البوغيبونسي ، وجورجو غوشي ، وبرتراندون دولا بروكييه ، ولودفيكو دي فارتما البولوني ، وقد وصفوا المدينة ، خاصة القلعة ، وقصر بيبرس ، ودار العدل والميدان الأخضر ، وميدان الحصى ، ومواكب نائب السلطنة والاستعراضات العسكرية ، ومغادرة الحجاج لدمشق من نقطة تقع جنوب المدينة ، وأسواق دمشق ، ووصفوا تنظيم الأسواق ، والصناعات ، ولا زال سوق الحميدية يحتفظ بهذا التنظيم المدهش اذ تتوالى فيه أقسام السوق ، خصص كل قسم لسلعة معينة ، في عصور المماليك اشتهرت دمشق بصناعة المنسوجات ولا تزال حتى الآن ، خاصة المنسوجات الحريرية ، والزجاج ، والخزف ، والفخار ، والشموع والأحذية وقد وصف الرحالة الأوروبيون هذه الصناعات بدقة ، وأهم مايلفت النظر فيها حتى اليوم النمنمة الدمشقية والدقة البالغة

الموكب المهيب

الفخامة من سمات دمشق المملوكية اذا ما جاء السلطان من القاهرة ، تزين المدينة ، وعندما يتجه الى المسجد الأموي درة المساجد فانه يمشي في موكب حافل ، يتقلد المقصورة بنفسه ويتأكد من زينتها ، فوق رأسه ترفع المظلة الصفراء بينما ترفع أمامه العلامات والبيارق ، بينما تدق الطبول والكوسات ، نائب السلطنة في الشام يحذو أيضا حذو سلطانه ، إن مواكبه فخمة ، اذا خرج للنزهة أو اللعب بالصوالجة يحف به الأمراء يرتدون معاطفهم الحمراء ، يجلس فوق كرسي مغطى بالحرير ، يتوسط رجال الدولة ، وكثيرا ما كان يمد أسمطة حافلة ، في سنة ٧٠٨هـ ـ ١٣٠٨م ، احتفل المظفر بعيد المولد النبوي ، ذبح خمسة آلاف خروف ، وعشرة آلاف من الطيور المحمرة ومئة ألف زبدية من الخضار المطبوخة ، وثلاثون ألف صحن من الحلوى .

ولا يعني هذا السماط الحافل أن أيام دمشق المملوكية كانت تمضي على وتيرة واحدة ، فقد عرفت المدينة قسوة المجاعات والأوبئة ، ونوبات ارتفاع الأسعار ، أيام قاسية عديدة مرت بدمشق لكنها لم تنطفئ أبدا ، كانت تعود أكثر حيوية ، حتى لا يبدو لنا الآن من زمانها المملوكي الا التألق والنمنمة ، والصفاء الدمشقي الجميل .

جمال الغيطاني


الصورة
خيرية البشلاوي

بعيدا عن الرواج الذي تم من واحد من أقدم أشكال الإبداع في التاريخ الثقافي للعالم - اللغة - وبين آخر فن من الفنون التي ابتكرها الإنسان - السينما - في أكثر الأزمنة توفيقا.

وإذا كان الفن السابع هو الفن الذي جمع في إطاره كل أشكال الفنون الأخرى (التمثيل والرسم والنحت والرقص والموسيقى والعمارة) إلا أنه مثله مثل الدراما المسرحية ومثل الأدب الروائي لم يصبح مقصدا شاعرية الصراعات الإنسانية - الروحية والجسدية والسياسية - من تاريخ البشر، (إلا أنه أيضا) التفت إلى الموضوعات الملحمية الكبرى التي تقوم على مضمون تجربة مساعي الإنسان التي تفهم معنى لوجوده في الكون وإلى اكتشاف القيمة الجديرة به في الأرض.

ومن الممكن أيضا أن نقول إن اقتحام السينما للموضوعات الملحمية ساعدها على اكتشاف وتطوير لغتها الفنية الخاصة بها، لغة الصورة المتحركة التي تضم كل الفنون الأخرى.

وهذا أفضال اكتشاف للغة



اتجاه السينما للموضوعات الملحمية ساعدها على اكتشاف وتطوير لغتها الفنية

الموضوعات التي اتجهت السينما إليها بكثرة والسينما ومعها لم يكن تعرفه أولا لنا، ولذلك التاريخ القديم، وكذلك التقليد للقصص والكتب الدينية من القصص والملاحم والأساطير المثيرة والبطولات الأسطورية وجهد الأنبياء وقصص الرسل والفتوحات وأبطال التاريخ وغيرهم.

المعجزات والخوارق

وقد اكتشف الرواد من صناع الفيلم الأسطوري المصرية والمشرقية التي تنتجها الملحمة، والتجه لويس لوميير

وتطرح تقليده إلى الموضوعات القديمة وإلى إعادة بناء التاريخ ... كانوا بمثابة مستعرض الكثير من التاريخ ... والبطولات والاحتفالات الطقوس والتيمات الدينية القديمة ومسرحيات الخوارق والمعجزات المسرحية التي ... وجدوا فيها ... العصور في القرون الوسطى ...

إمكانيات قوية ... تتحدث من المسرح ... بعد ... الذي وخروجه إلى الناس عام ١٨٩٥.

إلا أنه بعد ... الفيلم ...

... عام ١٩٠٥ ... على ... القصة ... تحت تأثير ... في التاريخ ... للمجموعة الأولى ... لا ... التاريخ ... والبطولات ... الفيلم ... تستطيع ... العرض ... يمثل ... الأول في هذا المجال ... سينمائيا ... النشأة التي ... الفيلم ... الفيلم ... بأن ... على مشاهدتها.

ظلت الملحمة مهملة لمدة ١٥ عاما بعد ظهور فن السينما

إنها نافذة تعطي الحياة من الماضي إحساسا ملينا بالمغزى والهدف

لقد كان المغامرون والمعتوهون العرب على أن يصبحوا بالنسبة تجاربه المأساوية المغامرة القديمة ، حيث تجمعوا لتحديهم ، وهم يحاربون البرابرة ويواجهون المحاورى في التلال الساحلية الرومانى بقلعة في يحيط الحكمة ، يخوضون البحر المجهولة ويقاتلون الغيلان التي لم تكن لا تفكر قتلها سوى شكل عن على .

وكانت هذه الثقافة السحرية تماما تتيح بشكل المغامر أن يتيقن أو يسافر تحت ظلمة الجن والموت والأبطال والشهداء العظام التي تعطي الحكمة من الماضي حسا قويا وإحساسا ملينا بالمغزى والهدف .

قمة الانبهار

وقد كانت عملية البحث عن الإبهار البصري ، ومن القطار المثير [illegible] والملاحم الشرقية مما كشفته من إبداعات ... فأنك هناك عطية صناع الفيلم الأوائل التي تحمل التجريب ... أنهم بحاجة إلى مساحة ... يمكن أن ... الإطار ... أن الجمهور ... روح الملحمة ... [illegible] ... تحت ... والجمهور ... وحركته

الدرامية

إن الملحمة هي أعظم وأنبل صورها في الحقيقة طرقا من أجل المشاهد فيها المشاهد وتجاربها ... وفي سموها وارتقائها ، ومن أجل الحصول على تلك الانفعالات التي تتمم أكثر في مضامين الإبداع والعمق ... ولهذا يبدأ جريفيث الذي صنع شكل الملحمة بما يشبه الرؤيا ... في المستقبل ... جريفيث يقول في فيلمه التعصب (١٩١٦) الذي أنتجها أكثر اتفاقا ... لا ... بحشد ... في تحقيق طموحه بأن يجمع ثلاث شاشات إحداها إلى جوار الأخرى حتى يتسع لجمهور


IX

الأفلام الملحمية تستمد خلودها من مقدرة الفنان

الملاحم التي أتاحت للمشاهد رؤية الزلازل والبراكين

نابليون في فيلمه الذي اخرجه تحت نفس الاسم عام ١٩٢٦ بالحركة وحلي يتيح لعين المتفرج رؤية فائقة لصور زاهية شديدة الكثافة تشترك بالعناصر المرئية التالية

فن الملاحم

لقد اثرت الملحمة العمل السينمائي السردي ورفعته من مستوى الحدوتة المسلية الى ما هو أعظم وأكثر بهاء وأعلى صوتا عن الحياة الموحية الخالدة وقصصها الهائلة. لكن علينا أن نميز بين الفيلم الملحمي وبين المشهد المنظري رغم أن التعريفين لا يمكن فصل احدهما عن الآخر. فالفيلم الملحمي هو فيلم منظري بالضرورة، أي انه يعتمد على المناظر الضخمة والغنى والثراء البصري للصورة، وعلى تجميع العناصر المرئية وحشدها داخل اطار الصورة. ولكن ليس كل الفيلم المنظري لا يكون بالضرورة عملا ملحميا.

والملحمة هي الموضوع الفني الذي يتجاوز عنصر السرد القصصي الى اشياء أخرى أرقى وأعظم ومشحونة بالايحاءات وبالمعاني والدلالات التي تتجاوز الحدوتة او القصة السردية. أما العمل المنظري او المشهدي فهو يعتمد على شكل [illegible] مشحونة ... وحينئذ [illegible] يتحول الفيلم الى عمل مصطنع ملئ بالادعاء والافتعال.

وفي السينما تستمد الافلام الملحمية خلودها ومدرتها من مقدرة الفنان التعبيرية وقدرته على تحويل المضمون الى شيء مرئي كاسح وجامح التأثير. ومن هنا يكون الفنان السينمائي نفسه





الاستيلاء على انتباه الجمهور

بالديكورات الضخمة

عندما تتحول الفيلم

الملحمى إلى شيء ضخل مفتعل

هو المبدع الحقيقي للفيلم الملحمي وليس المصدر الذي استخرج منه موضوع ملحمته [illegible]

أبطال التاريخ

[illegible]

بداية الاقتباس

[illegible]

خمسين عاما ، وقدمه لاخراجه في الوقت نفسه ويشوها .

ولم يكن كوبوشيرير في أول الملاحم [illegible] أو طويلا ، لكنه كان في [illegible] حقا أننا نرجعها الى أمثلات الشاشة بأمثلة ملتفة ... بالأسوى من تسيرك ويلحيد التي استطاعها المخرج من [illegible] الحكمين والممثلين المحترفين لأداء الأدوار الكبيرة ... [illegible] هو النموذج الأهم شبيها لتقديم [illegible] حيث [illegible] الملحمة الشكل عام على [illegible] أو حدث تاريخي له دلالته وبكثة المشيئة ، على [illegible] للاعب [illegible] الجدي ، المعارك وعمليات [illegible] بالأسلحة والدمار والموت ، وقدرة البطل الفرد على الانتصار وتحقيق المقدمات الرهيبة التي تستحق امامها [illegible] المعنيون ... وهدف الانتصار على

الشهوة وهجمة اللذات والشر والشيطان والوحوش والمغامرات الوطنية وغير ذلك من الانجرافات الاخلاقية .

وهكذا رأى الكل من الجمهور في [illegible] السنة الأولى الفيلم المنضج الايطالي «كيو فاديس» عام ١٩١٢ الفيل على طول استدامتين بالتتالي ويشهد الولائم [illegible] [illegible] [illegible] ووضعهم شعار [illegible] التي تقيمها الأسلوب الذي [illegible] [illegible] [illegible] عصبة القادة [illegible] مواجهة الأسود الجائعة التي [illegible] عليهم وتلاويهم بلا رحمة !

وقد أوحي هذا الفيلم الايطالي الى المخرج الامريكي «جريفيث» بعمل فيلم على غرار [illegible] ، [illegible] [illegible]

عصر فيلم «جوبيث بيتوليا» (١٩١٣) ويعده خرج فيلمه الشهير «مولد أمة» عام ١٩١٥ الذي يعتبر أول ملحمة أمريكية في تاريخ السينما .

وفي عام ١٩١٦ [illegible] فيلمه «التعصب» الذي يعتبر حتى الآن أحد أهم الأعمال السينمائية الملحمية التي [illegible] .

ويعتبر هذان الفيلمان الامريكيان من أكبر الأعمال حالا على وسيلة الفيلم وعلى مدى قدرتها التعبيرية ، فقد بقيا على مر عقلية [illegible] ، ولا [illegible] في مصر وسيلة ترفيهية وحدها [illegible] [illegible] وفنية باهرة .

الميزانيات الضخمة

وقام الفيل التجاري الفاجع الذي سبب [illegible] فيلم التعصب [illegible] لخمس





لماذا قال «سيسيل دي ميل»

سوف يعثر المشاهد على قطعة من «جريفث» في كل فيلم ملحمي؟

المخرجون للأعمال السينمائية الضخمة التي تعتمد على المشاهد الكبيرة والمؤثرات الباهظة، وكان تفسيرهم للفشل التجاري الذي مني به «جريفيث» يعود إلى كونه فنانا يعرف كيف يسيطر على وسيلته الفنية، لكنه لا يعرف كيفية السيطرة على ميزانية الفيلم.

وبدأ بحث المنتجين عن ملاحم غنية بالإمكانيات التي تتيح الفرصة للمشاهد أن يعيش الزلازل الأرضية، ويراقب أمواج الماء والجبال، ويروع بالبراكين والانفجارات الأرضية ويشهد الانهيارات الجليدية ويتعلق بصره بألسنة اللهب والحرائق المدمرة، وعلى ذلك زادت ميزانية الأفلام واجتهد أصحاب الصناعة السينمائية في بناء دور العرض الضخمة وارتفعت أسعار تذاكر الدخول.

وأثناء البحث عن هذه الموضوعات المناسبة اكتشف كتاب السينما الإمكانيات الهائلة التي يوفرها «الإنجيل» فخرجت أفلام مثل «ملكة سبأ» (١٩٢١) للمخرج الأمريكي جوردون ادوارد، وحقق نجاحا تجاريا كبيرا.. ثم فيلم «سادوم وجومورا» (١٩٢٢) و«شمشون ودليلة» (١٩٢٣) وأنتج موريس تورنير فيلما بعنوان «المسيحي» عام ١٩٢٣ وروى المخرج راؤول والش قصة الابن الضال في فيلم «المتجولون» عام ١٩٢٥.

أفلام للتجارة

وظهر المخرج الأمريكي «سيسيل دي ميل» (١٨٨١ ــ ١٩٥٩) ابن رجل الدين المسيحي كأحد أكبر المنافسين لجريفيث، وبدأ بأفلامه «المرأة جان» (١٩١٧) «والمرأة التي نسيها الله» إلى سلسلة الأعمال السينمائية التي تعتمد على موضوعات دينية وتضم في الوقت نفسه عناصر الإبهار إلى جانب عنصر الدراما الذي كان يضمن تأثيره بفضل حساسية الموضوعات التي يعالجها.

ومع ذلك بدا واضحا مدى تأثر



سيسيل دى ميل بزميله الإمريكى جريفث وقد اعترف بقوله سوف يعد المشاهد على اثنه من جريفث فى كل فيلم ملحمى للنجمه امريكا .

وبعد نجاح فيلم «مذبحة الرجال» ١٩٢٢ كلفت شركة بارامونت المخرج سيسيل دى ميل بعمل فيلم «الوصايا العشر» (١٩٢٣) الذى بلغت تكاليفه وقتها ١٫٦ مليون دولار .

وبعد النجاح الكاسح لدى ميل اتخذ هذا الفنان من الانجيل واجهة يختفى وراءها كل عناصر الفيلم التجارية التى يشحن بها اعماله ، فتحت شعار الدين وقصص الانجيل امتلأت اعماله بمشاهد الجنس والمجون والخطيئة والعنف وجو التآمر والرعب والنزعات السادية .

واستولى على انتباه الجمهور بالديكورات الفخمة والمشاهد المذهلة وبالمؤثرات الخاصة .

وتمادى فى هذا الاتجاه عندما اخرج فيلم «ملك الملوك» (١٩٢٧) الذى حقق نجاحا طيبا .

وقد تأكد لدى المتفرج ان صناع الفيلم يتسترون فى رداء المسيح من اجل الكسب المادى ، ومن خلال افلام تجارية تأتى لهم بالربح رغم تكاليف الانتاج المرتفعة التى وصلت الى ٣٫٢ مليون دولار (اى ما يوازى نحو ٣٥ مليون الآن) وسادت النزعة التجارية على النزعة الملحمية فى هذا النوع من الافلام ، واصبح الفيلم الملحمى برغم التصوير الجيد ، والمؤثرات الخاصة المثيرة والصنعة الفنية الجيدة فيلما ضحلا ومفتعلا لا يخلو من السذاجة .

الملاحم الادبية

لكن الفيلم الملحمى لم يتوقف عند الموضوعات المستمدة من الانجيل والتوراة ، وانما اتجه من ناحية الى الملاحم الادبية القديمة ، ومن ناحية اخرى اتجه الى التاريخ ، والى التراث المسرحى والتراجيدى الضخم لكى يحول المسرحية الى عمل ملحمى سينمائى ، وفى جميع هذه المجالات حققت السينما انجازات كبيرة ارجو ان نتمكن من التعرض لها فى موضوعات لاحقة ..



م . كجراى

بطاقة حب لأسمرا

وحين يدق على باب داري ساعي البريد
أرى الجرح يدرك ،
أرشف في غربة الليل قطرة همي الجديد
فانك يا أسمرا شهقة الفجر في وطن الأغنيات ،
وأجنحة للعصافير تخفق فوق سماء المطار البعيد
سئمت مراوغة الزمن المنحني القبع في باحة الانتظار
فجئت إليك لنك مع الغاضبين الجدار
واكتب الأذكار حبي على كل عطفة درب ودار
واحكم حول الظلام الحصار
ليختنق الليل في غرف الانتحار
أودع كل حدود الاشارات ،
أعبر بين خطوط المطارات ،
أفتح بابا على ساحة الانفجارات ،
لن تعلن فيها قصف ونار

وملحمة سوف تبدأ من حيث يبدأ خيط النهار
كتبت مقاطعها في اغترابي بكل الحواس
ومزقت انبعث اللامبالاة ،
حين تدفق مثل النسيم دخان النعاس
وعاندا في اخضرار المسافات أعشق كل تراب الوطن
واقسم اني سأناضل عن وجهك العلي ،
أحرق في ساحة الثور كل جذور المحن
أطلق فانك يا دقة الفجر ترنيمة الغاضبين
والأنشودة في فم الغائبين
ومقبرة للظلام الرهيب على برزخ الذل والانكسار
ولونا يقود الخطى لذرى المجد والانتصار
فدى يديك فهذا السكوت نذير بقرب سقوط الجدار .

م . كجراى



الذاكرة

أو القدرة على تذكر الأشياء

كيف يستطيع البعض أن يكونوا أقوياء لذاكرة في بعض الأمور ؟

طاقة العقل التخزينية هي ألف جزء من المعلومات الجديدة في كل ثانية من حياتنا

الذاكرة ، او القدرة على تذكر الاحداث والتجارب التى مرت بنا ، جزء حيوى للغاية فى حياتنا ، فهى التى بوعى منا او دون وعى ، تهدينا فى العودة الى ديارنا ، وتاخذنا الى مكان عملنا صباحا ، وتمكننا من قضاء وانجاز اعمالنا ، وعلى إقامة علاقات مع اصدقائنا واسرتنا وزملائنا فى العمل ، وحتى المهارات العادية كالمشى والكلام هى نتيجة لقدرتنا على تذكر الاشياء التى تعلمنا فى سن مبكرة .

كيف تعمل الذاكرة

ولكن كيف نتذكر الاشياء ؟ وما مدى حجم ما يمكننا ان نتذكره ؟ ولماذا ننسى ؟

بالرغم من أن الذاكرة قد ظلت موضوعا للبحث المكثف سنوات طويلة ، فان ما نعرفه عنها قليل جدا بالنسبة لما بذل من جهود لمعرفتها . وقليل هو ما نعرفه عن كيفية قيام الذهن بتذكر الامور ، والسبب النسيان الذى نظن انه يمارسه . ولكن الثابت هو انه ما من لحظة تمر بنا دون ان نكون قد استخدمنا الذاكرة لامر او اخر . وغالبا ما نقوم بفرز المخزون الهائل من الامور فى الذهن بسرعة سرعة ... مصطلح «الحقيقة» او الذاكرة او الذاكرة القريبة .

أنواع الذاكرة

إن الانواع المختلفة للذاكرة كافية لان تجعل الامور تختلط علينا . هناك الذاكرة التى تسترجع الاحداث ، كان يتذكر احدنا مثلا حادثة ماضية جرت يوم زواجه ، وهناك الذاكرة اللغوية التى نستعيد بها نظاما معقدا من المعلومات .. كاللغة . وهناك الذاكرة التى تحشد الحقائق التى لا تتصل مباشرة بحياة الفرد ، كالحقائق التاريخية .. اما الذاكرة الحسية التى تتداول الصور فهى الاقوى فى كل الناس .. وهى قائمة على المشاهدات والاصوات والتذوق واللمس والشم . وهناك الذاكرة الغريزية التى تمكننا من القيام بافعال غريزية كالتنفس والنوم والهضم .

ولكن السر الذى لايزال مغلقا هو كيف يستطيع البعض ان يكونوا اقوياء ذاكرة فى بعض الامور ــ بعض اجزاء الذاكرة ــ ولكنهم يفشلون تماما فى تذكر اشياء اخرى .

طاقات عاطلة

لقد ثبت لنا ان الذهن وقدراته فى تخزين المعلومات يفوقان كل ما يمكننا تصوره . إننا عادة لا نستخدم إلا ١٠٪ من قدراتنا الذهنية . وحتى هذه النسبة مبالغ فيها كما يرى بعض الباحثين ، إذ عندهم اننا لا نستخدم اكثر من واحد بالمائة من طاقاتنا الذهنية . وترى تقديرات طاقة العقل التخزينية ان بالدماغ مجال لحفظ الف جزء من المعلومات الجديدة فى كل ثانية من حياتنا من الميلاد الى الشيخوخة . وعلى ضوء التجارب التى اجريت حديثا ، يعتقد بعض الباحثين اننا نستطيع فى الواقع ان نتذكر كل شىء وقع لنا . وقد يحتج احدنا بانه يعجز عن تذكر اى شىء لان ذاكرته مثل الغربال . ولكن فى الواقع ان ذلك ليس صحيحا .. وليس على ذاكرة مثل ذلك الشخص اى غبار . كل ما هنالك هو انه تعود ان يقلل من قدرتها .

خدمة متواصلة

إن الناس يستهينون بذاكرتهم للغاية ، كما يقول بيتر راسل ، مؤلف كتاب



«الذهن» وهو عالم نفساني امريكي - فالذاكرة مستخدمة طيلة الوقت تقريبا ، ومع ذلك نظن ان الامور اليومية المعتادة التي نتذكرها لا اهمية لها او لا تتمتع باي شيء خاص .. ونحن بذلك إنما نميل الى تناسي ان هذه الاشياء هي في واقع الامر ذكريات ..

سوء الاستخدام

ان معظم الناس يظهرون اعراض سوء الذاكرة ، فاذا قدم لنا عشرون شخصا في حفل عام فاننا لا نتوقع ان نتذكر منهم اكثر من خمسة اشخاص ، وذلك مايحدث فعلا ، لاننا لا نحاول ان نتذكر اكثر . فالمسالة مسالة موقف . فلا امن الواحد منا بانه يستطيع ان يقوم بشيء ما فانه سيفعله . إننا في هذه الحالة نحيا وفقا لتوقعاتنا او انعدام التوقعات لدينا . اما اذا فهم المرء المبادىء الاساسية للذاكرة ، وامن بانه يستطيع ان يتذكر اكثر . فالراجح انه سيجد ذاكرته وقد اخذت تتحسن .

لا مكان للنسيان

وهناك ادلة وافرة تثبت اننا في الواقع لا ننسى اي شيء . فالذهن يتذكر ويستعيد كل شيء حدث لنا .. وهذا ما يظهره التنويم المغناطيسي واثارة المخ . فاذا كنا لا نستطيع استعادة معلومة ما على الفور ، فذلك لا يعني انها قد فقدت ، ولكنها فقط لا سبيل الى استعادتها في الوقت ذاك . ويمكن ان تستثار في وقت لاحق بالسمع او البصر او الرائحة او اي مثير اخر .

فلماذا — اذن — لا نستطيع الوصول بشكل دائم الى المعلومات التي يختزنها بالنا ؟

نظرية راسل

هناك عدد من النظريات لتفسير ما يبدو علينا من نسيان . اننا في بعض الاحيان نكبت دون ان نعي تلك الذكرى غير السعيدة او المؤلمة ، او تلك التي تثير الكدر او القلق ، فنقوم باحتجازها لكيلا تعكر صفونا مرة اخرى . وقد نفقد الاتصال ببعض المعلومات لاننا لا ندعمها . وقد تقوم الذكريات الاكثر حداثة باغراق ذكريات قيمة . كما اننا ننسى بعض المسائل التي لا تبدو لنا ذات فائدة او قيمة . وبعض الذكريات يتلاشى بمرور الزمن .

وهناك بالطبع مسالة الموقف الذي يهيئه الذهن . والذي يفسر كثيرا من تلك الامور التي يتبدى لنا اننا قد نسيناها .. لان النسيان هنا هو نتيجة لتغير الاستخدام الذهني .

وفي اغلب الاحيان نجد اننا إن وضعنا شخصا ما في موقف كان فيه ذات يوم . فان ذلك يثير فيه ذكريات كثيرة منسية بالنسبة له . وهذا ما يفيد به بيتر راسل .

إثارة التعلم

انا الدكتور جيمس ماكغوه عالم الاحياء النفسانية والطب النفسي [illegible] [illegible] ، فانه يطرح طريقة اخرى ، وكان اننا نعرفه مع الدكتور بول لويد في جامعة [illegible] . فلا اثر تجارب عديدة على العقاقير المنشطة للذاكرة كالاستركنين والامفيتامين والكافيين .

وفي تلك التجارب تم تعليم حيوانات المختبر على كيفية الجري السريع في ممر ، واعطيت جرعات من العقاقير فيما بعد ، ثم تم قياس ما احتفظت به هذه الحيوانات مما تعلمته ، وذلك على فترات



يوم واسبوع وشهر . فوجد العلماء ان تجربة التعليم قد اظهرت تحسنا كبيرا وملحوظا في القدرة على الاحتفاظ بالمعلومات (التذكر) إذ ان تلك الحيوانات قد استطاعت تذكر امور ما كان هناك سبب لتذكرها .

وكانت تلك التجارب لتحسين الخبرات وتقوية الذكريات المتزامنة .. ووضح معظمها ان الهرمونات في الجسم تقوم بنفس ما تقوم به مثيرات الجهاز العصبي التي استخدمها العلماء في تجاربهم على الحيوان .

دور الهرمونات

ويقول الدكتور ماكغوه : «ان التجربة المثيرة او المخيفة تطلق الهرمونات في الجسم ، كهرمون الادرالين ، ولها نفس الاثر كالعقاقير في اثارة ما ينتج عنه تحسين للذاكرة فيما يخص تلك التجربة فاذا سالنا عابر سبيل عن الوقت فاننا لا نعير تلك التجربة اي انتباه ، اما اذا شهر في وجهنا سلاحا وسالنا عن الوقت فان الامر يختلف تماما : اننا حين نمر بتجربة مثيرة ، تنطلق الهرمونات في اجسامنا وتقوم مباشرة او بطريقة غير مباشرة بتقوية تلك التجربة في اذهاننا» .

وهكذا نجد ان تصعيد الدرجة العاطفية لتجربة ما يمكن أن يفجر ما ينبعث من هرمونات معينة تقوى او تحسن الذكرى الناتجة عن تلك التجربة .

فلماذا نرى في بعض الاحداث اهمية ، ونهمل اخرى ؟ ذاك راجع فيما يقول الدكتور ماكغوه الى انها تترك فينا اثرا طيبا او انطباعا قويا . وفي العادة .. اذا وجد الواحد منا مايحفزه جيدا في اتجاه معين ، فان ذلك الحافز يساعد في عملية التعلم في ذلك المجال . فالحافز الدافع يؤدي الى افراز طبيعي للكميات الصحيحة من الهرمونات التي تسري في الجسم وتزيد القدر الذي نتعلمه . وتدعم الذاكرة .

ويرى الدكتور ماكغوه انه يمكن بالمثل عكس اتجاه عملية التذكر : فالعقاقير المذكورة انفا يمكن أن تستخدم في اضعاف الذاكرة . ويعتمد ذلك على مقدار الجرعة المتناولة منه . وبالمثل يمكن للضغوط او التوتر الشديد في موقف



معين ان يؤديا الى كبت الذاكرة بالنسبة لتلك التجربة .

الذاكرة وتقدم العمر

اما اثر السن وتقدم العمر على الذاكرة فهو مجال اخر شغل الباحثين طويلا . وقد ظل الدكتور بيرنارد اجرانوف من جامعة متشجان يعمل منذ عام ١٩٦٥ في مسالة التركيب البروتيني في المخ . وقد علم السمك الذهبي عبور بوابة حوضه عند إضاءة النور . وبذلك يتجنب السمك الصدمة الكهربائية . بعد ذلك مباشرة يقوم بحقن السمك بمضادات حيوية توقف تكوين البروتين الجديد في ادمغتها .. وينتج عن ذلك ان السمك ينسى ما كان قد تعلمه . وهكذا قرن الدكتور اجرانوف بين تكوين البروتين في الدماغ وبين الذاكرة - على الاقل في حالة السمك الذهبي .

دور التركيب البروتيني

ويعترف معظم العلماء بنوعين من الذاكرة : الذاكرة القصيرة المدى ، كأن نتذكر رقم هاتف حتى نجري المكالمة ، والذاكرة المدى طويل ، التي ترتكز الى حد كبير على تغيرات كيمائية دقيقة داخل المخ .

ونحن لا نحتاج الى تركيب بروتيني لنتعلم او من اجل الذاكرة قصيرة المدى ، كما يقول الدكتور اجرانوف . ولكننا ، فيما يبدو ، نحتاج الى التركيب البروتيني في عملية تحويل التعليم الى ذاكرة طويلة المدى ، وفي تخزين المعلومات .

وبعد ان اجريت التجارب على السمك الذهبي والفئران ، يتوقع ان يتم اجراؤها على دماغ الانسان ، وبواسطة استخدام ٨ اساليب لا تضر بالانسان . ويامل الدكتور اجرانوف في الاعوام القادمة ان يدرس التكوين البروتيني في الاجزاء المختلفة من المخ ، وان يكتشف ان كان ثمة جزء من اجزاء الدماغ لا يقوم بوظائفه في الناس الذين يعانون من ضعف الذاكرة .

«إننا سنتفكر في الطرق التي يمكن بها منع تباطؤ او توقف التركيب البروتيني في المخ .. ولكن ، وكما في مجالات اخرى من الطب ، فان مسالة اصلاح انسجة سبق ان اصابها التلف هي الاكثر صعوبة ، وتكاد ان تكون مستحيلة» .

خطر شحذ الذاكرة

ويحذر الدكتور اجرانوف ايضا من التشبث بامل شحذ الذاكرة بشكل حاد في الشباب ، لان تحسين الذاكرة في الناس العاديين يمكن ان يبعث مشاكل عقلية حادة .. فنحن نقوم في الواقع بكبح وكبت امور كثيرة ، ونحاول اننا نسيناها . ويمكن ان نقول ان الكبت هذا هو نوع اخرس انواع التعلم ويمكن ان يكون مساعدا لنا على مواجهة الحياة ومجاراتها .

اثر الانقباض النفسي

اما الدكتور ميشيل فولشتاين ، وهو طبيب للعقل والمتخصص في الامراض العصبية ، فقد ظل يدرس اثر فقدان الذاكرة والتقدم في العمر ردحا من الزمن وهو مدير المستشفى العام للخدمات النفسانية وعيادة طب الاعصاب بجون هوبكنز بالولايات المتحدة . وقد ظل يستكشف الرابطة بين الانقباض النفسي وفقدان الذاكرة عند المسنين . وهو يرى انه :

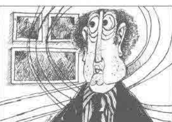
«عندما يكون هؤلاء الناس في حالات انقباض شديد ، فانهم يفقدون ذاكرتهم وقد وجدنا انه بمعالجة الانقباض النفسي تعود الذاكرة ايضا» .

ويرى د . فولشتاين ان المرضى يتراوحون بين اولئك الذين رغم صغر سنهم يدعون انهم يعانون اذا حاولوا التفكير ، ومع ذلك يؤدون الاختبارات بنجاح ، والمسنين الذين يشكون من فقدان الذاكرة ، ويظهرون عند الاختبار خللا موضعيا .

مثل هؤلاء الناس يعانون من بعض اوجه الانقباض النفسي ، او من حالات مزاجية ينعدم فيها التجاوب مع الاحداث الجارية . كما يعانون من تغير في المواقف وتقدير الذات والارق وفقدان الشهية للاكل ونقصان في الوزن ... بالاضافة الى فقدان الذاكرة .

«وهؤلاء المرضى عادة ما يكون الواحد منهم قد مر بنوبات من اللس (المانيا) ، وحدثت بداية الخلل في ذاكرته بسرعة في مدى اسابيع فقط .. وليس في مدى شهور او سنين كما في حالة الامراض الاخرى» .

«وعندما يعالج هؤلاء المرضى



بالعقاقير المضادة للانقباض النفسي ، او بالصدمة الكهربية ، فان ذاكرتهم تتحسن مع تحسن حالتهم العقلية ..

الشيخوخة وفقدان الذاكرة

إن زحف الشيخوخة وتدهور الذاكرة الذي يصحبه يشكل مخاوف تسيطر على البالنا جميعا ، ولكن الادلة تتواتر لتثبت ان العلاقة بين فقدان الذاكرة والشيخوخة اضعف كثيرا مما كنا نتصور ، وفي الواقع فان عددا كبيرا من الابحاث قد اثبتت ان طاقاتنا الذهنية تواصل ازديادها بشكل منتظم حتى سن الستين .

كيف ، اذن ، يمكننا ان نفسر ظاهرة خيانة الذاكرة لصاحبها كلما تقدم فى العمر ؟

إن بيتر راسل يعتقد ان كل هذه المشاكل ذات اتصال مباشر بموقفنا الذهني . إننا نتوقع من ذاكرتنا ان تخوننا ، ولذا فهي تلبي لنا هذا التوقع . فاذا نظرنا الى غلام فقد شيئا ما توجدنا انه لا يعطى ذلك اية اهمية خاصة ، بل يصرف الامر كله كشئ ، حدث وكفى . اما الكبار منا فانهم يربطون الحادثة ببداية افلاس الذاكرة ، والخرف . إننا جميعا ننسى بعض الاشياء ، ولكن كلما تقدم بنا العمر ربطنا بين هذا السهو وبين تقدمنا فى العمر ، ونستمر فى تقوية هذا الظن عند كل مناسبة .

اهمية استخدام الذهن

إننا يجب ان نستخدم اذهاننا ، ونقوم بتمرينات عقلية مثلما نقوم بتمرين عضلاتنا ، فالذاكرة تتحسن بالاثارة ، ومن يحيا حياة فكرية نشطة لا يظهر اية علامات للشيخوخة ، والامثلة على ذلك كثيرة .. بيكاسو .. بيرنارد شو ، الساسة والقادة فى الشرق والغرب .. كلهم قد تجاوزوا السبعين وبلغ بعضهم التسعين بذاكرة طيبة .

إننا نعانى من مشاكل الذاكرة حين نكف عن استخدامها ، ولذا فان مران الذاكرة له نفس اهمية مران الجسم .. فكلاهما لابد له ان يكون فى افضل هيئة لكى يؤدى وظائفه .

هل يدفن النعام رأسه فى الرمال ؟!

من الاقوال التى يستشهد بها عامة الناس لوصف من يتهرب من مواجهة الواقع ان فلانا مثل النعامة التى تدفن رأسها فى الرمل تاركة بقية جسمها فى العراء .

ولكن هذا الطائر الضخم لا يدفن رأسه فى الرمل فى واقع الامر ، وانما يدس رأسه وسط الحشائش اثناء تناول طعامه ، وحتى لدفن رأسه وسط الحشائش فقط .

فالنعام يخشى الاسد ، لانه من المعروف فى علم الحيوان ان الاسد يشتهى لحمه ويفضل لحم هذا الحيوان عن غيره من الطيور ، ولان النعام يحاول جهد استطاعته ان يتفادى السباع الجائعة فهو يظل يقظا منتبها حتى اثناء تناوله الطعام ، وذلك برفع رأسه وتدقيق النظر طولا وعرضا فى الارض التى تقع فى مدى بصره ، ويتوقف حتى عن المضغ كما يراقب تحركات الاسود .

طائر غير اجتماعى

ان عملية رفع وخفض الرأس من وقت لآخر تشكل مشكلة رئيسية لهذا الطائر ، خاصة وهو لا يستطيع ان يشعر بوجود اسد قريب منه إلا اذا رفع رأسه ، واذا رفع رأسه توقف عن الاكل .

ولحل هذه المشكلة قرر النعام ، فيما يبدو ، ان يعمل على التوفيق فى الوقت بين الخفض والرفع واليقظة والحذر . وقد وجد علماء سلوك الحيوان منذ حين ان هذا الطائر قد اهتدى بذكائه الى ضرورة ان يتناول غذاءه وهو فى قطيع ، وليس منفردا كما كان الحال من قبل .

الرقابة الجماعية

وقد لوحظ بعد اجراء تجارب وزيارات للمناطق الحيوانية ان النعامة الواحدة تكون اقل حذرا واكثر شعورا بالامان اثناء وجودها فى قطيع ، وخاصة لانها لا ترفع رأسها كثيرا للمراقبة .

فالرقابة هنا اصبحت من كل افراد القطيع وهى مستمرة ، وضد عدو مشترك ويعنى ذلك ان هناك تطبيقا لنظرية تقسيم العمل .

وقد ظهر عند البحث ان ذكر النعام (الظليم) هو الذى يقوم بالقدر الاكبر من المراقبة .. اى ان الظليم يرفع رأسه ويخفضه اكثر من انثى النعام (القلوص)

جدير بالذكر ان بعض علماء سلوك الحيوان قد اوضحوا ان رفع الرأس للمراقبة تقوم به مجموعة من النعام فى وقت واحد وبحركة لا شعورية ، فاذا كان القطيع مكونا من خمسين طائرا ، فان الملاحظ هو ان عشرة او اثنى عشر طائرا يكونون فى حلقة مراقبة ، ترفع رؤوسها معا ثم تعود تخفضها وتدسها وسط الحشائش ، لتتناوب الحراسة مجموعة اخرى .

لا فرصة للأسد

وقد حاول احد علماء سلوك الحيوان ان يقف على امكانية قيام الاسد بمتابعة احدى هذه القطعان من النعام لكى يحدد وقت انقضاضه على واحد منها .. اى لكى يحدد متى ينزل ويخفض النعام كله الرأس وسط الحشائش ، ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، وقد باءت كل محاولات السباع بالفشل نظرا لدقة المراقبة وتنبيه بقية القطيع الى الخطر المحدق بهم ، والهرب فى الوقت المناسب . كما لوحظ ايضا ان النعام لكى يتحاشى مراقبة الاسود اصبح يختار اوقاتا غير منتظمة للذهاب لاماكن الكلأ ، وكل ذلك لكى يقلل من فرص مراقبة الاسود له .



خطر الزبدة والدهون المشبعة على صحة القلب

انخفض استهلاك الناس للزبدة في أمريكا الشمالية بمعدل الثلث ، وذلك ضمن موجة من انخفاض استهلاك مستخرجات الألبان . فما السبب ؟

لقد أظهر كل مسح أجري أن نمط الغذاء في تلك البلاد لم يتغير كثيراً في الفترة من عام ١٩٠٠م الى عام ١٩٦٥م ، وكانت لجنة الغذاء التابعة للجمعية الاميركية لأمراض القلب قد لاحظت في عام ١٩٦٤ وجود دليل يشير الى أن الأغذية الغنية بالدهون المركزة والكولسترول ذات علاقة بتزايد أخطار نوبات القلب ، فأعلنت عن ضرورة تخفيض الكميات المستهلكة يومياً من الأطعمة الغنية بهذه المواد .

وبعد أن تم الاعتراف الطبي بالموت الذي يحدث بسبب انسداد أو تصلب الشرايين التي تحمل الدم الى المخ والقلب ، زاد احجام الناس عن هذه المواد . وكانت النتيجة أن انخفض استهلاك البيض بنسبة ١٠٪ ، واللبن والقشدة بنسبة ٢٠٪ ، وبات استهلاك الدهون الحيوانية والزيت بشكل عام نصف ما كان عليه قبل خمسة عشر عاماً ، وارتفع استهلاك السمن النباتي وزيت الطعام المستخرج من الخضروات .

فهل هذه المواد الجديدة أكثر فائدة للصحة ؟

الدهن المتشبع

لابد من تقديم بعض التعريفات قبل أن نخوض في هذه المناقشة .

التشبع هو العملية التي تتم بها اضافة ذرات الهيدروجين الى الدهون ، وهذه العملية تجعل الدهون المستخرجة من الخضروات تجمد ، وهي التي تكون سائلة في درجة حرارة الغرفة العادية .



إن كانت الزبدة مشبعة بالدهون فإن بعض أنواع السمن المستخرج من الخضروات هي أيضا مشبعة . ولقد اتضح أن الإكثار من أكل الدهون المشبعة يزيد من مستوى الكولسترول في الدم بنسبة ٢٠٪ ، ويصاحب هذه الزيادة ارتفاع في تصلب الشرايين أو انسدادها .

ولكن التجارب التي أجريت على الحيوان أظهرت أن هذه العملية يمكن عكسها اذا تمت العودة الى نظام غذائي أفضل . غير أن تراكم الدهن في جدران الشرايين يؤدي الى ضيقها بمرور الزمن فإذا كانت تلك الشرايين هي حاملة الدم الى المخ أو القلب فإن الخطر يبدو واضحاً .

الاعتدال ضروري

واذا كنا نعرف أن الدهون المشبعة تشكل خطراً على الصحة ، فهل تلك غير المشبعة أفضل حالاً ؟ والاجابة هي نعم .. اذا أخذت بكميات محدودة ، وهي في واقع الأمر يمكن أن تساعد في خفض نسبة الكولسترول في الدم . وكما في كل شيء آخر ، ينبغي تجنب الإفراط فيها .

فإذا كان الإكثار من تناول الزبت والسمن الحيواني ينذر بخطر الموت بالسكتة فإن خطر الإكثار من السمن النباتي والزيوت المستخرجة من الخضروات يتمثل في زيادة الحصوات في الصفراء ، وفي الاصابة ببعض أنواع السرطان .

ماذا نأكل ؟

إن القاعدة الأساسية هي ألا نأكل كثيراً . إن مجرد زيادة الوزن بنسبة ٢٠٪ أكثر من الوزن المثالي تزيد من احتمالات السكتة القلبية . وينصح بشكل خاص من أكل اللحم ، ولحم الضأن خاصة ، لأنه أكثرها تشبعاً بالدهن . ولكن ذلك لا يعني أن لحم البقر أفضل حالاً ، إن أقل أنواع اللحم تشبعاً بالدهن هو لحم السمك .

إزالة الشحم

إن محاولة بعضنا إزالة الشحم عن اللحم لا تعني شيئا ، لأن شريحة البفتيك التي تبدو خالية من الشحم تماماً ، يشكل الدهن ٤٠٪ منها . وتنصح بعض الجهات بأن أكل اللحم مرة واحدة في اليوم هو أكثر مما ينبغي .

وتجدر الاشارة إلى أن النباتيين ـ اذا كانوا لا يدخنون ـ تخلو شرايينهم من مسببات الضيق والتصلب أكثر من الذين يأكلون المقادير العادية من اللحم .

الزيوت النباتية

واذا كان من الضروري أن نقلل من استهلاكنا لمستخرجات الألبان بما في ذلك الزبدة ، فإن ذلك لا يعني أن نستبدل الزبدة بأي نوع من السمن النباتي أو الزيت ، فالأفضل أن نستخدم الزيوت النباتية غير المشبعة ، أو قليلة التشبع .

أما في حالة الطبخ فيجب أن نتجنب السمن الحيواني . وأفضل زيت للطبخ هو ذاك المستخرج من زهرة عباد الشمس أو العصفر ، ويليهما زيت الذرة ثم زيت الصويا والذرة الشامية . ومع أن زيت الزيتون أعلى تشبعا من كل ما ذكرنا من الزيوت النباتية ، إلا أنه أفضل من السمن المستخرج من الحيوان .

جراحة السعادة

ميلين في الواحدة والاربعين من عمرها، وام لاربعة اطفال. ولكنها اليوم حين خلت الى نفسها امام المرآة في غرفة نومها، ابصرت شابة بسامة جذابة ذات محاسن اسرة، وقوام رشيق. وقد دهشت مما لم تتعود رؤيته منذ اعوام.. فتذكرت انها لخمسين عمسا كانت مترهلة وكأنها حبلى في شهرها السادس وكانت معاناتها النفسية قاسية بشكل لا يوصف. اما اليوم كما تقول فهي تتوق الى الخروج امام الجميع لولا الحشمة وبقية من حياء.

وهي تتحدث في حماس عن جراحة التجميل، ذلك الشيء المدهش، وتجزم ان وجهها سيحتفظ برونقه الجديد لعشر سنوات مقبلة.

كلهن يردن الجمال

وميلين فيشر ليست وحدها التي تستشعر نعمة هذا السحر الجديد، فهناك نساء كثيرات من بين المتزوجات وغير المتزوجات من ربات البيوت او العاملات قد اجريت لهن جراحة تجميلية ولسن جميعا من ذوات الثراء الحقيقي.. وبهن جميعا استعداد للتحدث طويلا عن تجاربهن.

وليست العمليات الاربع التي خضعت لها ميلين فيشر بالشيء الكثير.. ففي ريودي جانيرو التي تعتبر كعبة جراحة التجميل يقوم الجراح الساحر الدكتور ايفو بيتانجاي بتجميل ممثلات السينما المسنات، ونساء الاسر المالكة في اوروبا.

وعادة ما تقنع النساء بما هو اقل من ذلك.. بتجميل الوجه او رفع الانف او تضخيم الثدي او ازالة الترهل الذي





يصيب الذراع.. او التقوية بعض العضلات وشدها كما حدث بالنسبة لاحدى ضحايا شلل الاطفال وقد كانت مقعدة منذ طفولتها، فاصبحت الان قادرة على المشي بفضل هذه الجراحة...

ليست للجميع

ولكن جراحة التجميل ليست صالحة من ناحية جسدية ونفسانية لكل من يطلبها، ولا يتحمس لها كل من تجرى لها. فقد اقامت سيدة امريكية من نيويورك برفع دعوى للحصول على تعويض بعد ان اجريت لها عملية لوضع سرة البطن، فجاءت السرة بمقدار بوصتين بعيدا عن منتصف البطن، والحق القاضي بانها كانت صدمة عاطفية والاما نفسية، فحكم لها بتعويض زاد عن ٨٥ الف دولار.

مضاعفات محتملة

ومثل كل العمليات الجراحية الاخرى لا تخلو جراحة التجميل من التعقيدات والاثار الجانبية المحتملة. وحتى اذا لم تحدث اية مضاعفات فان بعض الناس يشعرون بخيبة امل بعد ان يروا انفسهم بعد التجميل.. خاصة وقد كانوا يتوقعون اكثر دفقا من الشباب وينبوعه بعد ان صرفوا كل تلك المبالغ. ومع ذلك فان كل امرأة حادثتها في هذا الموضوع كانت راضية عن النتائج، ومتشوقة لمزيد من الترويج لهذه الجراحة.

تجارة رابحة

وقد اخذ عدد جراحي التجميل يزداد بشكل كبير في كندا والولايات المتحدة وبعض بلدان امريكا الجنوبية. وهم يشيرون الى انفسهم بجراحي السعادة - لان اسعد مرضاهم هم الذين تجرى لهم الجراحة التجميلية. اذ انهم يشعرون بتحسن انجابي ويبدون في شكل افضل، ويعرفون كيف يقدرون ما يفعله لهم الطبيب الجراح.

ويشار ايضا الى هذه الجراحة بالجراحة التجميلية او الذوقية. فالذين يقومون بها يمكن اعتبارهم بمثابة فنانين



جراحة السعادة

تحت فى جسم الانسان ، و افضلهم من له معرفة تامة بنفس وروح الانسان وجراح التجميل الامثل هو ذاك الذى يتمتع بالمعرفة العلمية والعملية فى هذا المجال تماما مثلما يتمتع بروح الفنان الموهوب .

دعاية بالمجان

ويؤكد جراحو التجميل ان خمسة عشر بالمائة فقط من زوار عياداتهم هم الذين يجيئون بتوصية من اطباء الاسرة ، اما البقية فياتون لانهم سمعوا من اصدقاء لهم او معارف اجريت لهم جراحة تجميلية ، وخرجوا منها بنفوس راضية . كما ان البعض ياتى بعد ان عثر على اسماء الجراحين فى دليل الاطباء فى دليل الهاتف .

انعدام الضوابط

وبما انه ليس هناك من يقوم بالرقابة على مهنة الطب سوى الاطباء انفسهم ، فانه من الممكن نظريا ان يدعى اى طبيب له رخصة بمزاولة المهنة انه جراح تجميل ويستمر فى ذلك دون خوف حتى تفشل عملية ما فيقاضيه المريض . ولهذا السبب فان جراحى التجميل المسئولين ينصحون المريض الذى يفكر فى اجراء هذه العمليات ان يتقصى بدقة عن المؤهلات التى تثبت هوية جراح التجميل .. فالامر فى النهاية يتعلق بجسم الانسان الذى يريد هذه الجراحة .

المرأة اقدر

وقد اتضح ان الناس تفضل النساء الجراحات اكثر من الرجال .. لان المرأة فى العموم لا تود الخوض فى امور يعينهامع الطبيب الرجل وخاصة تلك التى تخص الجسم والوجه ، كما ان الطبيبات قد اثبتن انهن يختلفن بشكل ايجابى عن الرجل فى هذا المجال .. وخاصة فى الموقف الذى يتخذنه من المريض الذى يبغى التجميل نفسه .

الخبرة الكافية

ويؤكد كل اطباء التجميل على ضرورة ان يكون المتقدم لهذه الجراحة متمتعا بصحة جيدة ويحرصون على الحصول على كشف طبى حديث التاريخ كما انهم ينصحون مرضاهم بتخفيف الوزن وتخفيض ضغط الدم ، وان يتحاشوا تناول فيتامين (اى) والاسبيرين او اى دواء به اسبرين ، وذلك لمدة اسبوعين قبل اجراء العملية .. فى محاولة لتفادى احتمال اى نزيف ، كما يطالبون بعض مرضاهم بالكف عن تناول اى كحول لمدة عشرة ايام قبل العملية .

نعمة مكلفة

وعمليات التجميل ليست زهيدة التكلفة ولا يقبل فيها الدفع المؤجل ، فهى ليست مرضا وانما هى اختيار شخصى ، ومع ذلك فهى رائجة .

وقد يضطر ذوو الدخل المحدود من الرجال والنساء ان يقترضوا المال لها ، او ان يحرموا انفسهم من اشياء اخرى كانوا يريدونها .

وكانت هذه الجراحة وقفا على فئة من النساء الموسرات ممن هن فوق الخامسة والخمسين من العمر ، وبعض الممثلين والحلاقين وعارضى الازياء من الرجال . اما اليوم فان النساء ممن لم يتجاوزن الاربعين او حتى الثلاثين يخضعن انفسهن لهذه الجراحة او يرغبن فيها على اقل تقدير ..

عصر صناعة المظهر

فما الذى حدث ؟

يقول علماء الاجتماع فى محاولة لتحليل هذه الظاهرة باننا نعيش فى عصر (صناع الصورة) الذين يؤكدون فى كل مناسبة ودون مناسبة ان الشباب خير من التقدم فى العمر ، وان الجمال خير من الدمامة ، وانه خير للمرء ان يبدو ذا حيوية جنسية .. ورسالتهم الاعلامية دائمة الترويج هى : «انظر الى نفسك فى المرآة ، فاذا لم يعجبك ما ترى ، ابحث عن من يجرى لك بعض التغييرات ..»

فاى النساء يعجبها ما تعكسه المرآة كلما تقدم بها العمر ؟ وهل يجب ان تقوم بعملية تجميل ؟ إن جراحى التجميل لا يحاولون تقديم إجابة لهذا السؤال ، كل ما يقولونه هو انه إذا لم يكن هناك ما يضايقنا ، فان داعى الجراحة يسقط .

فمن منا لا يجد ثمة ما يضايقه ؟ ألعل شيئا او نصرف المسالة كلها كفكرة لا طائل تحتها .. سخيفة .. ومشبعة بالغرور ؟





الانقباض النفسي عند المرأة

المرأة أكثر معرضة للانقباض



النفسي .. وتقول بعض النساء انهن يفضلن الانتحار على العيش بمفردهن .

حاجة المرأة الى الإرتباط

وترجع السيدة سكارف حاجة المرأة الى الإرتباط الى تاريخنا البدائي ، وبذلك فهي تتفق مع المنظرين الذين يعتقدون ان انماط السلوك البدائي قد مرت بعملية التطور والارتقاء مثل تركيب اجسامنا وعقولنا تماما .

وهي تعتمد على نظرية الإرتباط التي طورها المحلل النفساني البريطاني جون باولي لتقول ان الرابطة العاطفية هي طبيعة الية سلوكية طورها ولدان الحيوانات العليا لابقاء الامهات قريبا منهم ، وان هذه الخاصية قد تطورت بشكل أقوى لدى الاناث اكثر مما هي عليه في الذكور ، ومن ثم اندرجت في شفرة الوراثة لدى المرأة . وهذه بالذات هي النقطة التي تثير الغضب والجدل حتى من جانب المنادين بحرية المرأة ومساواتها بالرجل .

ولكن الابحاث الجديدة في مسألة الاستجابة لدى الاطفال تنحو الى توكيد هذا الزعم .. فهي تظهر ان الاناث بين الاطفال يستجيبون باستعداد اكبر من الذكور للصور الفوتغرافية لوجوه الناس وان الذكور لا يستطيعون التمييز بين الصور الفوتغرافية والخطوط المرسومة والاناث يفضلن الصور الفوتغرافية .

إمكانية مقلقة

وهذه الاختلافات الظاهرية تفتح مجالا لامكانية مقلقة ، وهي ان الرابطة العاطفية التي كانت مفتاحا للبقاء واستمرار النوع البشري فيما مضى قد جعلت حياة المرأة في عصر المناداة بالمساواة بينها وبين الرجل اكثر صعوبة ومشقة .

بين دوافع الوراثة والمجتمع

ان ما تقوله الكاتبة سكارف هو ان المرأة قد وقعت بين مطالب عوامل الوراثة فيها (الجينات) التي تحفزها على الزواج وتكوين الأسرة ، ومطالب المجتمعات العصرية التي تحثها بشدة على ان تستقل بنفسها .

ولايعني ذلك ان الكآبة تعفي الرجال من الانقباض النفسي ، ولكنها ترد الى احساسهم بالفشل في المهنة لا في العلاقات الشخصية . ولايعني هذا ان النساء اللاتي يدخلن سوق العمالة اقل تعرضا للانقباض النفسي ، فالنساء العاملات اللاتي اجرت عليهن دراستها كن يعانين من الانقباض النفسي مثل اخواتهن غير العاملات . وهذه الحقيقة تدعم اعتقادها المثير بأن حالة الانقباض النفسي لدى المرأة هي حالة بيولوجية .

نقد شديد

وقد وجه الكاتب نقد شديد بتهم الكاتبة بانها تنطلق من وجهة نظر تقليدية بوضعها الرغبة في الانقباض النفسي غريزة في المرأة لانه ... ... والتبعية في العلاقات ... في التربية ... الا حسب ... الرجل .

وبدافع ... عن ... الصحافية المحترمة ، ... مساحة قطعت المناخ التي اسفر عنها بحثها .

وكانت قد بدات عملها بانها ارتبطت بعيادة نفسية بمركز دارتموث هيتشكوك للصحة النفسية ، حيث قضت اربع سنوات تقابل اكثر من ١٥٠ امرأة بينهن مرضى من عيادة الاحوال النفسية بجامعة بنسلفانيا ، وفي مركز ابحاث الإنقباض النفسي بجامعة (ييل) الامريكية .

.. انني لم اضطر الى البحث عن الناس .. لقد كانوا هناك دائما .

وتقول المؤلفة ان جذور الانقباض النفسي في النساء في كل حالة درستها كانت بسبب انقطاع علاقة وطيدة وحيوية . وهي ترى ان الإنقباض عند المرأة يتصل بمراحل محددة في حياتها ، وفي نقاط اساسية ، تجد المرأة انها تقيم وتبني وتحطم سلسلة من الارتباطات العاطفية . فاذا فشلت في ذلك ، فان هذا الفشل المدمر يقود حتما الى الانقباض النفسي .

بين المراهقة ومنتصف العمر

وقد كانت الفتيات في طور المراهقة اللاتي اجرت معهن المؤلفة مقابلاتها يشغلهن موضوع الانفصال عن الاسرة . اما النساء في العشرين من العمر فقد تركز اهتمامهن في مسألة بناء التوازن بين الرغبة في تكوين أسرة خاصة بكل واحدة منهن ، وبين مطالب العمر فان نقطة المواجهة هي احتمال فقدان دورها كزوجة وام .

وقد اكتشفت السيدة سكارف ان انقطاع الحيض عند المرأة يشكل قضية عاطفية اكثر مما يشكل انقباضا نفسيا .

إن كتاب السيدة سكارف وبحثها يشكلان دعوة للنساء من كل الاعمار للاقبال على العلاج النفسي من الانقباض .. خاصة في زمن اصبحت المرأة مضطرة اكثر فاكثر الى العيش وحيدة نسبة لعدم دوام الحياة الزوجية بسبب ارتفاع حالات الطلاق ، وانخفاض حالات الزواج ، وحيث الازواج يموتون قبل الزوجات بعشر سنوات او اكثر

جريمــة المستقبــل

قامت احدى شركات النفط الامريكية الكبرى باعداد مسح جيوفزيائي في سرية وكتمان شديدين وبعثت تعليماتها الى وكلائها باستئجار الارض المعنية في السابعة من صباح اليوم المحدد . ولكن الوكلاء اكتشفوا أن شخصا ما قد سبقهم الى الحصول على الجزء الاكبر من تلك الارض في يوم الجمعة السابق لليوم الذي حددته لهم الشركة .

وقامت الشركة قد استوفت كل الاستعدادات المعهودة للمحافظة على سرية المعلومات الخاصة بالمسح . ولكنها فشلت في منع الوصول الى تلك المعلومات في العقل الالكتروني للشركة .

وبذا صارت ضحية لما يطلق عليه (جريمة المستقبل) ، اي سرقة المعلومات من الكمبيوتر . ويبدو أن السارق لم يطأ أرض الشركة . حتى انه دقة الاجراءات الامنية . وربما تمكن من ذلك بواسطة مكالمة هاتفية مع احد العاملين البارزين بالشركة .

سرقة مستورة

والاعلان عن سرقة المعلومات التي يتعذر الاطمئنان لمقارنة مع الاعلان عن الجرائم الاخرى . ولذا قامت صناعة جديدة هي تصنيع انواع معقدة من الشيفرة اعدت خصيصا لحماية المعلومات في الكمبيوتر .

ولكن ذلك لم يوقف هذه الجريمة .. فلا تخيلنا رجلا مثل العميل جيمس بوند وله وقت ذكاء رياضيا خارقا ، يمكننا ان نكون فكرة عن الالاعيب التي تحدث في الغرف الضخمة المكيفة التي تحفظ فيها العقول الالكترونية

الخوف من العلنية

ان قلة الاعلان عن عمليات التجسس





فى العلم التجارى والصناعى هى نتيجة لتردد الشركات والمؤسسات عن اقحام الشرطة او الصحافة وحرصها على كتمان ما عندها من معلومات . ولم تخرج هذه الجريمة الى دائرة العلنية وفى اضيق نطاق إلا فى السنوات العشر الاخيرة .

وربما وجد المرء تفسيرا لاحجام وتحفظ الشركات والمؤسسات عن التبليغ والاعلان عن سرقة المعلومات من الكمبيوتر إذا قام بزيارة القسم الخاص بالجرائم المتصلة بالمجال التجارى والصناعى فى دولة كبرى كالولايات المتحدة .

صعوبة الاثبات

فهناك اولا صعوبة بالغة فى اثبات ان المعلومات قد نسخت ، كما انه يصعب اثبات سرقة شئ « هو ما زال فى يد صاحبه وحتى اذا تم اثبات ذلك ، فان صاحب المعلومات لا يرغب فى التشهير بنفسه واتهام نظامه فى حفظ المعلومات بانه غير مؤمن ، وعرضة للسرقة والعبث به بسهولة .

والواقع ان كثيرا من المنظمات الكبرى التى تستخدم تكنولوجية العقل الالكترونى بشكل واسع تحجم عن مجرد الخوض فى النقاش حول امكانية سرقة المعلومات ، وكانما تخشى من ان يكون مجرد الاعلان عن كون هذه السرقات قد تمت فى الحقيقة ، هو فى حد ذاته تشجيع لآخرين لمحاولة القيام بها .

الاغراء والمنافسة

وتتعرض العقول الالكترونية لسرقة المعلومات منها بواحدة من سبيلين : إما بالوصول مباشرة الى الكمبيوتر نفسه ، كما فى حادثة شركة النفط التى ذكرت فى صدر هذا المقال ، وإما باعتراض المعلومات وهى تبث من محطة لأخرى عبر الكيبلات والخطوط .

اما الوصول مباشرة الى الكمبيوتر فيمكن حصره وتضييق فرصه بواسطة اجهزة امن واجراءات امنية ، وجوازات مرور الكترونية وشفرات . وان لم تكن هذه كلها ضمانات نهائية ضد السرقة ، ولكن الامر الاكثر صعوبة هو حماية رسائل المعلومات المتبادلة .

فمثلا .. يمكن لشركة للادوية ان تنفق ملايين الدولارات فى ابحاث لتطوير عقار جديد ، ثم تقوم بتخزين طريقة تحضيره واستراتيجية تسويقه فى بنك للعقول الالكترونية ، بينما تجرى خطوات تسجيل براءة الاختراع . وقد يتم ارسال الاختراع من فرع للشركة الى فرع آخر . وهنا فرصة مغرية لأى منافس !

وقد يرسل احد البنوك الى وكالاته فى بلد آخر اشارة للقيام بعملية نقدية كبيرة الحجم الذى قد يؤثر على قيمة عملة ذلك البلد . وهذه ايضا معلومات لا تقدر بثمن بالنسبة لأى مضارب له يرتب الامور ليسترق الانصات لهذه المعلومات المرسلة .

وقد يحتفظ المضاربون فى الارصدة بسجلات عن عمليات المضاربة فى الكمبيوتر ، فاذا قام شخص ما بتتبع النمط والنسق اليوميين فى البيع والشراء عند نفر من زبائن احد المضاربين ، فانه يستطيع بذلك ان يتحكم بسوق الارصدة كله .

وبالطبع تظل كل هذه الجرائم التى ذكرنا مجرد جرائم افتراضية ، ولكن

أسلوب سرقة المعلومات فيها ليس افتراضيا . وفي احدى القضايا القليلة التي وصلت الى المحكمة في الولايات المتحدة اتهمت شركة الكمبيوتر بأنها حصلت على برنامج بالغ السرية من كمبيوتر احدى الشركات المنافسة لها ، وذلك بقصد مزاحمتهم في التقديم لمناقصة كانت ستعلن بعد حين .

الخطر الماثل

وهناك ايضا قضية الطلبة الذين استطاعوا وهم يقومون بتجربة علمية صرفة وفي سبيل العلم وحده أن يصلوا الى معلومات مصنفة وعلى درجة عالية من السرية تخص القيادة الاستراتيجية الجوية في الولايات المتحدة . كما أن مجموعة من خبراء البنتاغون قد تمكنت من اجتياز سلسلة معقدة من كلمات السر والشفرات والاقفال الالكترونية في مدة ساعتين . وذلك الى حرم يمثل قمة القدسية في عالم صناعة العقول الالكترونية . وهو العقل الالكتروني المركزي ثلاثي ام بي .

وهناك ايضا حادثة فريق البحرية الامريكية الذي تسلل الى شبكة (نوراد) الدفاعية . الامر الذي جعل البعض يقولون انه من الممكن ان تشتعل الحرب العالمية الثالثة بكل شرورها وفظاعة دمارها بواسطة مكالمة هاتفية على البعد .

صناعة جديدة

وحتى وقت قريب كان المديرون التنفيذيون في عالم الصناعة يهتمون فقط بالمظهر الامني المادي واجراءاته — من حراسة والقفل ومفاتيح وخزائن — وذلك لحماية المعلومات في العقول الالكترونية . ولكنهم الآن اخذوا يتجهون الى البحث عن حكمة ودفاع ضد جرائم سرقة المعلومات هذه في الكتابة بالشيفرة .. وهي فن قديم جدا في ارسال المعلومات في الحرب والسلم . وقد اخترعه قدماء المصريين . وكانت مسألة اخفاء المعلومات هذه ذات قدسية دينية عندهم .. يضفون عليها قيمة سحرية وقوة ضارة ان كان استخدامها في غير ما قصدت به . ولذا فان الشيفرة مرتبطة في اذهان البعض بالسحر الأسود .

وكان أول استخدام للشيفرة في الحرب على يد اهل اسبارطا . ثم دخلت عالم السياسة في اوروبا الغربية في القرون الوسطى . اما اول من استخدمها في عالم التجارة فهو الكنيسة الكاثوليكية التي حفظت المعاملات التجارية في شيفرة بالحروف الاغريقية . وعندما اخترع التلغراف في منتصف القرن التاسع عشر . وتم اول اتصال بعيد عبر اللاسلكي ، دخلت الشيفرة عصرها الحديث .

الشيفرة والشفرة

والشيفرة ليست مماثلة لنظام الكتابة بالشفرة . حيث يتوفر لكل من الراسل والمستقبل للرسالة بالشفرة نص كتاب النظام الشفري ، الذي يحتوي القواعد المتفق عليها لكل كلمة . حيث يمكن ان تعطي كلمة (أسود) (حرب) وكلمة (دجاجة) (غير ...) وهكذا ...

فالشيفرة تقوم على نوع من اللوغاريتمات او الحساب العشري .. بطريقة تحال بها الرسالة المبعوثة الى شفرة ولها مفتاح لفكها في الطرف المستقبل لها .

نظام معقد

وهناك طريقتان بسيطتان .. احداهما تعتمد على اعادة ترتيب الكلمات افقيا او راسيا او باي شكل يتفق عليه ، والاخرى عن طريق الاستبدال . ومهما عقدت سبل الترتيب او الاستبدال ، فان امكانية فك الشيفرة متاحة في نهاية الامر . وكل ما يمكن الاستفادة منه في حال ترداد الاحرف او الكلمات هو اطالة الزمن الذي يستغرقه فك الشيفرة بالنسبة للمتطفل او الذي يحاول سرقة معلوماتها .

ومع تقدم التكنولوجية اصبحت الشيفرة اكثر تعقيدا وذلك باختراع اجهزة لوضع جداولها العشوائية . وقد تعقدت سبل فكها ايضا . وقد اتضح مؤخرا ان الفضل في هزيمة المانيا في معركة بريطانيا ومعركة فرنسا ومعركة العلمين يعود الى العقل الالكتروني الانجليزي «كلوسس» الذي صنع بفك شيفرة آلة (انيجما) النازية الضخمة ، التي كانت بها المعلومات العسكرية ، فقبل العلمين لم تنتصر بريطانيا في اي معركة ضد النازية . اما بعدها فهي لم تخسر اية معركة .

لا مجال للتسلية

وقد غيرت تكنولوجية الكمبيوتر الحديثة كل اصول لعبة الشيفرة . ولم يعد هناك مجال لفك الشيفرة لرجال موهوبين كالشاعر ادجار الان بو والرئيس الامريكي توماس جيفرسون الذين كانا بارعين في حل الشيفرة كالشغف ما يكون خبراؤها . واصبحت الشيفرة وقفا على علماء الكمبيوتر وخبراء علم الرياضيات . ولان الكمبيوتر يستطيع ان يقدم الآف الاختيارات في سرعة لا يمكن لسرعة الذهن البشري ان يجاريها او ان القلم ان يسطرها بيد الانسان على الورق ، فانه يمكن للعقل الالكتروني وحده ان ينتج شيفرة يستغرق حلها زمنا وجهدا من عقل الكتروني لآخر . وبذا اصبح استخدام الشيفرة المبرمجة بالكمبيوتر يتزايد في ارسال المعلومات من مكان لآخر .. وبين الكمبيوترات وحدها .

مفارقة مؤلمة

فهل يعني كل ذلك النهاية لسرقة المعلومات ؟

إن علماء الشيفرة يستطيعون باستخدام العقل الالكتروني ان يطوروا شيفرة غير قابلة للحل . ولكن سيل المعلومات وضرورة توفرها بالنسبة لمن يدير بها اعماله لا يحتمل ذلك كله لعنصر الوقت الذي يطول حتى تفك الشيفرة ، وللتكلفة العالية لاي كمبيوتر اكثر قدرة وكفاءة .. وبذا فان المشكلة ستظل قائمة . لان حلها الجذري يعني دفن المعلومات مرة والى الابد .

وتلك هي المفارقة المؤلمة في عصر التكنولوجية الحديثة .


Fossil fuel
STOP MOTOR
NO SMOKING
REGULAR
UNLEADED
SUPER
FF
FF
FF



عندما يسخر القاضي

قال صديقي الفيزيائي (المغربي) ، بعد أن صلينا المغرب ، في جماعة ، خلف إمام فاضل يجيد القراءة : إنني ـ حينما كنت ـ في بلادي أو حيث أتعلم في بلاد الانجليز ، لا أطرب لنغم بقدر طربي لسماع قارئ قرآن مجود ، أو مؤذن يحسن الإداء ... ولقد تعلمت من قراءتي في تراث الإسلام ، وخاصة عن (المعلم الثاني) الفيلسوف أبي نصر الفارابي ، أنه يمكن أن نقسم الألحان الموسيقية الى فئات ثلاث :ـ

- موسيقى تخاطب الروح والعقل معا ، فهي موجهة نحو الرأس ، قمة جسم الانسان ، ومنها تجويد القرآن والأذان بلسان عربي مبين .
- وموسيقى تتجه نحو القسم الأوسط من جسم الانسان مابين السرة والعنق ، فهي تطرق أبواب القلب ، وتتردد أصداؤها في داخل الصدر ، فتهز الوجدان ، وتمنح المرء نشوة توقظ مشاعره ، ومن ذلك موشحات وأنغام المتصوفة في وجدانياتهم الإلهية الراقية ، وكل جزل ، عميق ، تقليد ، من السيمفونيات والأوبرات والسيرينادات ، والفالسات ، والمقامات ، وما إليها ...
- وموسيقى تتعامل مع جسم الانسان ، وهي أحط أنواع الموسيقى ، حيثما عمت وانتشرت كانت (علامة صادقة) على الإنحدار الأخلاقي ، وفساد الذوق ، وفقدان التقييم الجمالي الحقيقي للحياة ، وذلك من مثل الموسيقى الصاخبة ، وما يشبهها من موسيقات الأدغال ، كتلك المنعوتة باسم (الروك ـ آند ـ رول) وكذلك صخبات وصيحات (الكودية) في حفلات (الزار) وما الى ذلك من الألحان التي يأبى صانعوها (بدافع التهافت على الرزق) ، إلا أن يجعلوا من الانسان حيوانا منحطا .. ، ومن تصنيف الموسيقى ، انتقل الحديث الى شعاب علم (الصوت) وأوديته بمعطياتها الهائلة ، التي توصل بها علماء (الفيزياء) منذ عهد قريب جدا ، الى إستخدام (الترددات الصوتية العالية) ـ التي لا تسمعها أذن الانسان ـ في صناعة (مجهر) نرى به من تفاصيل الأشياء ، ودقائق صنع الله فيها ، ما لا تبينه لنا (الميكروسكوبات) الضوئية أو الالكترونية .. وكان العلماء قد عرفوا خلال قرون من الجهاد الشاق ، والإجتهاد المضني أن الصوت ما هو إلا (ترددات) أو اهتزازات ، تنتقل عبر أي وسط (مادي) من غاز ، أو سائل ، أو جماد ، بسرعة تتوقف على (طبيعة ذلك الوسط الناقل ، وحالته ، من حرارة ، أو ضغط أو كثافة ، على هيئة (موجات) لها أطوالها ، وحسابياتها ، لدى الفيزيائيين ، ومهندسي الصوت ، الذين يتمكنون من تسجيل الأصوات ، إما بطريقة (ميكانيكية) مباشرة كما فعل (اديسون) حين اخترع الحاكي او (الجراموفون) أو بعد تحويلها الى طاقة ضوئية كما في (أفلام السينما) الناطقة ، أو الى (قوى) مغناطيسية تختلف شدة وضعفا ، حسب (طبيعة الصوت) كما في شرائط (الكاسيت) وما اليها ... كما تمكنوا طبقا لما عرفوا من أسرار (الصوت) أن يصنعوا للسيارات (أبواقا) مختلفة النغم والرنين ، وأن يبتدعوا أجهزة (السونار) التي تعتمد على موجات الصوت ، وصداها الراجع ، لمعرفة ما تحت سطح الماء من تجمعات الأسماك ، أو الغواصات ، أو الألغام ... ووصل بنا الحديث عن فيزياء علم الصوت الى موضوع (الشخير) الذي يصدر عن بعض (النوام) من بني البشر ويستهجن إحداثه (عمدا) من المتيقظين ... وتبين أن هناك ضربا من الشخير (صامتا) لا يسمع ، وذلك لأن تذبذبات أو اهتزازات أو ترددات الحواجز الأنفية واللهاة تبلغ فيه (عددا في الثانية) لا تستطيع الأذن أو أعصاب السمع أن تدركه ، فهو غير مزعج كالشخير العادي المسموع الذي اشتهر به ـ ربما منذ عهد دولة المماليك ـ كل من سكان (غزة) و (الاسكندرية) ـ الذين هم أبناء شاطئيه بحر واحد منذ مئات القرون ، والذين يستهجنون (بالشخير) أي فعل يستنكرونه في الحياة العادية كذلك القاضي الذي تروي الأساطير أنه كان يعمل في مدينة ... الصعيد في مصر ، وكان يشخر علنا بلا حياء للمتقاضين ، ... عليه بعض القضايا الغريبة ... لما بلغ أمر هذا القاضي الى وزارة العدل ، التي كانت تدعى في سالف العصر والأوان (وزارة الحقانية) ، كلفت أحد (المستشارين) للقيام بالتحقق من هذا الأمر ... وكان صاحبنا القاضي رجلا ذكيا ، فأدرك الغرض من زيارة المستشار ، وأصر على أن يحضر بنفسه الى قاعة المحكمة ... فكانت أول قضية تعرض ، موضوع نزاع بين رجلين أحدهما دائن (صاحب حق) والثاني مدين مماطل ... واعترف المدين بما عليه ولكن قال للقاضي : ياسيدي حيث انني كلما رزقني الله بمال ويحدث عن دائني هذا فلا أجده ، فأرجوك أن تأمر (أطال الله عمرك وجعلك موئل الباحثين عن العدل) بوضعه في السجن ، ريثما يرزقني الله ، فأبادر بالسداد (إن شاء الله) لأنني سأكون عارفا بمقر صاحبي .. فنظر (القاضي) الى (المستشار) نظرة ذات مغزى .. وقال له في هدوء : هل تسمح لي يا سعادة المستشار أن (أشخر) أم أترك هذه النعمة اليك لتتفضل بإحداثها على رؤوس الأشهاد ؟؟ وانني أداوم تذكر هذه القصة عندما يقول القائل : إن (ما يحدث اليوم) من القصي (مغربيها) الى القصي (مشرقها) ما هو إلا مجرد وسيلة (علمية عالية) لاستخدام (أصوات) الصواريخ والقنابل الفتاكة ، بقواعد علم الصوت ، لتحقيق مقدار المسافات ـ بصرف النظر عن الخراب ، والدمار وأنات الثكالى والأيتام والمشوهين ـ بين مختلف بلداننا وحسابها بدقة ، باعتبار أن (سرعة الصوت) في الهواء (الشرقاوسطي) معروفة تماما ....

درويش مصطفى الفار

أنور عثمان أبكر

نحو استراتيجية فكرية

في زحمة الاتصال والتبادل الثقافي بيننا والآخرين، والعالم الغربي بوجه خاص، يجدر بنا أن نتمسك باستراتيجية في النقل الى الأعمال الفكرية والأدبية تنطلق من ذات النقطة التي تحرك نشاطنا الثقافي وتوجهنا الفكري بغية ترفيع مشاركتنا في صنع الحضارة ومستقبل العالم.

ولا جدال في أن الوقوف على تجارب الآخرين يفتحنا على عالم من الامكانيات التي تسهم في تفجير طاقات الابداع فينا، ويغذي قدراتنا على استكمال اللوحة التي نأمل في الافصاح عبرها عن انسانيتنا الاكثر نبلاً وفعالية.

لقد شهدت العقود الثلاثة الماضية نشاطاً واسعاً وكبيراً في مجال الترجمة والنقل الى اللغة العربية، لعل ذروته كانت في الستينات، إذ دخلت فيه أعمال فكرية وأدبية أثرت في الحساسية الفكرية والفنية، وربما الرخم لا بوّد الاعتراف به في تدبير واقعنا السياسي وقتئذ.

واتسمت حركة الترجمة شأن بانها جنبت اهتمامها على نقل الانظمة الكاملة ولم تحفل كثيراً بترجمة الأعمال الممهدة لسبيل وقبله تلك الانظمة الفكرية والعلمية، وهي في ذلك لا تختلف كثيراً عن حركة الترجمة في مجموعها الراهنة التي وجهت اهتمامها بعد الفلسفة الى العلوم البحتة عملاً واهملت العلوم التاريخية ... ولكن الاختلاف الجوهري كائن في مسألتين: فالترجمة المعاصرة تشبه اليها الباحة ربيبا اوروبيا احتج به النقاد في نظرتهم الى الأدب العربي قديمه وحديثه، بينما اسقطت ترجمة الأولين أدب الاغريق، وفسر ذلك بغزارة انتاج الأدب العربي، وخاصة الشعر، آنذاك.

والمسألة الأخرى هي اختلاف في النظرة، فالمترجمون الأوائل كانوا محكومين بتقديس السلطة العلمية وفهوم أن موثقات الأقدمين تتضمن كل ما يمكن نيله من المعرفة. اما الترجمة في عصرنا فقد احتجت بالحداثة والعقلانية والخروج على الموروث.

إن الخطر في هذا الاختلاف الجوهري هو مدلوله، فالترجمة القديم كان ينطلق من استدعاء فكري لاستكشاف جوانب مجملة في العقيدة الإسلامية، وهذا الدافع اهله ليكون ذا شعور بالتحريض، فالمباح بيّن والحرام بيّن، والنقلة كثر الى المشتبهات المسائل، وكان ما ينقله يخضع لعملية نقد حصيفة على ضوء الفكر الإسلامي الفاعل، وبحوار فكري شاق ومكثف لاهله (ان ايتمله بعيد) عن جادة العقيدة والايمان، وتحكيم في نهاية الأمر لآيات محكمة وسنة رشيدة واجماع عارف.

اما حركة الترجمة المعاصرة فقد نمت في ظروف وقوع العالم العربي الاسلامي في اسر المستعمر واغراضه ومصالحه، وقام بها في البداية اهل كتاب ليس هو كتاب العرب المقدس، وتتابعها دور مؤسسات همها الاساسي استلاب العرب المسلمين ماديا وثقافيا، وتعطيل دورهم الحضاري الفاعل. ومهما رفعنا من شأن مدرسة الالسن وجامعات الشرق، فان المحصلة النهائية لما نقل وترجم - ولم يعرب الا القليل - لا يمكن وصفها بأنها رافد بناء في كيان فكري عربي اسلامي.

لقد توقف نشاط الترجمة والنقل الذي كان منتظما ومخططا من قبل المؤسسات الثقافية الخاصة - ولكن سيل المعلومات الذي تنقله الصحافة العربية وبعض دور النشر التجارية عن وكالات بث المعلومات والرسائل الثقافية لم يتوقف. ولم يتوقف احتفاؤنا بكل جديد في عصر التكنولوجيا دون تبصر ذاتي حريص على النظر في التجربة العربية الإسلامية وفي امور حيوية تتصل بالدوافع التاريخية لتطورنا وتقدم الوطن وتنميته وتنمية أهله البسطاء، لخيرهم ومستقبلهم.

وربما التفت كل الندوات والمؤتمرات ذات الصلة بالاعلام ومكافحة بث الدعاية والدعاية المناهضة والتي عقدت على الصعيدين العربي والإسلامي وبالاشتراك مع دول العالم الثالث على ضرورة ايجاد مرصد للاحداث والمعلومات والتوجيه يتعلق باهتمامات ومشاكل وقضايا هذا المثلث الشعوب من الطيف الطفيف في بعض المظاهر الثقافية جزءاً من المطروح، ودورنا التاريخي في صنع الحضارة يشهد له من قبل العدو قبل الصديق العاقل والمواطن المسلوب، ولكن الذي يغيب عنا كثيراً هو أن هذا الدور متصل.

إن المصنفات والتاليفات الاسلامية الشرقية على الآداب والفكر وحركة الثقافة العالمية وفيرة، غرس معظمها وبشكل قوي في العصر الوسيط لتلك الآداب وتلك الحركة الفكرية والثقافية، واصبحت جزءاً من فكرها بعد أن تم تقليدها وتمثلها تمثلا كاملا حتى لا يكاد المرء يتنبه اليها اليوم، وواجبنا اليوم في حوارنا وصراعنا مع العالم الحديث الذي تغلب عليه السمة الأوروبية هو أن نتنبه الى آثارنا وتأثيرنا في مضامين الاعمال الفكرية والادبية الاوروبية عند المبدعين في الغرب، وان نفتح العين والاذان الشعوب الاوروبية على وجودنا الضمني في اعمال مبدعيهم وفي القلب النابض من عملية الابداع والكشف الفكري والعلمي عندهم.

إن إظهار مثل تلك الوشائج والحرص على التدقيق في جذورها يخدم قضايا مرتين: مرة ونحن نبلغ ارضية مشتركة ثقافيا وفي التبادل الثقافي والحضاري، ومرة ونحن ننظر في مسألة اخذنا في العصر الحديث من فنون وافكار الغرب وثقافته.

وإذا شاءت توجهاتنا الفكرية المعاصرة ورسمت استراتيجية لسعينا الثقافي والفكري فان ذلك سينقذنا من تهلكة التكالب الغرير على ثمار نتاج الفكر العالمي بحجة المعاصرة او التراجع والتصلب في وجه ذلك الفكر بحجة الاصالة والمحافظة على الموروث.

د. حسن عيسى عبد الظاهر

الشهيد الحي عبد القادر الحسيني

قضية فلسطين في سيرة بطل

صدر مؤخرا للزميل الأديب نبيل خالد الأغا كتابه الجديد عن الشهيد الحي عبد القادر الحسيني.

وفي الصفحة الأولى كانت مرحلة الاستهلال تتكلف بالآية القرآنية الكريمة (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون) !!

ثم يصحبك المؤلف معه وعلى مدى مائتي صفحة ضمنها أحد عشر بابا في رحلة مركزة عبر مرحلة من مراحل تاريخ أمتنا الحديث في أخطر قضية شغلت العالم الإسلامي - ومازالت - في هذا القرن بعد سقوط الخلافة الإسلامية - وهي قضية فلسطين.

ويطل بنا الكاتب خلال هذه الرحلة من نافذتين:

إحداهما تطل على مرحلة حاسمة، وداميةً وملبدة بالجهاد والبطولات من جانب، وبالمؤامرات والمخططات الاستعمارية العاتية لاغتصاب هذا الجزء الهام من الوطن الإسلامي الكبير، وتوطين عصابات يهودية فيه تقوم بأول دولة في قلب العالم الإسلامي كدعمة من جانب آخر.

وثانيتهما تطل بنا على صفحات مشرقة من جهاد أبناء هذه الأمة ممثلين في صورة مجاهد هو الشهيد عبد القادر الحسيني الذي عاش ومات في سبيل الدفاع عن حقها والذود عن حياضها جهاد الأبطال الذين يعيدون إلى الأذهان صورة سلفنا الصالح الذين افتدت بهم هذه الأرض في عكا والشرق بسنابك الجهاد حتى خلصوها من براثن الاستعمار القديم والدخلاء.

وبلا مقدمات يبدأ مؤلف الكتاب نبيل خالد الأغا الباب الأول بالتعريف بالمترجم له بادئا - كالمعتاد - ببيان مولده ونشأته - وما سلوب أمين وفي عبارة رائعة يقول: «سنبة الثامن من أبريل ١٩٠٨ الصيحة الثالثة في التعمير، والأمسية الثامن من أبريل ١٩٤٨ السجية مذهلة في القدس، الأمسية الأولى شهدت ميلاد عبد القادر موسى الحسيني - وانتشد بميلاد قائد قد وهب حياته في سبيل وطنه - والأمسية الثانية شهدت مصرع هذا القائد - فإن مصرعه كشاهد على الوطن ومواطنيه، وبيد في عنت، ومقاتل في صالحه، واستشهد في الجلال، أربعون ربيعا أمضاها وحده ...».

ولكن هل صحيح أن مصرعه أثر بالشؤم على الوطن ومواطنيه كما يقول المؤلف؟ أم أن هذه نظرة خاصة للمؤلف عن وقع الأمر بعيشة جنانه ؟!

إن دم الشهداء لا يضيع هدرا، ولا تكون مصائرهم بالشؤم، ولكنها خطوة نحو النصر، الطريق الطويل.

• • •

ينتقل بنا الكاتب في الباب الثاني إلى الحديث عن المدينة المقدسة للصمود بيت المقدس ... [illegible] ... في الجهة الشمالية، بالقدس [illegible] ... التحرير ... في المحلة الإسلامية ... في القدس ... [illegible].

وكانت أولى المعارك الهامة التي شارك فيها هي معركة (قرية الخضر) ودارت رحاها ضد قوات الاحتلال والانتداب البريطاني ... وقائد الشرطة الفعلي في معركة ... الكبرى.

وفي الباب الثالث يصحب المجاهد إلى العراق حيث قضى مرحلة جهاد وصبر وأبلى هناك في قتال الإنجليز عام ١٩٤١ في معارك (صدر أبي غريب) التي تكون عنها في جسمها محلة الحرب البريطانية، إنها أخرت الاحتلال مقدارا من الوقت لمواقعهم لمدة أسبوعين.

ونمضي مع المجاهد عبد القادر الحسيني بعد هذه المرحلة في رحلته إلى مصر، وفيها جعل من بيته الصغير (بالواسعيشر) مصنع المتفجرات التي أثار يظن فيه انقلابا كبيرا، وقام بتدريب العديد من الشبان على هذه الصناعة الدقيقة. ومن ناحية أخرى تعاون مع حزب مصر الفتاة الذي كان يرأسه الأستاذ أحمد حسين وتعاون مع جماعة الإخوان المسلمين أيام مرشدها الإمام الشهيد حسن البنا، وتعاون كذلك مع كافة الأحرار من أنصار القضية الفلسطينية.

• • •

ثم ينتقل بنا - في الباب الخامس - مع المجاهد عبد القادر إلى ساحات الجهاد على أرض فلسطين (وبذلك كان عبد القادر أول من دخل فلسطين ليقود أبناءها في نضالهم ضد الأعداء، وقد خاض كل المعارك التي وقعت قبل دخول الجيوش العربية تقريبا، والتي انتهت جميعها بالنصر والفوز، إلى أن كانت معركة (القسطل).

وفي الصفحات الخالدة لهذه المرحلة نقرأ كيف أدار المعارك حول القدس، ونتعرف على ملاحم الجهاد والأمجاد في معركة (بيت سوريك) ونسف دار الصحافة اليهودية، وتدمير شارع منتفيوري، ونسف شارع ابن يهودا، ونسف مقر الوكالة اليهودية، حتى صارت الضفة جحيما.

• • •

ويقف بنا طويلا في الباب السابع مع المجاهد ومع أحداث خطيرة عاد بعدها من دمشق في أوائل أبريل ١٩٤٨ وفي نفسه مرارة وهو يقول: (سنرجع إلى فلسطيننا لنحقق أملنا في الفوز بإحدى الحسنيين النصر أو الشهادة، ونتذكر قول الله تعالى: «فليقاتل في سبيل الله الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل في سبيل الله فيقتل أو يغلب فسوف نؤتيه أجرا عظيما»، وقد فاز عبد القادر الحسيني بالشهادة في معركة من أروع معارك الشرف في معركة القسطل في الثامن من أبريل ١٩٤٨ ولقي ربه مجاهدا ولم يلق السلاح من يده، وكان (لاستشهاده صدى كبيرا على المستوى العربي والإسلامي والعالمي ومازال، وتحمل بهذا الصدى الصفحات الأخيرة من الكتاب.

وهكذا كان عبد القادر الحسيني وهكذا صار وكما يقول عنه القائد محمد خالد ... كان ظاهرة رجولة عظيمة لابد أن تكون خاتمتها الاستشهاد في سبيل الله، ولقد كان يتحلى بمزايا نبيلة جعلته رمزا للشباب العربي، فكان صادقا في زمن استشرى فيه داء الكذب، وكريما في زمن اشتد فيه البخل، وشجاعا في زمن عم فيه الجبن.

• • •

والكتاب صفحات خالدة تجلى فيها الجهد والدأب في جمع مادتها من مراجع ومصادر مدونة ومنشورة في الكتب والصحف والتقارير، وشفاها من أفواه الذين شاركوا في هذه الأحداث وعلى مدى سنين دأب فيها المؤلف في صبر وأناة على جمعها وتوثيقها ثم عرضها في صورة حية مشوقة وأسلوب جيد يشد القارئ معه من أول الكتاب إلى آخره، ولا عجب فالمؤلف من بقية السيف، وبقية السيف أنمى - وإن الأحداث يحس بالقضية بكل مشاعره ويعيش فيها.

ويأتي الكتاب أيضا بموضوعه في أننا نحتاج به في القضية العربية نحو شهدائنا وأبطالنا على دروب طويلة من الفداء والجهد والجهاد، إن عبد القادر الحسيني وغيره من المجاهدين والشهداء الذين أبلوا في سبيل الله في جهاد عظيم وما سطروه على أرض فلسطين من بطولات في الثلاثينات والأربعينات لجدير بالتسجيل للأجيال والتاريخ، وجهادهم وشهادتهم صفحات مضيئة يجب أن تظل منشورة ولا تطوى.

د. حسن عيسى عبد الظاهر



جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

النور عثمان أبكر

اختلاف في التقدير

ما قدمت جائزتا نوبل السلام والأدب إلا وأثارتا جدلاً فكرياً وعقائدياً واقليمياً، واتهامات للجهات القائمة بأمر ترشيح واختيار الفائزين، واحتجاجاً من الانسانية المغلوبة على أمرها في العالم الثالث، وانخفاضاً في درجة البرودة في علاقات الشرق والغرب.

إن مجال النشاط الأدبي هو الانسان في المجتمع والعالم، ومجال المناضل في سبيل السلام هو الانسان وقضايا المجتمع والعالم. وما أكثر ما يفرقنا في النظرة الى الحق الانساني واساس المجتمع ومصلحة العالم. ولذلك فإن تقويمنا للابداع والنضال لابد أن يعكس قناعاتنا وأفكارنا المختلفة والمتصارعة دينياً وحضارياً ولغوياً وفي سبيل فرض كل ذلك على التوجه الانساني عالمياً.

التعاون العلمي والصناعة

لقد فرضت التكنولوجية والصناعة على العلم أن يكون في متناول الجميع، وعلى بحوثه أن تدور في فلك ما يمكن في نهاية المطاف تسويقه. وصارت الجامعات ومراكز البحث العلمي التي تعتمد في ميزانياتها على ما تدفع به الصناعة من أموال حريصة على اكتشاف ما يعد بهم الانتاج الكثير من المعارف والافكار. وهذا انتهت عهود البحث العلمي المجرد، والنبوغ العلمي المتوحد. وقد عكست جوائز هذا العام وسابقه اتجاه العلماء الى التعاون وتقسيم البحث الى اجزاء وقيام علماء من جنسيات مختلفة في الغرب غالباً، باجراء الدراسات والبحوث والتجارب في جوانبه.

ويلاحظ في الجوائز الممنوحة هذا العام في مجال الطب والكيمياء والفيزياء الاقتصاد أكثر من عالم في الفوز بها، فقد تقاسم جائزة الطب أمريكيان وفرنسي، وجائزة الكيمياء أمريكيان وانكليزي، وجائزة الفيزياء أمريكيان، وبقيت جائزة الأدب لعالم أمريكي أيضاً بقيمها بمفرده، وجائزة الاقتصاد والعلوم السياسية أكثر من عالم، ربما كان أحدهم من العالم الثالث.

غلبة الامريكيين

وتشير غلبة الامريكيين في هذه الجوائز الى الامكانيات الضخمة التي توفرها مراكز البحث العلمي في أمريكا الشمالية، خاصة وإن معظم التجارب والابحاث الرائعة في المجال العلمي تدور في عالم ما تحت المجهريات، وعوامل الوراثة (الجينات) ودقائق النظام الشمسي، وكلها تعتمد على أجهزة للرصد والتجريب عالية التكلفة وغاية في التعقيد والتطور.. مما يعكس تفوق الولايات المتحدة وكندا وبريطانيا على الدول الغربية الأخرى وعلى دول المعسكر الشرقي مجتمعة.. ومما يبرر ما انفق من وقت ومال في ابحاث العلماء التي يمكن اعتبارها الدافع الى تطوير التكنولوجية التي استدعت بناء أجهزة رصد دقيقة ولتجارب معقدة.

اسئلة مفتوحة

ولكن ما هو المرشد الذي هدى لجنتي جائزة السلام والأدب الى مغمورين كالشاعر الروائي البولندي المولد، الأمريكي الجنسية تشسلاف ميلوش، والنحات والمعماري الارجنتيني ادولفو بيريز اسكويفل رئيس جمعية قوامها عدد قليل من المتطوعين لخدمة السلام والعدل مقرها مكتب من حجرتين في موقع متواضع في بوينس ايرس؟

أهو الغرض السياسي والديني، أم أن ما قدمه الرجلان يرفعهما فعلاً لنيل جائزتي الأدب والسلام؟

ادولفو بيريز اسكويفل الحائز على جائزة السلام

ضرب عدد المرشحين لهذه الجائزة لعام ١٩٨٠ رقماً قياسياً، إذ بلغ ٢١ مرشحاً، وباختيارها للنحات والمهندس المعماري الارجنتيني البالغ من العمر خمسة واربعين عاماً لنيل جائزة نوبل للسلام فإن اللجنة قد صرفت النظر عن مرشحين مرموقين كالرئيس الأمريكي جيمي كارتر، والبابا جون بول الثاني، واللورد كارينغتون، وزير خارجية بريطانيا، وروبرت موجابي، رئيس وزراء زمبابوي حديثة الاستقلال، وحرصت على هذا الارجنتيني الذي سلط ضوءاً على نظام الحكم العسكري في الارجنتين.



جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

> ● فوز النشطات المعروفين بفضح الحكم العسكري في الأرجنتين ويدعم حركة الدفاع عن حقوق الانسان

حقوق الانسان

وقد قام بترشيحه للجائزة فائزان لها سابقان هما قائدتا حركة السلام الشعبية في ايرلندا الشمالية «بتي وليامز ومايريد كوريجان» وقالتا عنه انه «ابرز المناضلين المنسيين الاحياء» .. وقالت لجنة الجائزة ان غرض حركة خدمة السلام والعمل التي ظل بيريز اسكويفل يتزعمها منذ عام ١٩٧٤ هو العمل لترقية الحقوق الاساسية للانسان، وبالطرق السلمية .. وانها ضمن شبكة تغطي كل امريكا الجنوبية .

وقد شبهت اللجنة اراء واهداف بيريز اسكويفل بتلك التي تناضل في سبيلها المنشق السوفييتي زاخاروف الذي نفي الى مدينة سوفييتية مغمورة .

فهل يعني كل ذلك ان اختيار بيريز اسكويفل يجيء ضمن الاتجاه الذي ظهر مؤخرا والذي ينحو الى منح جائزة نوبل للسلام للمدافعين عن حقوق الانسان ؟

رجل واسع طموح

لم يكن بيريز اسكويفل قائد حركة شعبية ذات اتباع كثر ونشاط متصل كبير، وهو ليس مارتن لوثر كنج، ولم يسطع له نجم في بلاده.. وقد كان يركز همه على ايقاظ الضمير الفردي في الارجنتين .. وما حركته سوى نقطة صغيرة في خضم الحركات العاملة في امريكا اللاتينية ، وخاصة تلك التي ترتبط بالمنظمات الكنسية وتعرف بحركات التحرير عبر الدين ، والتي تقوم على ان المسيحية يجب ان يعاد النظر فيها على ضوء رسالة السيد المسيح الى الفقراء .. وليس اسكويفل بالاسم الكبير في هذه الحركة ، بل ان دعوته الى عدم استخدام العنف قائمة على افكار المهاتما غاندي ، والذي يملأ اثره الكاملة حجرتي مكتب المنظمة التي يقودها اسكويفل . فاذا كانت الحركة الدينية في امريكا اللاتينية تقوم بما يوازي حركة الاصلاح الديني في اوروبا في العصر الوسيط فان رجلا مثل دوم هلدر كامارا في الارجنتين هو الذي كان يمكن ان يكون المقدم فيها والمرشح لجائزة السلام.

حرج دبلوماسي

ان الحرج الذي سببه فوز اسكويفل بجائزة السلام لحكومة الارجنتين يمكن ان يكون بحد ذاته مبررا كافيا لمنحه الجائزة . لقد ظلت السلطة العسكرية التي استولت على الحكم في عام ١٩٧٦ تستخدم ابشع اساليب القمع والارهاب [illegible] كل اشكال المعارضة السياسية ... ويختفي الاف الناس دون اثر .. وفي حالات كثيرة كان المعتقلون دون تهمة [illegible] ... ويصفون [illegible] ... وظلت الحكومة الارجنتينية تنكر اية اتهامات ضدها او تصفها بالمبالغة .

وفي الوقت الذي كان العمل السلمي يكاد ان يكون مستحيلا ، فان اسكويفل ان ينذر حياته له ، فطرد من منصبه كاستاذ المعمار بمدرسة الفنون الاولى في بلاده .. ثم اعتقل .. وقضى اربعة عشر شهرا دون محاكمة ودون ان توجه اليه اية تهمة ، او حتى ان يخطر بسبب استيقافه في السجن .. ويرى اصدقاؤه انه كان محظوظا نوعا ما .. اذ ان اطلاقه تم عندما ذهب بنفسه الى مركز الشرطة الرئيسي في بوينس ايرس لتجديد جواز سفره .. وجاء هذا الاعتقال في زمن كان الاف الناس يختفون ولا يعرف لاكثرهم اثر .

وقد مرض في السجن .. وحجز مرة في الحبس الانفرادي لانه تبادل نادرة وضحكة مع مسجون اخر . وكان الحرس يطلقون عليهم نعت (اولئك الذين سجنوا لانهم اغبياء) وقد تم الضغط من الخارج لاطلاق سراحه - وخاصة من قبل منظمة امنستي العالمية .

ولم تذكر تحريات الصحف في الارجنتين خبره ، كما ان الاذاعة والتلفزيون اهملا ذكره . اما الان ، فسيذكر اسمه لاول مرة ضمن الاعلان عن جوائز نوبل . ولا ندري اخذ كيف ستعالج وسائل الاعلام الارجنتينية هذا الموقف الحرج .



شرف للمناضلين

ان اختياره للفوز بالجائزة سيشجع صدور حركات كثيرة تعمل من اجل حقوق الانسان .. وخاصة تلك التي مازالت نشطة رغم الارهاب في الارجنتين ... وخاصة النسوة اللاتي اختفى اقاربهن وذويهن وابناؤهن واللاتي درجن على الخروج في تظاهرة صباح كل ثلاثاء امام رئاسة الحكومة في العاصمة الارجنتينية وقد اختفى عدد كبير منهن دون ان يعرف لهن مصير .

وكانت مجموعتهن مرشحة لنيل الجائزة .

ان الاراء التي يمثلها بيريز اسكويفل والموقف الذي صمم عليه في مقاومة السلطة الغاشمة ليحملان رسالة ذات اهمية بالغة لدول اخرى كثيرة وليس فقط في امريكا اللاتينية حيث المشاكل الاجتماعية التي ظلت دون حلول قد تمخضت عن تصعيد لاستخدام العنف .

جائزة نوبل للأدب لعام ١٩٨٠

يبدو أن بولندا لن تكف عن إثارة الدهشة والجدل فى الربع الأخير من عام ١٩٨٠، إذ ما كادت أجهزة الإعلام تحول اهتمامها الشديد عن حركة التمرد النقابى الذى تمخض عن تنازل أول نظام شيوعى عن فرض سيطرته التامة على النقابات العمالية، وتسليمه بمبدأ تكوين نقابات حرة، والرضوخ لمطالب العمال الأخرى، حتى فاجأتها لجنة جائزة نوبل للأدب بإعلان اسم الشاعر الروائى البولندى تشسلاف ميلوش فائزاً بجائزة الأدب لعام ١٩٨٠ .. وذلك فى الوقت الذى كانت الدوائر الأدبية الغربية تتوقع فوز الروائى العالمى ف. س. نيبابول أو الروسى جراهام جرين أو الألمانى جونتر جراس.

كاتب غير معروف

وقد اعترف ميلوش نفسه بأنه استغرب أن تكون الجائزة من نصيبه .. فهو بعد أن اختار المنفى لنفسه منذ عام ١٩٥١، وأصبح مواطناً أمريكياً منذ أواخر الستينيات لا يعرفه خارج بولندا كما تجاهلته الصحافة الغربية سوى قلة من المهتمين بدراسة الشعر، ومن لهم صلة بشعبة اللغة السلافية بجامعة كاليفورنيا فى بيركلى.

وأعماله - كما وصفها هو نفسه - تفتقر إلى الشعبية والى ما يشد الناس إليها، لأنه يكتب بلغة غير مألوفة، ويواصل ترجمة أعمال من الإنجليزية واللغة اليهودية البولندية والعبرية، وهى بالطبع ليست بالأعمال التى تمكن أن تحظى بإقبال شديد من جمهور القراء.

وغير سياسى

وهو ليس بالكاتب السياسى، وإن كان يضعف استخدام السياسة تماماً من

تشسلاف ميلوش

مؤلفات منشق بولندى كان قد انتقد الستالينية وفارق موطنه الأقلاة لضميره كما يقول، وروجت لكتاباته داخل بولندا حركة تأثير المنشقين البولنديين الأسطورة ممثلة ببولنسلة موقوية .. وكان أول [illegible] فوزه الجائزة أن هذا الفوز [illegible] حركة [illegible] داخل بولندا [illegible] تحقيق [illegible].

وقد تعمد المسئولون البولنديون أن يقرنوا نبأ فوزه بالخبر الصحفى الذى عقده ميلوش بعد إعلان فوزه فى استوكهولم، ثم قدم برنامجاً خاصاً فى وقت لاحق من نفس الأمسية قال فيه رئيس مجلة أدبية محترمة إنه لا يستطيع أن يفهم عدم نشر أعمال ميلوش فى بولندا، وإن الخلاف الوحيد بينهم وبين ميلوش يتعلق بأمور لا صلة لها بالأدب.

الهام قائم

وإن كان محلو لميلوش أن يضع نفسه مع الشعراء، فإنه فى واقع الأمر كاتب مقالات وروائى وناقد ومترجم ولن ينطفئ الغبار الذى أثاره فوزه بالجائزة التى تتطلب الإبداع المؤثر أدبياً وإنسانياً وعلى أوسع مدى غير أن يتجه الثقلاء إلى التعريف بأعماله - هذا بعد نشرها بالطبع - وحتى يتم ذلك فإن جهات عديدة ستظل رافعة الاتهام للجنة نوبل بأنها أرادت أن تضفى الشرعية العالمية على حركة المنشقين البولنديين، وتتلمس للقومية البولندية فى وجه الأممية الاشتراكية، ونشاط اللوبى البولندى فى أوروبا الغربية وأمريكا - وهو وثيق الصلة باللوبى اليهودى - فى محاولته خلخلة النظام البولندى، وبالتالى تعميق التمرد فى المعسكر الاشتراكى.

طرف من حياته

وقد ولد تشسلاف ميلوش فى ليتوانيا وقضى جزءاً من طفولته فى روسيا قبل وبعد الثورة .. والتى وصفها فى إحدى رواياته (١٩٥٦) وفى سيرته الذاتية (١٩٥٨) بأنها وطن له.

وقد درس الحقوق فى جامعة (فيلنا)، حيث أسس جريدة فصلية عام ١٩٣١، وصف الشباب القائمين عليها بأنهم ماركسيون غير متقيدين بالعقيدة الصارمة، وكان أول عمل شعرى له سلسلة عمل تجريبى متأثر بالسريالية (١٩٣٦) .. وقد فاز بجائزة المؤلفين فى مدينة (فيلنا).

ثم قضى الفترة من عام ١٩٣٤ إلى ١٩٣٥ بمدينة باريس للدراسة .. وتأثر كثيراً بعمه الدبلوماسى والعلامة والفيلسوف الذى عاش بباريس وكتب بالفرنسية.

وكان فى وارسو أثناء الغزو النازى (١٩٤٥) .. ثم عين ملحقاً ثقافياً فى واشنطن ثم باريس، وحين استدعى للعودة إلى بولندا عام ١٩٥١ اتخذ قراره بالبقاء فى العالم الحر، وقطع ارتباطه بالحكومة البولندية، مضحياً بذلك بوظيفة ومرتبة كانت يمكن أن تكون عالية فى قمة هرم الحزب الشيوعى البولندى وفى «العقل الأسير» أفضل مؤلفاته، يقدم نوعاً من الاعتذار عن الفرار من مجتمع ممزق بين الضرورة السياسية وسلطة عقيدتين متعارضتين هما الماركسية والكاثوليكية الرومانية .. ويمثل اختيار ذلك المؤلف بمثابة نقد صارم للستالينية وللمفكرين فى شرق أوروبا.





جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

وفي عام ١٩٥٣ صدرت روايته «الاستيلاء على السلطة» التي تقوم على تجاربه في وارسو في الفترة ما بين الانتفاضة وارسو في وجه النازية والاحتلال السوفيتي. وقد فازت بالجائزة الأولى للأدب الأوروبي، لتركها الهادئ المدروس الذي يضفي على أحداث موسم الخداع والخطيئة عالمية وقراءة لا منطقية لذلك الكابوس.

وظل في فرنسا حتى عام ١٩٦٠ مع زوجته وابنيه، ثم هاجر إلى الولايات المتحدة ليعمل أستاذاً للغة والأدب السلافيين بجامعة كاليفورنيا في بيركلي. وفي عام ١٩٧٧ أصدرت له دار نشر جامعة كاليفورنيا مجلداً من الأعمال النقدية والمقالات تحت عنوان «امبراطور الأرض... والتواع من الرؤى المتلألئة». وقد وصفت هذه المقالات بأنها تندرج تحت نوع من الكتابة شبه متفرغ، حيث يجمع الكاتب فيها بين الشاعر والناقد الأدبي والايديولوجي والمعلق السياسي، وذلك في تداخل وغير ما اعتماد على أي موقف فكري منهجي.

أعماله

وقد قام بترجمة أعمال ت. س. إليوت ووالت ويتمان وكارل ساندبرج الشعرية إلى اللغة البولندية، وربما ترجم لشكسبير أيضاً.

وتشمل أعماله النثرية المتوفرة للقراء بالإنجليزية بمختلف الحقل الأدبي رواية «الاستيلاء على السلطة» وهي عن الشباب الراديكالي البولندي في زمن الحرب، و«الوطن» وهي نوع من السيرة الذاتية، و«تاريخ الأدب البولندي»، ومجموعة المقالات التي يضمها مجلد «امبراطور الأرض والتواع من الرؤى المتلألئة».

في [illegible]

لقد حاولت الصحافة الغربية بعد أن وصفت ميلوش بالتوحد والعزلة، أن



ترسم له صورة المناضل الذي شارك في شبابه في المقاومة البولندية ضد النازية والفاشية، ووقف في وجه الواقعية الاشتراكية كمذهب فني مفروض على الكتاب بعد احتلال بولندا وتحويلها إلى الشيوعية... وأنه كان جل نشاطه الأدبي والفكري في دار نشر المثقفين البولنديين في باريس. ولكن لجنة جائزة نوبل للأدب قد اختارته لأنه شاعر ذو رؤية واضحة لا تقبل المساومة في عالم يعج بالنزاع والصراع الفكري والأخلاقي.

ولا عجب إذا ما فاجأت النقاد في الغرب بعد أن [illegible] الشعرية الأوروبية مثل تساؤله عن معنى الحياة، وجدوى وجودنا فيها... وأنه يدعو إلى نوع من التجرد الذي لا يغفل حقائق الواقع رغم قسوة شقاء السياسي والروحي.

قيل في بعض أبيات له مترجمة عن ترجمة انجليزية بغرض التعريف به لنقد، وأرجو:

كنا نعبر حقولاً متجمدة في عربة
في الفجر
فارتفع جناح أحمر في الظلمة
وفجأة قفزت أرنبة برية عبر الطريق
وأشار واحد منا إليها بإصبعه
لقد مضى زمن طويل بعدها
ولم يبق أي منهم على قيد الحياة
لا الأرنبة البرية
ولا ذاك الذي إليها أشار
فيا حبي... أين هم؟ أين يمضون
ومضة اليد.. جذوة الحركة
وحفيف الحصى
أنني لا أتساءل في حزن
وإنما في استغراب.



جورج سنل



في الطب

في فترة لا تتعدى العقد من الزمان طور العلماء ميداناً جديداً في الطب مداره ما توصلوا إليه من تفهم لنظام المناعة في جسم الإنسان، وللطريقة التي يرفض بها ويهاجم الأنسجة الغريبة وبذلك يحمي الجسم من غزو الأجسام الغريبة. وإن كان بذلك يعرقل ويقلل من فرص نقل وزراعة أجهزة حيوية مثل الكلى وغيرها.

وقد توصل الباحثون إلى أسلوب تصنيف الأنسجة لأغراض نقلها وزراعتها، مثلما كانوا من قبل قد توصلوا إلى تصنيف أنواع الدم وفصائله. وبذا زادت فرص نجاح عمليات نقل الأعضاء والأجهزة من جسم لآخر.

تصنيف أنسجة الجسم

وقد منحت جائزة نوبل في الطب لعام ١٩٨٠ لعالمين أمريكيين وثالث فرنسي لعملهم الذي جعل مسألة تصنيف الأنسجة ممكنة، وألقى ضوءاً جديداً على نظام المناعة بجسم الإنسان. كما ساعد على جعل عمليات نقل الأعضاء والأجهزة وزراعتها أكثر نجاحاً وسلامة، وعمق الفهم لسلوك خلايا السرطان.

وقال معهد كارولينسكا الذي منحهم الجائزة البالغة ٢١٥ ألف دولار إنهم عملوا باستقلال تام عن بعضهم البعض، وإن كانوا قد تعاونوا في توزيع أجزاء البحث، قد ساعدوا في توضيح العوامل الجينية التي تحدد تركيب خلايا الجسم، وبذا سلطوا ضوءاً

■ منحت الجوائز الطبية من نصيب أمريكا بفضل إمكانيات البحث الهائلة فيها

جديدا لتفسير قدرة بعض الناس على مكافحة العدوى أكثر من غيرهم .. كما فسر منشهو السبب في أن بعض الخلايا السرطانية في الجسم يتم إبعادها في بعض الحالات ، ولكنها تتطور إلى أورام سرطانية خبيثة في حالات أخرى .

الجينات والمناعة

وكانت أبحاث العلماء الثلاثة تدور حول قيام الجينات بتنظيم ردود فعل المناعة في جسم الإنسان ، فتوصلوا إلى أن الانتيجينات التي يشار إليها بحرف (هـ) هي التي تتحكم في التفاعل بين عدد كبير من الخلايا المختلفة المسئولة عن ردود فعل المناعة في الجسم ، بما في ذلك مكافحة العدوى ورفض الأجسام الغريبة .

والانتيجين إنزيم أو توكسين أو مادة أخرى يستجيب له الجسم بأن يفرز مضادات للأجسام هي بروتينات تحت الانتيجينات وتعطيها مناعة .

الانتيجينات (هـ)

إن معرفة الانتيجينات من فصيلة (هـ) ذات أهمية بالغة في نقل وزراعة الأنسجة ، ولمعرفة وفهم العلاقة بين التركيب الجيني والمرض .. فقد اتضح أن نوعا معينا من الانتيجينات (هـ) يمنح الناس بعينهم استعدادا لأنواع معينة من الأمراض . هذا جاء في حيثيات معهد كارولينسكا الملكي الذي منح الجائزة لمارووج بناكراف ـ ٦٠ سنة ـ الفنزويلي الأصل ـ أمريكي الجنسية ، وأستاذ الباثولوجي بجامعة هارفارد منذ عام ١٩٧٠ ، ومواطنه الأمريكي جورج سنل ـ ٧٧ عاما ـ من معمل مختبر جاكسون في بار هاربر بماين ، وجان دوسيه ـ ٦٤ عاما ـ الفرنسي الجنسية ، من مخابر المناعة بمستشفى سانت لويس بجامعة باريس .

كل جسم فريد

إن سطح خلايا الجسد في كل منا فريد وتحدد هذا التفرد الجينات المختلفة لتكوين مركبات معينة من الكاربوهايدرات البروتينية الموجودة في غلاف الخلية ـ أي في الانتيجينات (هـ) في انقسام التصاق مع الأنسجة الأخرى والجينات المهمة في هذه الرابطة موجودة في كل الفقريات ، وإن كانت الدراسات والأبحاث على الفئران والإنسان هي التي أظهرتها في الأساس .



مساهمة كل من الفائزين

وقد اكتشف المستر سنل العوامل الجينية التي تحدد إمكانيات نقل الأنسجة من فرد لآخر ، وهو الذي قدم فكرة الانتيجينات (هـ) كما وضح المعهد المانح للجائزة ..

إلا أن جان دوسيه هو الذي دلل على وجود الانتيجينات (هـ) في الإنسان ، وشرح العوامل الجينية المنظمة لتكوينها .

أما باروج بناكراف فقد بين أن العوامل الجينية ذات صلة حميمة بالجينات التي تحدد البناء المتفرد للانتيجينات (هـ) في الفرد ، والتي تقوم بالفعل بتنظيم التداخل والتفاعل بين الخلايا المختلفة الخاصة بنظام المناعة . وهذا ما يجعلها ظاهرة الأهمية بالنسبة للوزارة الفعل بالنسبة للمناعة ، كما جاء في حيثيات اللجنة ـ التي قضت عاما كاملا في غربلة ما وصلها من أكثر من مائة مرشح للجائزة .

في الكيمياء

فاز العالم البريطاني د. فريدريك سانجر بجائزة نوبل للمرة الثانية ، وأصبح بذلك أول عالم بريطاني يفوز بالجائزة مرتين ، وكانت مدام كوري قد فازت بجائزتي نوبل للكيمياء والفيزياء ، كما أن البروفسور جون باردين ، من جامعة الينوي الأمريكية قد فاز بجائزة نوبل للفيزياء مرتين .

التركيب الكيميائي للجينات

والدكتور سانجر عالم كيمياء الأحياء من جامعة كمبردج بانجلترا ، وعضو في مجلس الأبحاث الطبية ، وكان قد فاز بنفس الجائزة قبل ٢٢ عاما ـ لتحوله في تركيب الأنسولين .. وقد تركز اهتمامه بعد ذلك في دراسة التركيب الكيميائي للجينات ، وكيفية قد شفرة الـ دي إن إي ـ الحامض النووي ـ الذي يعتبر بمثابة المرشد لبناء المادة الحية ، والذي إن تم فهمه يمكن العلماء من فهم ما يحدث من خلل عند المرض .. ويأمل الدكتور سانجر أن يساهم عملهم في البحوث الطبية حاليا ـ لأن هنالك أمراضا كثيرة ربما كانت بسبب أخطاء في الجينات .







جوائز نوبل لعام ١٩٨٠

أما العالمان الأمريكيان اللذان شاركاه الجائزة فهما الأستاذ بول بيرج من جامعة استانفور والأستاذ والتر جيلبرت من جامعة هارفارد . وقد منحوا الجائزة البالغة ٨٨ ألف جنيه استرليني لمساهمتهم في تحديد «المتتابعات الأساسية للأحماض النووية» ، وهي مواد البناء للأجهزة الحية ، وتوجد في نواة كل خلية .

أبو هندسة الجينات

أما الأستاذ بيرج ـ ٥٤ عاماً ـ الذي منح نصف الجائزة ، فيما تقاسم الأستاذ جيلبرت والدكتور سانجر النصف الآخر فهو الأب لفرع جديد في كيمياء الأحياء يعرف بهندسة الجينات . وكان أول إنسان ينتج هرموناً بشرياً من فيروس ركبه مع جينات كروموزومات البكتريا .

وقد تمخضت تجربته الرائدة عن تطوير تكنولوجية جديدة تعرف في الغالب باسم هندسة الجينات .. كما جاء في حيثيات أكاديمية العلوم ..

رائد إنتاج الإنترفيرون

وكان العالم الثالث الأستاذ جيلبرت ، عضو الجمعية الأمريكية لأمراض السرطان وأستاذ الأحياء النووية بجامعة هارفارد ، قد برز قبل عامين عندما قاد فريقاً للبحث قام بصناعة الأنسولين من البكتريا . وقد فتح ذلك الإنجاز الذي كان الأول من نوعه المجال لأعمال أخرى لهندسة ما تحت المجهريات لاستخدام البكتريا في صناعة هرمونات مهمة .

وفي يناير الماضي أعلن الأستاذ جيلبرت ـ ٤٨ سنة ـ [illegible] هندسة الوراثة قد استخدمت مرة أخرى لإنتاج الإنترفيرون [illegible] الفيروسات وأهميته في علاج السرطان وأمراض خطيرة أخرى .

في الفيزياء

أما جائزة نوبل في الفيزيـــاء لعام ١٩٨٠ فقد كانت من نصيب الأستاذ فال فيتش من جامعة برنستون ، والأستاذ جيمس كرونين من جامعة شيكاغو ـ لبحثيهما في الفيزياء النووية في نظرية «الانفجار الكبير» الخاصة ببداية النظام الشمسي ... والذي وصفته أكاديمية العلوم بأنه «ذو أهمية كبرى في فهم المادة الأولية والحياة على الأرض» .

وقد اكتشفا خرقاً «لمبادئ» السيمترية الأساسية في تآكل وفناء الميسونات (K) ـ وهي جزئيات غير مستقرة لوحظت أول ما لوحظت في الأشعة الكونية . وقد تم لهما ذلك الاكتشاف عن خرق القوانين الأساسية السيمترية في الطبيعة بواسطة دراسات لنوع جديد من الجزئيات الأولية وذلك باستخدام مسارع بروتوني في مختبر بروكلين القومي بجزيرة لونج ايلند بنيويورك ، حيث كانا يقودان فريقاً للبحث . وكانت دراساتهما منصبة على سلامة ثلاثة مبادئ سيمترية ذات علاقات متصلة في الفيزياء .

وقد أصبحت الحقيقة التي توصلا إليها باكتشاف هذا الخرق للقوانين السيمترية في الطبيعة جزءاً هاماً في النظريات الخاصة بالكون ومستقبله .

كما أن الاكتشاف نفسه يؤكد مجدداً أنه لا يمكن اعتبار القوانين العلمية التي تبدو غير قابلة للنقض لتوافر الأدلة عليها لا يمكن اعتبارها نهائية ما لم يتم اكتشافها لتجارب علمية مضبوطة ومحددة .

وجاء في حيثيات الأكاديمية المانحة للجائزة أن ما قام به فيتش وكرونين ، وإن كان بحثاً أساسياً خالصاً لا تطبيق له ، فهو في غاية الأهمية بالنسبة لفهم المادة الأولية والحياة على الأرض .. كما أنه يجعل من الممكن الوصول إلى وضع الفرق بين المادة واللامادة بشكل مطلق وليس على أساس نسبي فقط .

> «لا يمكن اعتبار القوانين العلمية نهائية إلا بعد إخضاعها لتجارب علمية محددة»







● أصبح العالم بعد الحرب العالمية الثانية سيمفونية من الرعب

● استلهم أعماله من السلخانات ورسوم الكتب الطبية؟

● لا تندهش إذا عرفت أنه يفقد الوانه فى الأطباق ويلقيه بيديه فى الستائر؟

فنون من الحرب

فرانسيس باكون
لحظة الرعب فى زمن الخوف

محمد أبو طالب



الذعر رفيق الانسان منذ البداية ، تارة يبدو عملاقا دائم التواجد وتارة اخرى يختفى نهائيا ليظهر بشكل مختلف ، وعرفنا العلاقة بين الانسان والذعر عبر التاريخ منذ كان الانسان عاريا يبحث عن الدفء والأمان بين الكهوف الموحشة ، يومذاك كان الذعر ماردا ضخما يختفى وراءه كل شيء ، وظل الانسان يقاوم بالعلم والحضارة الى أن تضاءل الذعر وكاد أن يختفى بتقدم الانسان وتطوره وازدهار حضاراته على مر العصور لكنه ساعد على ظهوره مرة اخرى وبشكل أعنف واضخم مما كان يوم الكهوف ، وأصبح يواجه الذعر والرعب فى كل لحظة حتى فى النوم لأنه يسرى فى عروقه ويعشعش فى خلاياه ، وتعددت صوره وتفاوتت درجاته وتناغمت مع الظروف فبدا العالم بعد الحرب العالمية الأخيرة كما لو كان سيمفونية من الرعب .

تناول الأدب هذا الموضوع وعالجه كثير من الادباء مثلما تم التعبير عنه من خلال اعمال كثيرة فى المسرح ، واعتمدت السينما عليه لفترة طويلة كمادة حية ومؤثرة عبر العديد من الافلام ، ولم يتخلف الفن التشكيلى عن الركب فظهر ذلك فى اعمال عدة لبعض الفنانين القدامى والمحدثين ، ولكن لم يصل أى من الفنانين الى تلك الدرجة من التعبير عن الرعب مثلما عبر الفنان الانجليزى المعاصر «فرانسيس باكون» .

و «فرانسيس باكون» فنان انجليزى معاصر نال حظه من الشهرة الكبيرة فى



فرانسيس باكون
لحظة الرعب في زمن الخوف

انجلترا والولايات المتحدة واوربا وإن كان صدى اعماله في الوطن العربي ضعيفا وشهرته في بلادنا تكاد تكون منعدمة.

لمع اسمه عام ١٩٤٤ بعد ان عرض في لندن ثلاث دراسات لاشكال عن الصلب والتعذيب، كانت مرآة صادقة وصريحة رأى الناس فيها القسوة والرعب ظلال يلاحقهم قدرة الحرب القائمة.

وباكون شخص يتسم بغرابة الاطوار والافكار بل والمظهر ايضا، فيبدو متسكعا في الشوارع الضيقة خلف البيكاديللي بلندن، مرتديا بنطالا رمادي اللون من ذلك النوع الضيق تعلوه قلادة زرقاء ذات رقبة عالية فوقها رداء جلدي مرفوع الياقة كشباب العصر راكبي الدراجات البخارية، ورغم ان هيئته العامة بشعره المصفف بعناية تعطي انطباعا بانه في الخمسين الا ان عمره الحقيقي بدأ في تجاوز السبعين.

ولد في دبلن بايرلندا عام ١٩١٠ لأب عمل في تدريب الخيول وحاول كأي أب ان يدفع بابنه الى المدارس ليتلقى العلم وقوانين الحياة، إلا ان ذلك على ما يبدو كان على غير قبول من الابن الذي استمر حتى سن السادسة عشرة وتوقف تماما متمردا على المدرسة والتعليم بل وعلى كل القوانين التي تعارف عليها البشر.

وبدأ فرنسيس دون ان يتلقى أي تدريب فني في معهد او على يد فنان وعرض وهو في الثالثة والعشرين في ساير جاليري في لندن ثم عرض عام ١٩٣٤ في مواريزن جاليري ولم يلق اي انتباه او معونة لعرض اعماله لاحتلام في .... جاليري واختفى بعد ذلك تماما عن الانظار الى ان ظهر مرة اخرى عام ١٩٤٤.

• كيف عبر الفنان عن هلع الناس من الدمار ؟

كان ظهوره عام ١٩٤٤ هو مولده الفني الحقيقي حيث خلق تحولا جديدا في التصوير الزيتي بعيدا عن تقليد او اتباع مذهب او مدرسة فنية معروفة، وجاءت اعماله كالصاعقة معبرة في صراحة بالغة وقوة عن لحظة الرعب في الحياة المعاصرة.

واعماله على وجه العموم تدور حول الدمار والخوف والألم يقدمها من خلال نظرة بالغة اليأس مستخدما مسوخا آدمية وحيوانية في مساحات مغلقة غاية في الكآبة، وشخوصه تبدو دائما في جلال ورهبة وملامح تحمل تعبيرات دامية في القسوة والوحشية والغريب ان باكون يستلهم اعماله من السخافات ورسوم الكتب الطبية والصور المطبوعة



لوحة البابا للفنان فيلاسكيز



البابا لفرانسيس باكون



• تمرد على المدرسة والتعليم وكل قوانين النشر

مثلما يفعل ذلك مع رسوم الفنان «فيلا سكويز».

وليس هناك فنان آخر لديه تلك المقدرة الهائلة لإبراز ذلك الشعور المريع الذي يسري القشعريرة في البدن مثلما فعل عندما حور لوحة «البابا البريء» للفنان «فيلا سكويز» حيث أبرز تناقضا عنيفا بين الوقار والسكون في الرجل الجالس وبين التعبير المريع من خلال ملامحه الجزعة المرتجفة.

ويتميز «بيكون» بألوان قوية وعنيفة تتفاعل مع بعضها في درجات قاتمة تساعد على إبراز الشعور الكئيب في رسومه. وهو لا يسعى نحو إرضاء موضة فنية أو مذهب معين ويظل متفردا بقدرته على إبراز الوحشية والبهجة رغم بعض المحاولات لمنافسته وتقليد أسلوبه.

• إنه فنان يعتمد على الصدفة في أعماله وفي حياته

ولو اقتربنا من الفنان أكثر لمراقب سلوكه ونلقي نظرة على صومعته التي يرسم فيها ويعيش أيضا لوجدناها عبارة عن أستوديو تراكمت فيه الأشياء القديمة تكون أكواما من الصحون والأواني والملابس [illegible] والكتب والجرائد والمجلات [illegible] [illegible] [illegible]

نعلم أن «بيكون» يخلط ألوانه على الأطباق ويستخدم الستائر في تنظيف يديه من آثار الألوان.

ورغم الكآبة الشديدة البادية في أعماله إلا أنه على المستوى الشخصي سريع الابتهاج يتمتع بذكاء حاد يمكنه من التعبير عن نفسه في صراحة بالغة حيث لا يعتبر نفسه فنانا موهوبا بل ولا يرى نفسه كمصور وإنما يعتقد أنه يمتلك

[illegible]

شخص جالس من أعمال بيكون عام ١٩٦١





فرانسيس باكون
لحظة الرعب في زمن الموت

● صانعة ألف جنيه بطلت جيبه من معرضه الأخير في نيويورك له

نوعا خاصا من الحساسية يدفعه للتعبير بالرسم محاولا أن يقترب العمل من احساسه، كما انه يرسم ليحس ذاته، ويقول انه لايرسم ابدا اذا عرف ما سوف يفعله وانما يبدأ بالتعامل مع الالوان مباشرة دون رسم مسبق أو تحضير أو حتى تفكير حتى لحظة البداية.

وطالما يعتمد على الصدفة في اعماله ايضا يعتمد عليها في حياته، وجدير بالذكر انه عرض في نيويورك منذ وقت قريب وباع اعمالا بحوالي ٢١٠ الف جنيه استرليني كما بيعت له لوحة «دراسة للبابا» بمبلغ ٦٥ الف جنيه عام ١٩٧٥ في لندن وعام ١٩٧٦ بيعت له لوحة «رجل متكىء على تمثال» في نيويورك بمبلغ ٨٩٨٩٠ جنيه.

ورغم النجاح الكبير الذي حققه من خلال لوحته المشهورة عن البابا إلا انه يعتبرها عملا فاشلا يتمنى تدميره لولا انها ليست ملك يديه.

ومن المتوقع ان يحظى فرانسيس باكون باهتمام كبير هذا الشهر بعد أن تنشر الطبعة الجديدة لمقالاته وحواره مع الناقد الفني دافيد سيلفستر خلال الفترة من عام ١٩٦٢ الى عام ١٩٧٩ والتي عبر من خلالها عن طموحاته كفنان له اسلوبه الخاص في الفن والحياة.

ملك إسبانيا يكرم الفنان جوان ميرو



ملك اسبانيا
يقلد «ميرو» الميدالية
الذهبية

في منتصف شهر اكتوبر الماضي خلال الاحتفالات الملكية في اسبانيا قدم «جوان كارلوس» ملك اسبانيا ميدالية اسبانيا الذهبية للفنون الجميلة الى الفنان «جوان ميرو» البالغ من العمر ٨٧ عاما تقديرا لتاريخه الفني الحافل.

و «ميرو» فنان اسباني متبع مدرسة باريس الفنية. تلقى تدريبه الفني في برشلونة وكانت اعماله الاولى تعكس تأثره بالفنان «فان جوخ» الى ان ذهب الى باريس عام ١٩١٩ واشترك مع بيكاسو خلال المرحلة التكعيبية ثم تحول عام ١٩٢٣ ليصبح ضمن البارزين في الحركة السوريالية حتى ان «اندريه بريتون» كتب عام ١٩٢٨ واصفا اياه بانه اكثرهم سوريالية. وبمرور الوقت تطور اسلوبه ليصبح له طابعا خاصا مميزا يجمع بين خيال السوريالية وبناء التجريدية وزخرفة فن الارابيسك. انجز العديد من الرسوم الحائطية في اسبانيا والولايات المتحدة وفرنسا منها حائط مبنى اليونسكو في باريس.

محمد ابو طالب

من كل بحر قطرة

جحويات
«دجاجتنا» ردت إلينا



صحا جحا من نومه لم يجد دجاجة من خير طير "اليمن" كانت له هبية ساقها إليه بعض القاطنين الحسنى ملاته الجنبين بياضة فياضة بالخير من غير من فى كل صبح بيضة قد صفا صفارها، يشفى اعتلال البدن وريشها الزائد عن جسمها فوائد مثلى ونفع وفى وسائد ريانة الملكى تغنيه عن قطن سريع العطن مروحة فى الصيف مهفافة كانه فى صحبة « الكوندشن » و « رغلها » يبيعه إن مضى للسوق بالدرهم والدرهمين لكنها ضاعت فمن يا ترى اغار فى الليل عليه وأين مضى بها ثبت يداه ولا ملعبه الله بصفو الزمن وغاص فى التفكير (هل ، بل ، نعم وجدتها) صاح جحا واطمأن وراح للمسجد مستخفيا فى زى شيخ دب فيه الوهن ثم ارتقى منبره صائحا يا قوم .. فانشدت له كل عين ما قولكم فى أن لصا سطا

على جدران الجحا، والصدع أو باتية اسا فلاقى دعسنا أو غسة ونلك الحسنين جواهر مخبوءة مخلوفتنا بحث وهى الغاليات الثمن وفتش الأركان فى لهفة وعينه تدور فى المحجرين لكنه من حظه لم يجد غلا بما أمل فيه وظن لم يلق فى البيت جميعا سوى دجاجة يتيمة الوالدين فنالها والغيظ يسرى به وملتناه فى لقلى الجمرتين وبعد أن اودعها بيته أتى إلى المسجد يقضى السنن نعم . هنا يا قومنا سارق لكنه أعمى عديم الفطن أتى إلى المسجد فى رأسه ريشتها تصيح هذا من قبدنى وسار فى خفية لكنه ذاق انفضاح العلن وكان لص السوء ما بينهم ودون أن يدرى رمى باليدين بسرعة ما قلته ريشتها فصاح كل الناس : هذا إذن وامسكوه ثم نادى جحا دجاجتى عادت ويحيا الوطن

الذكرى العاشرة لعميد الأدب الفرنسي



● فى سبتمبر مرت عشر سنوات على رحيل «فرانسوا مورياك» الذى اسماه مواطنوه عميد الأدب الفرنسى واسماه «ديجول» أعظم كتاب فرنسا ..

روايتاه «قبلة الأبرص» و «جينتى بكس» كانتا السبب فى لفت الانظار إليه كروائى موهوب . وفى عام ١٩٣٣ أصبح عضوا فى الأكاديمية الفرنسية وفاز بجائزة نوبل فى عام ١٩٥٢ . ومنذ الخمسينات الى وفاته كان احد الأركان الأساسية فى جريدة «الفيجارو» و «المجلة الجديدة» و«الاكسبريس» .

واشترك فى الحرب العالمية الأولى واشتهر بدفاعه الانسانى عن قضايا الشعوب فعارض الحرب الفرنسية فى الهند الصينية وأيد الثورة الجزائرية وهاجم بشدة نفى المرحوم محمد الخامس ملك المغرب .

من أقوال الحا شيل

● فلان سعيد لأنه غنى بالمال ،
ـ وفلان أسعد لأنه غنى عن المال .

● ●

● كيف تختبر الرجل ؟
ـ بالمرأة
● والمرأة ؟
ـ بالذهب
● والذهب ؟
ـ بالنار .

مساءلات عبد الشكور المشكور بمعرفة الأنام والدور

المقامة التراثية

قال عبد الشكور المشهور ، بمعرفة الإنام والدور :

قدموه لي باسم سعد عبد الرءوف ، الكاتب المعروف ، ولم أكن سمعت بهذا السعد عبد ، من قبل أو بعد ، ففطنت لرنة التهكم ، في صوت المقدم ، الذي قدمني له على أني نافد ذواقه ، له في الجمل والناقه ، فحياني بحرارة ، وتدفقت ترحيباته بغزارة ، معلنا شرفه بلقائي ، ثم إنه من قرائي ، ومعجب بموضوعيتي ، وحياد نظرتي ، وما لم أكن تعلمت النقد ، فقد أخذت «سعد» على الفد ، وسألته عن آخر ما قرأ للعبد لله ، فقال الكاتب إياه ، وكم هو مثير ، وكان واضحا أنه يكذب ، فهو لم يقرأ وأنا لم أكتب ، ورأيتني أمام حالة ، تستحق الإطلالة ، فأظهرت التناعس ، وسألته عن آخر المساعي ، فقال بصوت ثاقب ، كتاب عودة الغائب ، فعدت أجاريه ، لأستجلي خوافيه ، من هو الغائب الذي عاد ؟ فأجاب باعتداد ، تراثنا الضائع ، وميراثنا الرائع ، كنزنا المنهوب ، وعزنا المسلوب .

وتحلق حولنا الجالسون ، وهم يتغامزون ، بينما تابع المذكور ، بصوت جهور ، لقد اثبت أن لنا الحجة ، على سائر الفرنجة ، لقد أخذوا منا ، ولكن بضاعتنا ردت إلينا ، فأنا بعد طول التقصي ، وإدمان مطالعتي ودرسي ، وضعت يدي على المسروق ، واتبعت اللاحق بالملحوق ، بعد أن بلوت شناه ، وجلوت صداه ، ذلك أن اللص إذا سرق حمارا ، باعه في السوق جهارا نهارا ، لا يخشى انفضاح أمره ، وانديلح سره ، ذلك أنه بالطلاء ، يغير جلده كما يشاء ، بل ويقطع أذنه أو ذيله مبالغة في التمويه والحيله ، حتى إن صاحبه إذا راه ، عميت عنه مقلتاه ، بل وربما اشتراه ، ممن جنت يداه ، وهكذا تنجح الحيلة ، وتفلح الدخيلة ، ومثل هذا فعل الغربيون ، وسرقوا كحلنا من العيون ، وبعد التحوير والتغيير ، باعوه لنا في قوارير .

هل تعلمون أن «شكسبير» ، هو الشيخ زبير ، شاعر البدو والحضر ، في القرن السابع عشر ، انتحلوا شخصيته ، وافتعلوا بضاعته ، ولأنهم في حروف الهجاء لا يعرفون الخاء ، فقد حولوها إلى كاف ، سالكة الأعطاف ، وحولوا «الزاي» إلى سين ، وكان الله يحب المحسنين ، وصار الشيخ زبير ، مستر شكسبير ، فصفق الجميع له بعد هذه القنبله ، وسألته وملأ عن روميو وجولييت ، الذائعة الصيت ، فقال الدفينه ، لأنها أصلة حسن ونعيمة ، وقس على ذلك ما ترجمناه ، لشكسبير إياه ، فتاجر البندقية ، يحلل بإملاء العربية ، وعطيل الوسوس اللون ، هو الشاعر ... أما ... فهو الأمير ... ، وهذا ... الكاتب ، ومن الله الأجر والثواب .

وسأله أحد اللاعبين ، بصوت رزين ، على هذا فالورد «النبي» ، هو الشاعر المتنبي ؟ ، فقال أي نعم ، وإليك ما هو أهم ، هل تعلم أن «شللي» هو الشيخ علي ؟ صاحب القصيدة اليتيمة والدرة الكريمة ، يا ليل الصب ، التي غناها الشرق والغرب ، فهللنا وزاد التهليل ، وتجاهلنا ما فيه من أباطيل

.. ويونسكو ، سأله سائل ، فقال هو «ابن سودون القائل» :

الأرض أرض والهواء هواء

والبحر بحر والسماء سماء !

وكانت بديهته حاضرة ، وحجته مبهرة ، مع بطلانها ، وهذا سر لعلها ، فالحجة المكينة ، عادة ما تكون رزينة ، لا يخطفك لونها ، أو يعطفك فستانها ، ولكن والحق يقال ، إن ذلك الخبال ، شدني إليه ، وإن لم يمنعني من الضحك عليه ، خاصة وقد التقت حماسته ، وقال ما في خلاصته :

إنه لم يكتف باسترجاع ما نهبوه ، بل ألقى بالقفاز في الوجوه ، وحاربهم بنفس السلاح ، وشعاره حي على الكفاح ، فتراميت إليه النظرات ، وتابع هو غاية في الثبات ، ألم يموهوا علينا ، ويشوهوا ما بيدينا ؟ فلماذا لا نأخذ بالثأر ؟ من الفرنجة الأشرار ، فصحنا نعم .. نعم ، تكلم السيف فاسكت يا قلم ، فقال لا .. لا عنف ، والعقل هو السيف ، فقلنا نعم الرأي الحصيف ، لنحرضه على مواصلة التحريف ، فاستطالت رقبته ، وتوالت فصاحته ، وقال تركت لهم الميدان ، وهذا ما كان :

تحت ظلال «المخللون» ، بدلا من «الزيزفون» ، فعشنا التخل كما تعلمون ، والنخوة والفداء ، بدلا من الإخوة



الإعداء ، وهذه أخلاق الكرماء ، وشوربة الاوزة ، لا عربة الفذة ، ومرسى ابو العز ، هو تينسى ويليامز ، وممنون يا اخت ، بدلا من دون كيشوت ، والأرض الخراب ، عوضا عن الأرض الخراب ، وثنا فى المحراب عبادة ولواب ، فتصايحنا عجبا وتمايل هو طربا ، وقال لقد فتحتم نفسى

وانفجرنا بضحكة فجائية ، وشاركنا فيها بروح رياضية ، ولعله ظنها من باب الفله ، تكريما له ، وتوالت التعليقات ، الفخيمة العبارات ، فتح مبين وجهد ثمين ، إعجاز يا استاذ ، لا قبل ولا بعد ، لك يا سعد ، جديد غير مسبوق ، فتبلة ستهز السوق ، وانتهزت انا الفرصة ، لأكمل القصة ، فسألته ومتى نقرا الكتاب فرد باقتضاب ، هذا هو العام العاشر ، وانا أبحث عن ناشر ، فقلت وما اكثرهم ، فقال ولكن الزمان غيرهم ، فصاروا مقرضين وسألته عن السبب ، فقال لا عجب ، فقد ألقمت الفرنجة الحجر ، وجعلتهم عبرة لمن اعتبر ، فكيف يذيعون ما يحرمهم ويطلعون ما يحرمهم ، من وهم الصدارة ، وزعم الجدارة ، فحضاراتهم مزيفة ، وإن كانت داراتهم مكيفة ، وسبقهم وهم ، وإن ادعوا الفهم ، فعابثه واحد ، وقال الم تشاهد ، كيف خطفوا البصر ، بنزولهم على القمر ؟ ، فقال وهل صدقت الهراء ، وعانقت الافتراء ؟ ، مثل هذا لو حدث لقامت القيامة ، وبلا السلامة !

وغير خبيث مجرى الحديث ، حين سأله عن الشعر القديم والحديث ، فقال على الفور ، بصوت عميق الغور :

الشعر إن لم يكن معنى وعاطفة
وحكمة فهو تقطيع بلا داعـــى
يا من زعمتم لنا التجديد ليس لكم
والله فى الشعر او فى النثر من باع
أين الحطيئة او شوقى وحافظ من
عبد الصبور وعمار بن زنبــاع
واى شعر بلا وزن وقافيـــة
كمثل قبر بلا سقف ولا قــاع

فضحكنا وقلنا عرفنا الأولين ، فماذا عن الآخرين ؟ ، فقال «عبده» أول الموجه ، التى هى هوجه ، يعجب بشعره المثقفون الذين هم عن التراث غافلون ، أجسامهم فى القاهرة ، وقلوبهم فى باريس ولندره ، أما الثانى فأضحوكة الأضاحيك ، ومحكوكة المحاكيك ، إن قراته مللته ، او رايته ازدريته ، فلسفته بلززة ، ونواظره عاجزة ، يرمى ولا يصيب ، وليس له من اسمه نصيب ، فهو خادع مخدوع ، فضلا عن إدمانه الدخان الممنوع !

فحمدنا غيرته التراثية ، وغضبته العنترية ، وقلت قلبى يحدثنى بأنك تنظم ، فهل انا محق ام ازعم ؟ ، فقال بل صدقت وبالحق نطقت ، فاستنشده الجماعة ، فقال سمعا وطاعة

وقبل أن يدخل فى الثلثة ، عاجلته الألسنة المكخشة ، قل لنا إذن ، هجوت من ؟ ، فأجاب إنسان حاقد ، يدعى انه ناقد ، وعدنى بالكتابة عنى ، منوها بأدبى وفنى ، ومرت الأيام ولم يفعل ، وكنت اكثر من مغفل ، فصاحبنا كان من الطراز البائد ، نقاد الموائد ، ممن يفهمون النقد ، على انه وسيلة إلى النقد ... ثم هذه قصيدة عصمية ، عن الجاهلية الأرضية :

أرى بقعات الجو تنشر بعضها
نقيـه وأما بعضها فحليـــة
على أنها فى ذا وهذا بعضهـــا
حوالات لا شك بها وتحيتـــه
يحطن بحصر الأرض حتى كأنها
حبال خفيات الرؤى وقيـــود
فمن رام منها منفذا خاب سعيه
ومن حلم من حول الحمى إسبيبد

وكان واقفا فجلس ، وقد بدا عليه انبهار النفس ، بعد انفعاله التحتى والفوقى ، وكأنه حافظ او شوقى ، فطلب كوب ليمونادة ، شربه جرعة واحدة ، وانتفض وقام وقال ، والآن تواصل الارسال ....

يقول عبد الشكور :

وانقضت الليلة ، ونحن متحلقون حوله ، ومستعيدون قوله ، والأنت السهرة بالختام ، فانصرفت وفى نفسى كلام ، حول سعد المذكور ، وهل هو شاعر أم مشعور ، وهل هو ماحث ، أم هازل عابث ، فقد خلط الجد بالهزل ، وصعب فيه القول الفصل ، فهو رغم الشيائه ، فى عشقه لتراثه ، واضطراب آرائه ، فى جميع انحائه ، كان واثق النبره ، متمالكا امره ، وبين العقل وضده شعره ، من عبرها فهو من الواصلين ... وخذوا الحكمة من افواه المجانين !

لمــاذا .. إذن ؟



أنا اعتـرف
لقد بحقائقها فى قلبى
على القمر الحلمى الذى
فى هيئة ينهار صرح الغرور
وكيف تموت على نضارتى
كوخ يضئ طريق النــور
أنــا اعترف
إنك أحببت فيك الأمل
وأحسست أنك ملكنى شعور
وبحثت عن مستحيــل يحتـل
أعماقــه فى غياهب السطور
فوجدت أمثل من يلـــرى
تنبت لها من الخيـــال القصور
وأحسست لأبد منى إلا ولأنه
وفيـــا رأيتـــه
● فماذا حدث ؟!
ـ رأيــتك غير الذى ليسرى يحوى
الخيـــال كجموح الجسور
● نعمـــا ؟
ـ أنا لم أقـــل !
● الجسورة ؟
ـ ولا هـــذه
● جسورة إذن يقولون الغرام
وهمس الحنــين ؟
رأيتك ... أحسست ... مثلا القول
كأن الكلام تحطمى صخور
رأيتك أنتك أنت الذى مضيت
رؤيته من الشهور
وأنــا الذى كان فى أطلقنى محرر وهم
عميق الجسور !

الأعداء ، وهذه أخلاق الكرماء ، وشوربة الاوزة ، لا عربة القذة ، ومرسى ابو العز ، هو تينسى ويليامز ، وممنون يا اخت ، بدلا من دون كيشوت ، والارض الخراب ، عوضا عن الارض الخراب ، وثنا فى المحراب عبادة ولواب ، فتصايحنا عجبا وتمايل هو طربا ، وقال لقد فتحتم نفسى

وانفجرنا بضحكة فجائية ، وشاركنا فيها بروح رياضية ، ولعله قلنها من باب الفله ، تكريما له ، وتوالت التعليقات ، الفخيمة العبارات ، فتح مبين وجهد ثمين ، إعجاز يا استاذ ، لا قبل ولا بعد ، لك يا سعد ، جديد غير مسبوق ، فتيلة ستهز السوق ، وانتهزت انا الفرصة ، لأكمل القصة ، فسألته ومتى نقرأ الكتاب فرد باكتئاب ، هذا هو العام العاشر ، وانا ابحث عن ناشر ، فقلت وما الكرهم ، فقال ولكن الزمان غيرهم ، فصاروا مغرضين وسألته عن السبب ، فقال لا عجب ، فقد القمت الفرنجة الحجر ، وجعلتهم عبرة لمن اعتبر ، فكيف يذيعون ما يحرمهم ، ويطلعون ما يحرمهم ، من وهم الصدارة ، وزعم الجدارة ، فحضاراتهم مزيفة ، وإن كانت داراتهم مكيفة ، وسبقهم وهم ، وإن ادعوا الفهم ، فعابثه واحد ، وقال الم تشاهد ، كيف خطفوا البصر ، بنزولهم على القمر ؟ ، فقال وهل صدقت الهراء ، وعانقت الافتراء ! ، مثل هذا لو حدث لقامت القيامة ، وبلا السلامة !

وغير خبيث مجرى الحديث ، حين سألته عن الشعر القديم والحديث ، فقال على الفور ، بصوت عميق الغور :

الشعر إن لم يكن معنى وعاطفة
وحكمة فهو تطبيع بلا داعـــى
يا من زعمتم لنا التجديد ليس لكم
والله فى الشعر او فى النثر من باع
اين الحطيئة او شوقى وحافظ من
عبد الصبور وعمار بن زنبـــاع
واى شعر بلا وزن وقافيـــــة
كمثل قبر بلا سقف ولا قـــاع

فضحكنا وقلنا عرفنا الاولين ، فماذا عن الآخرين ؟ ، فقال «عبده» اول الموجه ، التى هى هوجه ، يعجب بشعره المثقفون الذين هم عن التراث غافلون ، اجسامهم فى القاهرة ، وقلوبهم فى باريس ولندره ، اما الثانى فاضحوكة الاضاحيك ، ومحكوكة البعاكيك ، إن قراته مللته ، او رايته ازدريته ، فلسفته بلزبة ، ونواظره عاجزة ، يرمى ، لا يصيب ، وليس له من اسمه نصيب ، فهو خادع مخدوع ، فضلا عن إدمانه الدخان الممنوع !

فحمدنا غيرته التراثية ، وغضبته العنترية ، وقلت قلبى يحدثنى بأنك ستنظم ، فهل انا محق ام ازعم ؟ ، فقال بل صدقت وبالحق نطقت ، فاستنشده الجماعة ، فقال سمعا وطاعة .

وقبل ان يدخل فى الشللة ، عاجلته الألسنة المتخشنة ، قل لنا إذن ، هجوت من ؟ ، فاجاب إنسان حاقد ، يدعى انه ناقد ، وعدتى بالكتابة عنى ، منوها بأدبى وفنى ، ومرت الأيام ولم يفعل ، وكنت اكثر من مغفل ، فصاحبنا كان من الطراز السائد ، نقاد الموائد ، ممن يفهمون النقد ، على انه وسيلة إلى النقد ... ثم هذه قصيدة عصماء ، عن الجاذبية الأرضية .

أرى بقالات الجو تنشر بعضها
بقوة وأما بعضها فحليـــة
على انها فى ذا وهذا بعضها
حوالات لا تنأى بها وتحيلـه
يحطن بخصر الارض حتى كانها
حبال خفيات الرؤى وقيـــود
فمن رام منها منفذا خاب سعيه
ومن حلم من حول الحمى إسبيبد

وكان واقفا فجلس ، وقد بدا عليه انبهار النفس ، بعد انفعاله التحتى والفوقى ، وكانه حافظ او شوقى ، فطلب كوب ليموناده ، شربه جرعة واحدة ، وانتفض وقام وقال ، والآن تواصل الارسال ....

يقول عبد الشكور :

وانقضت الليلة ، ونحن متحلقون حوله ، ومستعيدون قوله ، والأنت السهرة بالختام ، فانصرفت وفى نفسى كلام ، حول سعد الذكور ، وهل هو شاعر ام مشعور ، وهل هو ماحث ، ام هازل عابث ، فقد خلط الجد بالهزل ، وصعب فيه القول الفصل ، فهو رغم الضيافه ، فى عشقه لتراثه ، واضطراب آرائه ، فى جميع اتجاهاته ، كان واثق النبره ، متمالكا امره ، وبين العقل وضده شعره ، من عبرها فهو من الواصلين ... وخذوا الحكمة من افواه المجانين !

لماذا .. إذن ؟



لا أعرف
... نمتطيها فى فتور
... المقعد الخشبى الذى
... كيف يتهز سرج الفرار
وكيف تموت على يدى
... تشق طريق العبور
انـــا اعرفـــك
انك أحببت قبلى الأمير
واحسست فيك ظلى ...
وبحثت عن مستحيل ...
العلاقة فى ... السطور
وحيث انتظر من يدرى
... لها من الخيال القصير
... لابد منى إلا وإنه
وانـــا ...
■ ماذا حدث ؟ !
ـ ... أنى ... بسمة ...
الخــوف كجموح الجسور .
■ ... ؟
ـ ... أم ... !
■ ... ؟
ـ ولا ...
■ ... لمن ... الغرام
وهمس ... ؟
ـ ... ماذا ...
كان الكلام ... سطور
... الذى ...
... من ...
... الذى كان فى ... الجسور !

من كل بستان زهرة

إعجاز الكناية

اللغة العربية تلجأ للكناية توسعاً والتذاذاً واختصاراً وثقة بفهم المستمع .. هكذا قال الثعالبي في كتابه «فقه اللغة» ونقدم نحن نماذج لهذه الاستخدامات الثلاثة التي جعلها الثعالبي سبباً في التجوء اليها.

● كناية التوسع «كل من عليها فان» - اي على الارض، وهي كناية توسع باعتبار ما تضمنه الارض من إنسان ونبات وحيوان وماء وشجر.

● كناية الاقذار «حتى إذا توارت بالحجاب» اي - الشمس - والاقذار يأتي من طبقات الحجاب الكاشف المتوارى، بلفظية الكناية والظاهرة في السياق.

● وكناية الاختصار «حتى إذا بلغت التراقي» - اي - الروح، وكانت الكناية هنا اختصاراً باعتبار الروح من غريزتين اما نحن فما اوتينا من العلم إلا القليل.

وهذا في عمومه يؤكد غرضاً بليغاً من اغراض الكناية وهو ثالث اغراض الثعالبي الثقة في فهم المستمع حتى لا يتكرر حادث الرجل الذي قال للخطيب: لم لا تقول ما يفهم؟ فاجابه: ولم لا تفهم ما يقال؟!

من غير أمل

ملحمة دانتي «الكوميديا الالهية» اشهر اثر ادبي في العصور الوسطى.. وقد اختلفوا حول علاقتها «برسالة الغفران» وحدود تأثر «دانتي» «بأبي العلاء» .. ولكنهم اتفقوا على أن اشهر أبياتها البالغ عددها (٢٧٦٤٠ بيتاً) هو ذلك البيت الذي جاء على لسان «فرانتيسيكا» والتي سيقت إلى الجحيم بسبب علاقتها غير المشروعة مع «باولو» اخي زوجها .. البيت هو:

- الأمل .. كل الأمل يتخلى عنكم يا من تدخلون هنا!

المتنبي ناثراً



كلنا نعرف المتنبي على انه شاعر .. ولكن ماذا عنه حين ينثر؟.. إقرأوا هذه الرسالة التي بعثها الى احد مياسير القوم وكان هذا الميسور قد سمع بمرض المتنبي فظل يسأل عنه ويصله، ولما شفي المتنبي لم يعد يسأل عنه

كتب المتنبي يقول:

(وصلتني - وصلك الله - معتلاً وقطعتني مبلاً - بضم الميم وكسر الباء - فان رأيت أن تحبب العلة الي ولا تكدر الصحة علي .. فعلت إن شاء الله).

أرأيتم؟ - بصريح العبارة يقول له لا تجعلني احب علتي لانها كانت سبباً في وجودك ولا تجعلني اكره شفائي لانه ابعدك عني يا منية المتمني.

يقولون عن هذه الرسالة انها من بدائع الانشاء التي اعتمد على التركيز فاجاد والقول الوجيز فاقاد.

أبو الكيمياء يكتشف الماء الملكي

يلقبه الغربيون «أبو الكيمياء» والكثير من اكتشافاته يعتبر أساساً في علم الكيمياء.

إنه العربي المسلم جابر بن حيان الذي يلقبه الأوروبيون باسم جيبر ... وأكسب العلم الخاص بالتجريب الدقيق للتشبيهات والتعاريف والاصطلاحات العلمية في كتابه الحدود.

هو أبو الكيميا بحق .. يكفي انه اول من قام بتحضير الاحماض في المعمل ويلسوب علمي شرحه في كتابه «صندوق الحكمة» وقال إن إضافة ملح النوشادر الى كلورو الامونيا إلى ماء النار (حامض النتريك) ينتج عن هذا الخليط «حامض» سماه اسمه «الماء الملكي».

الاحماض اساس علم الكيمياء.

جابر بن حيان اول من قام بتحضيرها هل نبالغ إذا قلنا إنه أبو الكيميا؟

كلام عن الالهام



● الالهام ليس وقفاً على الشعراء والأدباء والفنانين .. إنه بعض العلماء .. ثم لا نستطيع إذا قلنا إن «العالم» لابد أن يكون شاعراً واديباً وفناناً.

اسمع ما يقوله الدكتور مصطفى مشرفة أول عالم عربي متخصص في مجال «الذرة»:

● وقدرة الباحث على الابتكار تتوقف على مدى قدرته على تلقي الالهام فالباحث العلمي كثيراً ما يلهم نتائج ابحاثه والسيكولوجيون يفسرون الالهام على أنه إنبعاث من العقل الباطن ولكني افضل أن أسميه الالهام.

بالمناسبة - «اينشتاين» أبو الذرة .. وصف موت مشرفة (١٨٩٨ - ١٩٥٠) بأنه خسارة جسيمة.

محمد بركات

مطلوب مركز عالمي للحضارة العربية

لا يهدف هذا الموضوع الى مجرد التعريف بمركز جورج بومبيدو الثقافي بباريس، المعروف باسم «بوبور»، ولكنه يستهدف اولاً استثارة حماس المثقفين العرب، والمسئولين عن العلم والمعرفة في الوطن العربي لانشاء مركز مماثل، يصبح معلماً حضارياً للثقافة العربية، ويضم بين جوانحه ذخائر هذه الثقافة واهم معالمها في الماضي والحاضر على السواء.

المكان لا يهم

ونحن بالطبع لا نحلم بمركز عربي على نفس المستوى المذهل الذي اقيم على غرار المركز الثقافي الفرنسي لأن هذا الأخير يعتبر اضخم مجمع ثقافي في العالم، وهو اكبر حدث من نوعه جرى في اوربا خلال القرن العشرين كله، ولكننا نحلم بمركز عربي في حدود ما هو ممكن او متاح، وليس مهماً في اي عاصمة عربية يقام هذا المركز المنشود، في دمشق او بغداد، او الرياض، او القاهرة، او الرباط. المهم ان يوجد مثل هذا المجمع العربي الشامل لأسباب متعددة قد نذكر منها ما يلي:

- اولاً: ان للعرب منظماتهم الاقتصادية والسياسية الجامعة التي تعبر عنهم وعن مصالحهم في المحافل الدولية، ومع هذا فليس للعرب منظمة ثقافية جامعة ومتخصصة تعكس حقيقة الحضارة العربية والثقافة الإسلامية قديمها وحديثها، فالمطلوب هو مركز متخصص معلماته ومراجعه وفنونه وعلومه على السواء.

صورة العربي

ثانياً: لقد اصبح العرب اليوم هم القوة السادسة في العالم كما يقال، وقد

● مطلوب واجهة حضارية تقدم صورة الانسان العربي إلى العالم

● لغة العالم اليوم هي لغة الفن والفكر والثقافة الانسانية

حدث منذ [illegible] معرض [illegible] شغلها [illegible] وتكوينها [illegible] لقد [illegible] العرب [illegible] والعالم الغربي والشرقي على السواء يريد ان يعرف على وجه التحقيق من هم هؤلاء العرب، وما هي حضارتهم، وما هي ثقافتهم، وما هو اسلامهم؟!

وليس العلماء او المثقفون وحدهم هم الذين يريدون ان يعرفوا من هم العرب، ولكنه المواطن العادي في اليابان او في امريكا هو الذي يريد ان يعرف.

ومن الحكمة ان نعترف بأن صورة العربي في تصور المواطن الغربي والشرقي على السواء صورة مشوهة، رسمتها الاجهزة الصهيونية من ناحية، ورسمها بعض المستشرقين من ناحية اخرى، ورسمها تراث عريض من الوهم واحلام ألف ليلة وليلة، وحواري هارون الرشيد في ليالي بغداد الساحرة. ومن المطلوب تصحيح هذا كله، حيث يجب ان يعرف المواطن في اي مكان في العالم ما هو الاسلام على حقيقته، وما هي الحضارة العربية القديمة، وما هي الثقافة العربية الحديثة، ومن هم المفكرون العرب، وما هي ابداعاتهم، وما هو الفن العربي وما هي روائعه، ثم ما هي اللغة العربية العظيمة التي يكاد يعترف علماء اللغات — لولا ان في نفوسهم مرض — بأنها اعظم لغة يعرفها الإنسان، واكثرها غنى وجمالاً وثراء.

إن مركزاً عالمياً للحضارة الإسلامية، والثقافة العربية على غرار المركز الفرنسي الذي سنعرض له في هذا المقال كنموذج يجب ان يحتذى، يجب ان يقوم على الفور، ويجب ان تتكاتف الدول العربية كلها، وخصوصاً الدول المنتجة للبترول، من اجل اقامته. وهذا المركز سوف يكون هو الواجهة الحضارية التي تقدم صورة الانسان العربي الى العالم كما هي على حقيقتها وكما ينبغي ان تكون.

لغة الحضارة

ثالثاً: ان عصوراً طويلة من التخلف والإستعمار قد المت بالعالم العربي، وعملت على تأخره وانهياره. وها هو العالم العربي يكاد يعيش في قلب العصر مرة اخرى، بعد ان تخلص من كل عقد النقص والتبعية الناتجة عن الإستعمار الطويل، وخصوصاً الإستعمار التركي، الذي وقف بالمسيرة العربية عند العصور الوسطى وساهم في تأخر العرب عن ركب الحضارة بما يقرب من خمسة قرون.

ولغة العالم اليوم هي لغة الحضارة، لغة الفن والفكر والمعرفة والثقافة والعلم وتلك هي اللغة التي يجب ان نخاطب بها العالم المتحضر في نهاية القرن العشرين والوسيلة الوحيدة لإحداث هذا «التواصل» مع العالم من حولنا هي انشاء مثل هذا المركز العالمي للثقافة



مركز عالمي للحضارة العربية



الحدث الثقافي



مطلوب مركز عالمي للحضارة العربية

الجميلة ـ في شهر ديسمبر (كانون الأول) عام ١٩٦٩، حين قرر جورج بومبيدو رئيس جمهورية فرنسا الراحل بناء ما اسماه المركز الثقافي الوطني. وكان الرجل يحلم بمركز ضخم يجمع بين جوانبه اكبر قدر من الفن والمعرفة والثقافة، مركز جامع، تتجاور فيه الفنون وتتفاعل ويؤثر بعضها في الآخر ويتأثر به. والاهم من كل هذا ان تصل هذه الثقافة الى الناس او ان يصل الناس اليها. كان الحلم هو إحداث تفاعل يومي بين الفن والمتلقي، تحقيقا لديموقراطية الثقافة او تطبيقا لشعار ان الناس اذا لم يذهبوا الى الفن فيجب ان يذهب الفن اليهم. وهو بالمناسبة تعبير فرنسي ايضا قاله اندريه مالرو. وارتفع شعار المركز. وكان يقول ان مهمته الرسمية هي: «حفظ التراث، وتنشيط عمليات الخلق والابداع الفني والفكري، وإعادة صياغة الجمهور على نحو يمكنه من التعامل مع فنون العصر، ثم التفاعل الخلاق بين مختلف ميادين الفن والمعرفة لتحقيق هدف نهائي هو وحدة الثقافة».

وفي عام ١٩٧٠ اعلنت الحكومة الفرنسية عن المسابقة الكبرى لبناء المركز الثقافي الضخم، وفي العام التالي كانت شركة ايطالية انجليزية قد فازت ببناء المشروع من بين سبعمائة بيت هندسي عالمي تقدموا جميعا للمسابقة. الامر الذي يعطي القارىء فكرة عن حجم المشروع، وعن مدى الاهتمام العالمي به.

وفي عام ١٩٧٢ بدأت اعمال التنفيذ واستغرق البناء خمس سنوات كاملة من العمل المتصل الدءوب. وفي فبراير (شباط) عام ١٩٧٧ اجتمعت في باريس اكبر نخبة من المفكرين والفنانين والملوك والرؤساء لافتتاح اكبر مجمع ثقافي في اوربا، ولحضور اضخم حدث من هذا النوع يشهده العالم منذ قرن كامل.

ومنذ هذه اللحظة اصبح «بوبور» واحدا من اشهر معالم باريس، تماما مثل متحف اللوفر ودار الاوبرا، والمكتبة الوطنية، وبرج ايفل والسوربون وغيرها.

وقد اقيم المركز العظيم في شارع «رامبوتو» في قلب باريس. وهو حي قديم من احيائها، وربما قبل الله يقوم في محدة باريس.. هكذا يسمى الفرنسيون اسواق الهال الشعبية في مدينتهم العريقة.

وقد اقيم المركز في هذا المكان الشعبي عن قصد، وبقصد عمدي مسبق. فالهدف هو ان تكون الثقافة في متناول الناس.

وقد لخص كلود مولار سكرتير عام المركز هذا المعنى في عبارة دالة يقول فيها: «لقد قام مركز بوبور لكي يضع الخاتمة النهائية لعهود المعابد الثقافية».

غرابة البناء

ولتحقيق هذا الهدف جاء شكل المركز من الناحية الهندسية والمعمارية شكلا بالغ الغرابة، بحيث [illegible] في نفس الوقت [illegible] من سكان باريس [illegible] بومبيدو [illegible] الافتتاح لم [illegible] [illegible] لانه [illegible] الانابيب الملونة [illegible] الهائلة يعني ان يكون مركزا للفن والفكر والثقافة. انه اشبه ما يكون بمصنع لتكرير البترول، او مصنع للالومينيوم او الصلب، ولكنه ابدا لا يمكن ان يكون قلعة فن. ولكن كانت تلك هي الحقيقة. فالبناء رغم غرابته قصد منه ان يكشف عما بداخله، لكي يرى الناس ـ كل الناس ـ بداخل الثقافة والفن.

فالمعنى البسيط الكامن هنا من وراء بناء المركز بهذا الشكل الزجاجي الشفاف يعني ان الثقافة ملك للجميع، يجب ان يراها ويتعامل معها الكل، لا ان تظل حبيسة خلف الجدران السميكة التي لا تنفذ منها إلا الصفوة.

هذا من ناحية. ومن ناحية اخرى فقد كان لابد للبناء ان يكون متفقا مع ذوق العصر، ذوق حضارة في نهاية القرن العشرين، وفي بلد مثل فرنسا. ولم يكن معقولا ان يكون المبنى في فخامة الاوبرا الذهبية الكلاسيكية، ولكن المعقول الوحيد، هو ان يكون المبنى عمليا، ومؤديا للغرض الذي انشىء لاجله، ومحققا لغاياته، ومتسقا مع فلسفة العصر في الروح والبناء. فلم يكن الهدف ابدا هو الجمال، ولكن بناء قلعة للذكاء، على حد تعبير قديم لهكتور هوجو. ان المركز في كله يعبر عن حضارة مجتمع صناعي بالغ التقدم.

حماية الثروة

وإذا ما تركنا شكل المركز ودلالته، راعنا انه يحتوي في داخله على ما لا يمكن تصوره في مكان واحد. فالمركز من ناحية قد صمم بحيث يتسع لاكثر من خمسة وعشرين الفا من الزوار والمتعاملين في نفس الوقت. إنه مدينة صغيرة بزواره ومقتنياته، ويكفي ان نعلم انه يقوم على مساحة تمتد الى مائة الف متر مربع، وانه يرتفع الى تسعة طوابق فوق الارض وطابقين اسفلها. وقد بلغت تكاليفه ـ باسعار السبعينات ـ الف مليون فرنك فرنسي، في حين تجاوزت اعمال البناء وحدها اربعمائة مليون فرنك. اما ما بداخله من تحف ومقتنيات فلا تقدر بثمن، وان كان هواة الارقام يقولون انه يحتوي على اشياء يزيد ثمنها على الفي مليون فرنك فرنسي!!

والسؤال البسيط بعد هذا هو: كيف يمكن حماية هذه الثروات الفنية الموضوعة في متناول خمسة ملايين زائر هم متوسط الذين يتعاملون مع المركز سنويا؟!!

والاجابة بالارقام قد تعطينا فكرة عن حجم المركز وتكوينه. فالطوابق الموجودة اسفل المبنى، تحت الارض، صممت كلها لاعمال الادارة والمراقبة باحدث اساليب العصر. وهناك جهاز بالغ التعقيد يشتمل على احدث النظم العصرية في هذا المجال. ابتداء من كاميرات التليفزيون المثبتة في كل مكان، وانتهاء باجهزة الرادار التي تلتقط اقل حركة في المبنى الضخم، فضلا عن السعة

● ضغطة أصابعك
على زر صغير
لتجد أحدث
لوحات بيكاسو

ليزر ، وأجهزة انذار مغناطيسية ، وقلاقات للدخان ، وأجهزة أخرى لم يشأ المسؤولون عن المركز أن يفصحوا عنها .

أما نقط المراقبة فتبلغ ست آلاف نقطة بينها أربع آلاف إشارة تنبيه . ويتم تجميع المعلومات في مركز للادارة الالكترونية بواسطة العقول الصناعية .

وهذا النظام هو أفضل نظام للأمن والمراقبة لمثل مساحته في العالم كله حتى الآن لحماية الآثار الفنية . وتبلغ درجة الحرص على الآثار والعناية بها إلى حد أن بعضها متصل مباشرة بالعقول الالكترونية .. وبعد هذا كله فهناك أكثر من ألف رجل وامرأة يقومون بعمل المراقبة البشرية ابتداء من المضيفات والحراس حتى رجال الأمن !!

المجموعات الفنية

ولكن ما هي تلك المحتويات التي لا تقدر بثمن ، والتي قال بعضهم أنها تساوي ألفي مليون فرنك ، والذي أنشىء من أجلها هذا المركز ، وهذا الجهاز المعقد للمراقبة والأمن ؟

يحتوي «بومبيدو» باريس على أربعة أقسام رئيسية :

ـ القسم الأول : وهو أكبرها وهو متحف الفن الحديث ، وهو يشغل الطابق الرابع على مساحة قدرها سبعة عشر ألف متر مربع ، ويضم هذا المتحف مجموعات فنية كاملة من اللوحات والرسوم وأعمال النحت والتصوير الفوتوغرافي منذ بداية القرن العشرين وحتى الآن . ويعمل هذا القسم على تجميع الأعمال الفنية من هذا اللون ، وعرضها ، وتقديم كل المعلومات عنها . ويزيد عدد اللوحات المحفوظة لكبار فناني القرن العشرين عن ألفي لوحة . ويكفي الزائر لهذا القسم أن يضغط على زر صغير حتى يجد أمامه أحدث لوحات بيكاسو أو اندريا ، وهي متعة لم تكن أبدا في متناول الناس ، ولكنها كانت حكرا على طبقة الأثرياء . ويتبع هذا القسم مركز للتوثيق ، يهتم بجمع المعلومات والدراسات والأبحاث التي تساعد على فهم واستيعاب تاريخ الفن في القرن العشرين وتطوراته عبر مراحله المعاصرة . كما أنه يضم مكتبة فنية متخصصة ، غنية بالكتب والمجلات والمخطوطات وهو يوفر هذه الأشياء كلها للدارسين ومتذوقي الفن . كما يتبع هذا القسم مركزا خاصا مهمته تنظيم المعارض ، وإقامة الندوات ، والمهرجانات .

ـ القسم الثاني : وهو الذي يلي القسم الأول في المساحة والأهمية وهو المكتبة العامة ، وهي تقوم على مساحة قدرها ستة عشر ألف متر مربع ، وتسع هذه المكتبة ١٥٠٠ قارئ في نفس الوقت وبها مجموعات من الكتب تغطي كافة ميادين العلم والفن والمعرفة . والدخول إليها حر مجانا وبلا أي مقابل . وتحتوي هذه المكتبة على ثلاثة مراكز أساسية هي المكتبة ، وصالة الأحداث الجارية ومكتبة الأطفال .

الفن الحديث

أما المكتبة فتضم خلاصة ما هو حديث في الفكر الإنساني ، في جميع ألوان المعرفة وهي المكان الأول الذي يحظى باهتمام الزوار ، وفي هذه المكتبة قسم خاص لتعليم اللغات حيث يستطيع الزائر من خلال أدوات سمعية خاصة ، أن يتعلم بنفسه ، وبمفرده ، أية لغة يريدها من لغات العالم الحية بما فيها اللغة العربية !!

أما صالة الأحداث الجارية فتضم قاعات فسيحة للندوات والاجتماعات والدراسة والعروض ، وبها أشمل مجموعة من الصحف والدوريات والمجلات القادمة من جميع أنحاء العالم . وفي هذه الصالة المجهزة بأحدث الآلات السمعية والبصرية يمكن للزائر أن يسمع أو يرى ما يشاء من تسجيلات أو أفلام أو حتى معارض نادرة .

وأما مكتبة الأطفال فتضم ثلاثة أجنحة ، أولها للقراءة ، وثانيها عن الوثائق والمراجع الخاصة بأدب الأطفال وثالثها للوسائل السمعية والبصرية .

ـ القسم الثالث : ويسمى «مركز الخلق الصناعي» وهو يمتد على مساحة أربعة آلاف متر ، ومهمته دراسة كل ما يتعلق بالإبداع ، وبتطور الظروف والأساليب الخاصة بحياتنا الراهنة ، مثل بناء المدن ، وثورة الاتصالات ، وأساليب الفن المعماري ، والمعالم الصناعية . ويضم هذا القسم جانبا خاصا يسترجع فيه الزائر بمساعدة الصور والأفلام كل تاريخ التطور الصناعي في العالم . وقد كان المركز موفقا حين استهل نشاطه بمعرض عن علم آثار المدن ، ثم أتبعه بمعارض عن جغرافية اللون ، وتشريح البيت .

ـ القسم الرابع : ويسمى بقسم الأبحاث السمعية والموسيقية .. وهو يهتم بتتبع كل جديد في عالم الصوت والموسيقى للمؤلفين والعازفين والمطربين ، وهو يحفظ انتاجهم وينشره على أوسع مساحة من الجمهور . ويقوم هذا القسم بتنظيم العروض المختلفة والمعارض المتنوعة وخصوصا العروض السينمائية والمسرحية ، وقد ألحق به فرع للسينماتيك الفرنسية ، أطلق عليه اسم هنري لانجلو مؤسس السينماتيك الذي رحل عام ١٩٧٧ .

النبوغ المبكر

وهناك بعد هذه الأقسام الرئيسية قسمان آخران : الأول هو متحف الأطفال ، وهو مخصص للكشف عن النبوغ المبكر عند الأطفال باستثارة حاسة الإبداع لديهم من خلال مدربين مؤهلين علميا على هذا العمل . والثاني : قسم يضم فروعا للطباعة والتوزيع والتبادل الثقافي ، وإعادة إحياء العروض القديمة ، فضلا عن أقسام للاستماع وأخرى للمشاهدة .

وبعد .. فهذا هو باختصار شديد «مركز جورج بومبيدو الوطني للفن والثقافة» المعروف باسم «بوبور» ، ونحن هنا لم نتعرض لإنجازات هذه القلعة الثقافية خلال السنوات الأربع الماضية التي زاره فيها ما يزيد على عشرين مليونا من رواد الفن والثقافة والمعرفة .

.. أما الهدف من هذا التعريف فهو طرح السؤال الصغير التالي : متى يكون لنا نحن العرب «مركز عالمي على هذا النحو» مركز يمثل الواجهة الحضارية اللائقة بنا في دنيا القرن العشرين ؟!

محمد بركات

جمال قطب

أزمة الفن التشكيلي في العالم العربي

المذاهب الحديثة وبوادر العزلة

في العصور الحديثة .. وفي عصر السيطرة الغربية الجارفة على شتى نواحي الحياة المعاصرة .. نادراً ما يتردد اسم فنان عربي في المحافل الدولية .. وكان دورنا قد انتهى في حركة الإبداع العالمي في ميدان الفنون التشكيلية ، بانتهاء عصور الدولة الإسلامية الزاهرة في الشرق الاوسط منذ نحو ثلاثمائة عام !

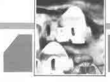
ونتأمل في نظرة خاطفة إلى أمجاد الفن العربي الاسلامي حتى توقفت مسيرته على مشارف العصر الحديث !

كانت «المدائن» عاصمة الساسانيين على أرض العراق تضع اللبنات الأولى للفن الساساني الذي أرجعه الباحثون كأساس ومنطلق للفن الإسلامي قبل الفتح وحتى قضى المسلمون على دولتهم عام (٦٤٠م) ، وقد اثبتنا في مقالات سابقة إن العرب من الغساسنة والمناذرة وغيرهم قد اسهموا بالنصيب الأكبر في بناء الحضارة والفن الساساني قبل الاسلام ، ولم يكن العرب في بلاد ما بين النهرين محاربين فقط بل غطت إبداعاتهم كل مرافق الحياة .

الفنان المسلم

وفي الدولة الاسلامية في العصر الاموي ، كان الرواد الاوائل يجدون في







هل توقف دورنا في حـــركة الإبداع العــالمي منذ ثلاثة قرون ؟

البحث عن هوية فنية مميزة .. ونجحوا في إيجاد الفن الإسلامي الذي تبلورت ملامحه في العصر العباسي . حيث تألقت مدرسة بغداد كمركز إشعاعي للفنون ، وكونت الموصل بعد ذلك مقرا هاما للمبتكرات الفنية التطبيقية كان نقطة وثوب وانطلاق إلى مصر وسوريا في عهد الأيوبيين في القرن السادس الهجري وتطلع العالم أجمع إلى المستحدثات الفنية في زخارف «الأرابيسك» وفن التكفيت بالمعادن الثمينة وصياغة الحلي والكريستال والأحجار الكريمة ، وشهد العصر الفاطمي الذهبي أمجادا فنية رائعة عمت بإبداعاتها الرفيعة منطقة البحر الأبيض المتوسط كلها وجنوب أوروبا .. وازدهر فن النحت والعمارة بزخارفها وبلفوراتها البرونزية وغير ذلك من مظاهر البذخ الفاطمي الشهير . وفي غرب جنوب أوروبا ، سيطرت الفنون العربية الإسلامية في الأندلس على أسبانيا ، وبهرت أوروبا كلها بإشعاعاتها .. وامتزج الفن القوطي الغربي بفن الأرابيسك وتوهج فنانو الغرب من مبتكرات الفن الإسلامي ، وأصبح الفنان المسلم في تلك العصور يتربع على عرش الإبداع العالمي .

وفي العصر العثماني الذي عم نفوذه شرق أوروبا والعراق والشام ومصر ، تم غزو القسطنطينية مركز الفنون والآثار البيزنطية ، وامتزجت الفنون الإسلامية والبيزنطية فكانت إثراء وإضافة حضارية لمسيرتنا الفنية العريقة . وكان عام ١١٣١ هـ .. نهاية لهذا التألق والسيطرة لفنوننا في الإمبراطورية الإسلامية .

وفي أثناء الحكم العثماني التركي فرغ الأتراك على العالم العربي (القاهرة) من الفنانين .. وبعثوا بهم إلى الأستانة ! وفرض علينا بعدها أن تندثر حركة الإبداع العربي .. إلا من نشاطات فردية متعثرة !

وكانت بداية لغفوة طويلة ... حتى صحونا على هدير المعارك الصاخبة بين قطبي أوروبا .. وبعد أن صارت بلادنا نهبا للأطماع الاستعمارية الأوروبية .. وتطلعنا إلى هذه الإشعاعات الفنية المتألقة وهي تتابع في تسابق لاهث نحو القمة .. ولم نستطع أن نفعل مرة ثانية وقد امتلأ العالم أجمع بالضجيج والحركة والحياة !



الطريق الوحيد

وبدأنا مع مطلع هذا القرن نتلمس الطريق .. وأي طريق !

لم يكن أمامنا غير طريق أوحد لنكسر الجمود والتوقف الذي فرض علينا في تلك القرون الأخيرة .. إنه طريق الغرب

المؤدي الى بلاد اوروبا عبر البحر الابيض المتوسط ..

وكانت فرنسا – ومازالت – ملتقى التيارات الفنية ومسرح المعارك الابداعية المتطورة .. وهذه ايطاليا كمتحف يحوى اسرار عصر النهضة واساطين الفن الخالدين . واسبانيا – حيث تعبق اجواؤها بفنون الاندلس وروائع الفن الايبيرى العريق .

وبدأ زحف رتيب إلى هذه المناهل السائغة ولكن العيون والمشاعر شاخصة الى مدينة النور على نهر السين حيث تستعر المعارك الابداعية التى تقود العالم الى متاهات الفن الحديث ...

وكان ذلك بداية حركة الفن المعاصر فى وطننا العربى .

وقبل أن تصل الى النتائج الحالية التى نحن بصدد استعراضها عن ظاهرة عزلة الفنان عن جماهيرنا العريضة ، وعدم تفاعلهم مع انتاجه ، لابد لنا من تناول الاسباب التى ادت الى قطع الصلة بين جهازى الارسال والاستقبال .

ولعل التجربة المصرية التى بدأت مع مطلع هذا القرن لاوضح مثال ، لما فيها من تاثير مباشر على حركة الفن العربى المعاصر عامة ، ولما للقاهرة من خلفية حضارية وفنية اتاحت فرصة الريادة فى العصر الحديث .

وتبدأ هذه التجربة بافتتاح مدرسة الفنون الجميلة فى القاهرة عام ١٩٠٨ ، ولكن ظروفا انشائها قد قطع الصلة بين حركة الفن المعاصر ، وتراثنا العربى الذى لم يزل انذاك يترك بصماته على معظم مرافق حياتنا وتقاليدنا ، ولم تكن بطبيعتها بعثا عربيا فرضته الوطنية المتاججة فى نفوس المصريين فى تلك الفترة التى تجلت فيها روح النضال والكفاح ضد الاستعمار البريطانى ، وكل صنوف القهر السياسى والاجتماعى فى مطلع هذا القرن . ولكنها جاءت وفق إرادة ذاتية من احد الفنانين المستشرقين الفرنسيين يدعى «لابلان» ، استطاع ان يقنع احد افراد الاسرة المالكة وهو الامير يوسف كمال، باحتضان فكرة انشاء هذه المدرسة ، وكان هذا الامير شغوفا بالفن وجمع التحف ، حتى ان قصوره فى مصر كانت بمثابة متاحف صغيرة . ومن الطبيعى ، ان يختار لابلان مجموعة من الاساتذة الاجانب للتدريس ، مثل فورشيلا ، وكولون وبيرون وغيرهم .

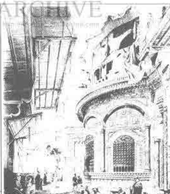
وتبعا لذلك ، فقد كانت اساليب الدراسة والممارسة الفنية تجرى على النسق الاوروبى الخالص ، فلم يهتم هؤلاء الاساتذة الاوربيون بوضع منهج يرتبط بالواقع المصرى يعمل على وصل النشاط القائم بالنهضة الفنية العربية القديمة . ومن الطبيعى ان يكون الامتداد المنطقى للدراسة هو ان يسافر الخريجون فى بعثات الى اوروبا .

وقد ضاعفت هذه البعثات من انقطاع الصلة بين الفنان وواقعه ، واعارته جذورا ومناهل مصطنعة تمتد الى أوروبا وتمتص من عصارتها .

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الاتجاه ، ان بدات اولى بوادر الانفصال والعزلة بين الفنان والمواطن البسيط الذى تشده اوثق الروابط بواقعه العربى والاسلامى ولذلك ، فقد جاءت ثمار هذا الوضع غريبة المذاق على الجمهور لا يستطيع ان يستسيغها .

المدارس الغربية

ولننظر الى حركة الفنون التشكيلية



فى ذلك الوقت اى فى اواخر القرن الماضى واوائل هذا القرن :

منذ منتصف القرن التاسع عشر ، بدات ثورة جامحة فى مدارس الفنون الأوروبية الحديثة .. فتدافعت فى صراع اشبه بالمبارزات العنيفة بين الفنانين التشكيليين . وكانت فى معظمها تنشا مواكبة للثورة العلمية التى تجتاح العالم الصناعى فى دول اوروبا ، فاكتشاف النظريات الحديثة فى علم الضوء وتحليل الوان الطيف ، قد فرض استحداث المدرسة التأثيرية التى تستمد اصولها من ضوء الشمس والوان الطيف ، وخاصة التأثيريون معركة حاسمة لفرض فتحاتهم الجديدة .. وظهرت على اثرها مذاهب شتى كالتنقيطية والبوهيمية والتعبيرية والتأليفية والرمزية .. وتغالى الفنانون فى عنف اساليبهم وجسارتهم فى التعبير الصارخ حتى اطلق عليهم «الوحوش» وعلى فنهم بالمذهب الوحشى .. الذى تزعمه (هنرى ماتيس) ..

وعقب الوحشية التى سادت فى السنوات الخمس الأولى من هذا القرن ، ظهرت التكعيبية ، حيث بداها (بيكاسو) عام ١٩٠٧ ، وتفرعت الى تكعيبية تحليلية وتكعيبية تركيبية ، ثم استحدثت اساليب «خداع البصر» و «الكلاج» اى التلصيق ، ثم ظهرت الحركة المستقبلية ، المتمردة على التراث والاصالة والقيم الجمالية الثابتة وقد قام بها بعض الشباب الأوروبى الذى يريد ان يحطم كل شىء !... ولننظر بعضا من شعاراتهم :

«سوف نتغنى بحب الخطر وروح التهور وفن الفوضى الهدام والأفكار التى تقتل فهلموا يا مضرمى الحرائق» .

«إن جميع الحقائق التى تلقن فى المدارس والمراسم ، لم يعد لها وجود بالنسبة إلينا» .

وقد سقت هذا المثال من الشعارات التى رفعها فنانو اوروبا عام ١٩١٠ لندرك سويا هذا الجو الذى كان يسود الغرب فى وقت معاصر لبدء النشاط الفنى فى مصر بافتتاح مدرسة الفنون الجميلة لاول مرة فى المنطقة العربية .. ولتوضيح الاختلاف بين اجوائنا واجوائهم .. فالشرق شرق والغرب غرب كما يقولون :

العالم الغريب

وفى نفس التاريخ (عام ١٩١٠) ظهرت اولى لوحات المذاهب التجريدية فتجاهلت الموضوع كلية وعنيت بالشكل وانقسمت الى فرعين : تعبيرية وهندسية .. وفى عام ١٩١٦ ظهرت الدادائية التى كانت بمثابة انفجار للقلق ليحالة نفسية يحكمها الدمار والعنف والخراب وفى عام ١٩٢٤ ظهرت السيريالية ، واستمدت قواعدها من تحطيم مبادئ وقيود الدادائية على حدود المنطق والأخلاق .. لتطلق العقل الباطن مستلهمة اساليبها من نظريات سيجموند فرويد فى التحليل النفسى اى انها تعبير عن خواطر النفس بعيدا عن كل رقابة يفرضها العقل ، ثم الايمان بسلطان الاحلام المطلق ! ولعل اشهر السيرياليين والاديهم صيتا هو الفنان المعاصر (سلفادور دالى) .

ومن السيريالية انتقلت مذاهب (البدائية) او الهلوسة ، واسلوب (التغريب) اى نقل الكائنات من وسطها المعهود إلى وسط غريب ، كعمل شكل ذى رؤية ذاتية لافكار الفنان واحلامه .

وهكذا تعددت الأسماء والمسميات فى عالم غريب .. غريب .. عن مفاهيمنا وثقافتنا وبيئتنا الساكنة الوادعة البعيدة كل البعد عن هذا الهوس الفنى الصاخب !

والى هذا العالم الغريب .. اوفدنا مبعوثينا ليشاركوا فى تلك الحركات الهستيرية تحت شعارات مجنونة قلقة متصارعة .

ووجد فنانونا انفسهم يدورون فى دواماتها ، مندفعين فى تيارها الجارف دون ان يكون لديهم من الثقافة القومية او التراثية ما يحفظ لهم توازنهم الوجدانى

الانتماء والأصالة

عادت هذه الكفاءات الغضة من الطلائع الفنية وهم يدينون بالولاء الكامل دونما وعى لهذه المذاهب الأوروبية ، يرددون صدى الصراع المستعر هناك وكأنهم يبشرون بدين سماوى جديد ! واخذوا يتبارون بدورهم فى إبراز كفاءاتهم داخل تلك الدائرة الاجنبية الغريبة ، وكان الناس من حولهم بين خيارين : إما ان يغيروا جلودهم ويدخلوا فى معارك وهمية لنصرة هذه النزعات الوافدة متظاهرين باستساغتها وتذوقها ولو من قبيل التحضر المزيف .. وان يديروا بمصائرهم ومصيرتهم على تقبل من لا ينبض باى تفاعل لبيئتهم ومجتمعهم ، وإما ان ينصرفوا كلية عن هذه البدع الدخيلة ويتخذوا منها موقف الرفض لهذا النشاط الالتفى الذى لا يعنيهم فى شىء .. وكأن الفنانين ينتمون الى عالم اخر مجهول !.. وهكذا انبثقت اولى فجوات العزلة بين الفنان والجمهور .

وكانت هذه نتيجة حتمية لشعب يلتمس خطاه نحو منابع المعرفة المتواضعة .

ولم يبلغ من الثقافة الحديثة ، او الوعى الفنى المعاصر مبلغا يؤهله لاستيعاب مثل هذه النظريات والمذاهب المستحدثة . بل إن نظرة جموع الشعب من البسطاء وهم يمثلون الغالبية العظمى لدولنا العربية ـ كانت توصم هؤلاء الفنانين بانسلاخهم عن اوطانهم واصالتهم وتقاليدهم العربية العريقة .

واحس الفنان ان جمهوره الحقيقى ليس فى القاهرة او بغداد او دمشق او عمان .. بل هو فى باريس وروما ولندن ومدريد ، فضاعف هذا من انعزاله .. وبدا يبحث له عن جمهور صناعى يعوضه على الجمهور الطبيعى .. فماذا فعل وقد وجد ان الحلقة تضيق من حوله المحد من انطلاقه وتبدد احلامه فى التالق والريادة ؟!

جمال قطب



حوريات الغابة

أسطورة من الصين نقلها من الفرنسية : فاضل السباعي

في الجنوب الغربي من أوربتنا يقع جبل « لو ـ شان » . وثمة ، في سفحه ، ينبوع يدعى « عين الجنيات » . ويحكى أنه كان يعيش قديما ، على ضفته ، غزال صغير من حجر اليشب الكريم . وعندما كان الناس ينزلون من الجبل عائدين إلى بيوتهم ، كانت تتناهى إلى أسماعهم أحيانا أصوات مثل : فليك فلاك فلوك ... فليك فلاك فلوك ... يخيل إليهم معها أن آلافا من الجلاجل الصغيرة تقرع . إنه الغزال الصغير « الشادن اليشبي » الذي يعدو متدحرجا بقوائمه القصيرة ، محدثا هذه الجلبة . ولكن أحدا من الناس لم يكن يشاهده . يقولون إنه لا يظهر إلا لمن يملك قلبا أصفى من الألماس !

وفي سفح جبل لو ـ شان هذا ، كانت تقوم قرية صغيرة ، يعيش فيها صاحب مزرعة بدين الجسم أكرش ، وبخيل شحيح حتى إنه لا يتخلى عن الماء الذي يسلق فيه بيضة ، ويستغل خدمه وأجراءه إلى أبعد حد . ولقد جرى الناس على تسميته بـ « السلاخ » ، لأن الرحمة لم تكن تعرف إلى قلبه سبيلا !

وكان يعمل في مزرعته أجير شاب اسمه « تشانغ ـ تشو » ، وهو فتى طيب أمين دؤوب ، قل أن تجد نظيرا له في هذا العالم . يعمل من الصباح حتى ساعة المغيب ، ويأكل غالبا ما لا يسد رمقه ، زد على ذلك أنه كان يتعرض للضرب من سيده . وكان يصعد ، كل يوم إلى الجبل بحثا عن العيدان اليابسة ، ويعود مساء وحزمة منها على كتفه .

ذات يوم ، لم يتمكن من العودة إلا وقد حل المساء . فوقعت عينه ، وهو قرب عين الجنيات على شيء ما صغير ، ملقى على الأرض ، يلتمع . تلفت حوله ، فلم ير أحدا . ولم يكن ذلك الشيء اللماع ، إلا دبوس شعر من الفضة ! في هذا الدبوس ! كانت الغابة ساكنة ، والطبيعة في سبات عميق ، والنجوم وحدها ساهرة في السماء ، متلألئة فوق الأشجار .

ومرت بتشانغ ـ تشو ... وهو ... [illegible] ... الدبوس ... [illegible] ... [illegible] ... صاحبة ... [illegible]

وفي اليوم التالي ... [illegible] ... والشمس ما تزال فوق الأفق ولكنه توقف عند الينبوع ، وأخذ ينتظر وينتظر .

أرخى الليل سدوله ، وطلع القمر ، ولكن لم يبد له أحد . فما كان منه إلا أن تناول حزمة الحطب ، وهو يرفعها إلى كتفه استعدادا للمسير . ولكنه تسمر في موضعه ، وهو ينهض بحمله . مأخوذا من فرط الإعجاب ! ثمة ، فوق صخرة إزاء عينيه ، صبية تبتسم له ... كانت عيناها أشبه بنجمتين ، وهي ترتدي غلالة ناعمة ، وردية اللون ، شفافة !

سألته بصوت ندي مثل نسمات الربيع :

ـ قل لي ، أرجوك ، ألم تجد ، بالمصادفة دبوس الفضي ؟

لم تمكنه دهشته البالغة من أن يجيب « تشانغ ـ تشو » ، فمد إليها بالدبوس ، دون أن يتمتم ببنت شفة .

وما إن شكرته الحسناء ، بمودة ، حتى كانت قهقهة لوتها قد سمعت في الفضاء ، ثم هبت ريح صغيرة ، واختفى طيفها اللطيف .

لم يغادر الفتى ، طوال الساعات التالية ، أن يفكر إلا بهذا الذي وقع له . وما لم يستطع أن ينساه أبدا ، على وجه التحديد ، جمال الحورية الرائعة ، وقد ظلت صورتها مطبوعة في قلب عينيه لا تفارقه أبدا . وهكذا راح يتمنى ، في الأيام التالية ، رؤيتها ... فالغابة في سكونها ، وليس للحورية فيها من أثر .

ولكن حادثة غريبة أخرى وقعت لتشانغ ، وهو في الجبل ، كان قد أتم جمع أعواده وعساليجه ذات مساء ، وربط حزمته ، وجلس ليتناول طعامه المبسوط مديده إلى صرة الأكل ، التي كان قد أودع فيها عددا من كعكاته المتواضعة ... ولكن يا للخيبة ! كانت الصرة خاوية ، ولا أثر للكعكات فيها !

حدث نفسه : يا للغرابة ! لا شك أن حيوانا غاشما قد أكل عشائي !

إلا أن الحادثة تكررت في اليوم التالي ... ثم إن الأمر ذاته أخذ يقع كل مساء . فكر الفتى ، مخاطبا السارق المجهول : انتظر قليلا ، سوف ألقي القبض عليك يوما ما ، أيها النشال الحقير ! وتسلق شجرة صنوبر ، واندس بين أغصانها مترقبا .

غابت الشمس ، وحل الظلام ... وما لبث البدر أن طلع ، فملأ السماء نورا .

هنا تراءت إلى مسمع الفتى أصوات تلك الجلاجل الصغيرة : فليك فلاك فلوك بينما اعتراه الذهول مما يرى بعينيه من مشهد غريب : كانت تتدحرج نحوه ، من الجانب الآخر من المكان ، كرة فضية اللون وذات لمعان شديد . وكلما اقتربت

منه ، اضطر إلى أن يطبق جفنيه أكثر فأكثر ، ذلك أن النور الذي ينبعث من هذه الكرة ، كان يسطع سطوعا باهرا . فلما فتح عينيه أبصر ، تحت الشجرة المتخفي بين أغصانها ، غزالا صغيرا بدا له أنه من حجر اليشب الأبيض ، يتوهج قرنه توهج الأحجار الكريمة الثمينة ... ولكنه كان ، بما لا يدع مجالا للشك ، يتم أكل الكعكة الأخيرة !

صرخ الفتى وهو يسرع بالنزول من على شجرته :

- وأخيرا ، ضبطتك متلبسا : فأنت إذن من يأتي كل يوم ويأكل كعكاتي ؟ (وأضاف مؤنبا) ألا تخجل ، بما هذا ؟! لو أن عندي مزيدا من الكعك لما عاقبتك ... ولكن ، هل تعلم أنني أبيت ، كل ليلة خاوي البطن بسببك ؟!

أجاب الشادن اليشبي :

- أنا لم آكل كعكاتك هذه دون مقابل لسوف أوفيك حقك بأن أزودك بخطيبة حسناء ! -

هتف تشانغ - تشو ، وهو يطلق تنهدة :

- أواه ، أيها الشادن الصغير ! أنت لطيف حقا ، ولكن ، ألا ترى أنني لا أكاد أقدر على تأمين الغذاء لنفسي ، فكيف أستطيع أن أقوم بإطعام زوجة ؟!

فطمأنه الشادن اليشبي الصغير

- لا تقلق ! لن تكون زوجتك القبلة عبئا عليك ، إنها ، على العكس من ذلك تماما ، ستكفي نفسها بنفسها ، فضلا عن أنها ستكون عونا لك في حياتك . اذهب إلى عين الجنيات ساعة طلوع القمر ، وانتظر هناك . ستأتي تسع حوريات للاستحمام في الينبوع . انظر أيهن تعجبك أكثر من غيرها ، فاختطف ملابسها ، وانطلق بأقصى ما تستطيع من سرعة . فإنها دون ثيابها ، لن تتمكن من العودة إلى السماء ... وعندئذ تصبح زوجتك .

ما إن قال الشادن اليشبي الصغير ذلك ، حتى أخذ يبتعد ، متدحرجا ، بجسمه الكروي الباهر النور ، واختفى في الأدغال .

وهذا يمر تشانغ - تشو الحسناء المجهولة التي كانت قد اقتطفت دبوسها الفضي قرب عين الجنيات ... ليتها تكون إحدى الحوريات التسع !

وفي اليوم التالي ، وقبل طلوع القمر ، اختبأ تشانغ - تشو خلف صخرة قرب الينبوع .

طلع القمر ، وبدا سطح الماء حاملا اسمه بمرآة . وفجأة ، تحرك الهواء ، فانبثق نور من جميع الجهات في آن واحد ، وظهرت ، على ضفة الينبوع ، فتاة حسناء في ثوب أحمر ! ثم أومض نور آخر ، بدا وكأنه يشق الفضاء ، فظهر طيف لحورية ثانية قرب الينبوع ، ترتدي الأخضر هذه المرة ... وهكذا كانت حوريات الغابة ينزلن إلى الأرض - واحدة بعد أخرى ، ليستحممن .

كم تشانغ - تشو القانعة - يا للسماء ! إنه لم ير ، في حياته كلها ، هذا العدد من الحسناوات مجتمعات ! ولكن كانت في نفسه غصة . إن الفتاة ، التي أمضى الليالي وهو يطلق التنهدات الحارة حبا لها ، تلك الحسناء المجهولة ذات الدبوس الفضي ، ليست بين هؤلاء الماثلات أمامه .

في تلك اللحظة ، خفق فوق رأسه صوت مثل همهمة ، أو نسمة عليلة ، ثم حطت الحورية الأخيرة على الأرض :

الحورية التاسعة ... فكانت إياها : الحسناء ذات الغلالة الوردية بدبوسها الفضي المغروز في صدرها !

هتف تشانغ - تشو في ذات نفسه : تلك هي التي أريدها ، ولا أريد سواها .

وانتظر حتى تجردت الحوريات ، ثم تسلل إلى حيث ملابسهن وهن يستحممن واختطف غلالتها الوردية الشفافة ، وأطلق ساقيه للريح .

لم يكن قد بعد كثيرا ، بحطة خيل إليه أن هناك من يناديه . التفت ، فرأى حسناءه تدنو إليه بعينيها الباسمتين - سائلة :

- هلا هربت مني هكذا - مع أن كلا منا يعرف الآخر جيدا ؟ أعتقد أننا صديقان ... ألا ترغب في زوجة ؟

جن تشانغ - تشو فرحا ، وما كان منه إلا أن اصطحب زوجته الشابة إلى بيته فكانا سعيدين جدا في حياتهما المشتركة .

منذ ذلك اليوم هرب الفقر والشقاء من البيت . فقد كانت الزوجة تقعد أمام دولاب مغزلها وتروح تغزل خيوطا تضاهي بنعومتها ما تغزله العذراوات من خيوط ... ثم يقوم تشانغ - تشو بحمل نتاجها إلى المدينة ، حيث يبيعه فيجني الزوجان من ذلك أرباحا وفيرة .

وكان من البديهي ألا يرضى ذلك صاحب المزرعة - السلاح المشؤوم - لذا استدعى إليه تشانغ - تشو ، ووبخه وأرغى وأزبد ... وانتهى الأمر بالأجير إلى أن يروي لسيده حكاية الشادن اليشبي : كيف سطا هذا الشادن على كعكاته ، وكيف فاجأه هو ، وأنه تعلم منه الطريقة التي مكنته من أن يحظى بإحدى حوريات الغابة !

فكر المزارع لدى سماعه ذلك : كعكات كعكات تافهة ، عجينتها من الشيلم أو الزؤان ! إني إذا ما قدمت للشادن فطائر ممتازة ، مصنوعة من الدقيق الأبيض الناعم الملوث بالزبدة والبيض أرشدني لا شك إلى الوسيلة التي أحصل بها على فتيات أروع جمالا !

مساء اليوم التالي ، كان المزارع قد أعد صرة فيها ما لذ وطاب من الفطائر

المغتسلة مقلقنة ، وأخذ طريقه نحو الجبل . هناك وضع فطائره على صخرة ، وتسلق شجرة ، وراح يراقب من فوقها .

لدى طلوع القمر ، ظهرت فعلا ، في الجانب الآخر من المكان كرة فضية . كانت تسرع نحوه ، وهي تزداد توهجا ولمعانا ... إلى أن تجلى الشادن البشبي في ظل الشجرة ، وارتمى على الفطائر ارتماء .

صرخ المزارع ، وهو يهبط من مكمنه :

ـ قد ضبطتك متلبسا وأنت تأكل فطائري ! كيف تسمح لك نفسك بأن تأكل عشاء رجل مسكين مثلي ؟ لو كان عندي من الفطائر ما يكفي .. لما منعتك . إن علي الآن ، أن أنام دون عشاء .

نطق الشادن قائلا :

ـ أنا لست سارقا ؛ أنا لا آكل شيئا دون مقابل ؛ سأردها إليك بأن أدلك على الوسيلة التي تستطيع أن تحصل بها على امرأة رائعة الجمال !! .

سأل المزارع بنفاد الصبر :

ـ وأين يمكنني أن أعثر عليها؟ .

قال الشادن البشبي :

ـ اذهب إلى عين الجنيات ساعة طلوع القمر ، وانتظر هناك . ستأتي تسع حوريات للاستحمام في الينبوع . اختر منهن من تستأثر بإعجابك ، واختطف ملابسها ، وارقص . إنها لن تستطيع العودة إلى السماء دون ثياب ، وعندئذ تصبح زوجتك ! .

لم يكد الشادن ينهي كلامه ، حتى كان المزارع يسرع نحو الينبوع ، دون أن يعنى حتى بتقديم الشكر إلى الغزال الصغير .

لم يلبث هناك إلا هنيهة ، حتى طلع القمر . وكما وقع ، قبل فترة قريبة ، على مرأى من تشابع ـ تشو ، فإن الحوريات أخذن ينزلن إلى الأرض واحدة بعد أخرى . كانت ضفاف الينبوع تشع بوميض إلهي ، أي ألوان فرحة ! أي نور وإشراق ! لقد جحظت عينا المزارع حتى كادتا أن تخرجا من محجريهما !

قرر بينه وبين نفسه : «إنهن جميعا زوجات لي ! إن كلا منهن تفوق الأخرى جمالا» . وهكذا اختطف الملابس ، المتناثرة حول الينبوع كلها ، وبعد ذلك راح يرقص .

في عدوه ، أراض إلى ... ، ... خطوات لأكثر من قدمين ، ولكنها كانت خفيفة ورشيقة .

لحقت به الحوريات ، أدركنه ، تحلقن حوله في دائرة ، وقد أمسكت كل منهن بيد الأخرى ، ورحن في الرقص .

اتخذت الحورية الأولى من المزارع «مراقصا» لها ، وراحت «ترقصه» ، وتدور به حول نفسها ، وتحوم . ولحظة أدركها التعب ، «سلمته» إلى الحورية الثانية ، فراقصته هذه قبل أن تتخلى عنه إلى الثالثة ، وهكذا ... ذلك لم يعد رقصا ، بل «مهرجان رقص» مرهقا إلى حد لا يطاق .

انبهرت أنفاس المزارع البدين ، ووهنت ساقاه ، ونضح منه العرق ، وأخذ قلبه يخفق خفقانا سريعا ، وأثناء تدويمه ... وعبثا كان يتوسل إليهن ، ويتأوه ، ويحاول أن يتملص من بين أذرعهن ، ولكن هيهات !!

كان عليه أن يرقص ويرقص ... حتى فقد القدرة على التنفس ، وهوى إلى الأرض .

وهنا ، التقطت حوريات الغابة ملابسهن ، وارتفعن إلى السماء .

ثم إن الفجر لاح .

وفي ذلك الموضع القريب من عين الجنيات ، لم يعد المزارع ، الجشع التعيس ، إلا جثة هامدة ، ممددة فوق العشب .

لقد رقص حتى الموت !.

فاضل السباعي

معلقة ومتعلقة

قال طرفة بن العبد في معلقته الشهيرة :

لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

ولأنها معلقة على أستار الكعبة ومنقلة بماء الذهب فقد عورضت واحتذيت .. وكتبها معارضات جادة واحتذاءات رصينة تعاملت مع «الأصل» حسب الأصول الجارية والقواعد المرعية .. ولكن هل هذا كل شيء .. هل اكتملت أشكال المعارضة وتجمدت عند هذا الحد ؟ .. الأيام تدخر مفاجآتها فبعد ما يقرب من ألف عام على معلقة طرفة يأتي ابن «انيال الكحال» ويتعامل معها بأسلوب تعاليني بإيطاف ويقلب على نسقها القصيدة ، وبما أنه يعارض معلقة فهو يسمي ما قاله «متعلقة» .. ويتحدث عن حاله بلسان مقاله :

أمسيت أفقر من يروح ويغتدي
ما في يدي من فاقتي إلا يدي
في منزل لم يبق غيري قاعدا
فإذا رقدت .. رقدت غير ممدد
لم يبق فيه سوى رسوم حصيرة
ومخدة كانت لأم المهتدي

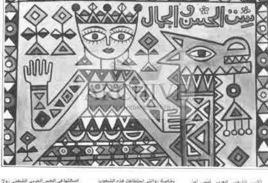
ثم يتحدث عن الحشرات السائرة من صراصير وعناكب وعقارب .. والطائرة من البعوض والزنابير .. والقافزة من البراغيث .. «يحق له أن يقول عنها :

حشرات بيت لو تلاث عساكرا
ولي على الأعقاب غير مصرد
هذا وإن لونت تراه مقطعا
من كل لون مثل ريش الهدهد
لولا الشقاوة ما ولدت للنكتي
إذا كان حظي هكذا لم أولد
إن كيف أرضى بالحياة ومشتي
تسو وحظي في الحضيض الأوهد

الذين مارسوا طرقه ، بجدية جعلونا نتأمل ونفكر ونعيد .. وابن دانيال جعلنا نضحك ونقول هل من مزيد .. وهل الجدية والضحك إلا وجهان لعملة واحدة هي «الحياة» ؟!

وجدان الانسان العربى في الفن الشعبى

فاروق خورشيد



الأدب الشعبى العربى ليس ابن الجزيرة العربية وحدها ، وان كانت اصلا رئيسيا فيه ، ولكنه ابن المنطقة الإسلامية التى العربية اللغة ، والتى كلها بموروثها القديم قد شاركت فى صنعه ، وحملت اليه كل معطياتها القديمة مع ما حملت اليه من وجودها البشرى ، وكيانها الجغرافى ، ومعطياتها الثقافية والعلمية والاجتماعية الأخرى .

ومن هنا امتلأ الأدب الشعبى العربى بالكثير من مختلف العقائد والفلسفات والثقافات التى عرفها العالم القديم كله عامة ، والتى عرفتها الشعوب السامية بخاصة ، والتى استطاعت هذه الشعوب أن تتزود بها من الأمم التى جاورتها فى مراحل حياتها البدائية الأولى ، والتى اتصلت بها عن طريق التجارة او الرحلة ، وعن طريق الحرب والغزو ، وعن طريق التزاوج والمعاشرة ....

وقد تبدو بعض هذه المخلفات الموجودة فى الأدب الشعبى العربى غريبة عن الحس العربى لأهل الجزيرة فى كثيرة من الاحيان ، كما قد تبدو غريبة عن العقيدة الإسلامية ، وروح الفلسفة الإسلامية فى احيان كثيرة ... ولكن هذه الغربة لا تدعونا الى نفى اصالتها فى الحس العربى الشعبى ، ولا الى ادعاء انها مجرد نقل وترجمة عن ثقافات أخرى غريبة ، وانما نحن نضعها فى مكانها الطبيعى من التراكم الثقافى عبر مراحل التاريخ المختلفة ، ذلك التراكم الذى كون الصورة المتطورة والمتحركة للثقافة الشعبية العربية ، التى وان تغيرت من عصر الى عصر ، إلا انها ظلت تحمل سمات رئيسية من عصورها الاسطورية والبدائية الأولى على طول العصور .

فكر الشعب

وفى الأدب الشعبى نحن لا نبحث عن

● ما يكتبه الأدباء المتميزون يتسرب الى شرايين المجتمع بطريقة تلقائية





فكر فلسفي واضح السمات ، ظاهر الملامح ، وانما نحن نبحث عن المعطيات الفنية المترسبة عن هذا الفكر ، ونحن نحاول أن نردها الى اصولها ، دون عناء البحث في هذه الفلسفات نفسها ... وهذه المعطيات تظهر لنا بصور الحكي المختلفة . وفي نفس الصور التي تظهر بها المتبقيات الاسطورية القديمة التي ملأت فكر الشعب العربي في بداياته الاولى ، وهي تختلط بها وتتحد معها ، وهي في جريانها داخل الوجدان الشعبي قد تمزج بين معطياتها الاسطورية القديمة وبين اكثر من فلسفة وعقيدة ، مرت في ضمير الشعب عبر مسيرته الثقافية الطويلة . فالحكي أو القص في الاعمال الشعبية ليس مجرد ادوات لتسلية الناس والهائهم . كما هو الحال في تصور الكثيرين من اصحاب الفكر السطحي الذين ينظرون الى كل ما هو شعبي ، باعتباره اقل اهمية ، واقل قيمة ، واقل جدوى ، من الاعمال التي تصدر عن الافراد الذين اثبتوا وجودهم واسماءهم في سجلات وكتب الادب والتاريخ ... ولسنا هنا بصدد مناقشة هذه القضية ، فهي قضية تحتاج الى جدول طويل ... ولكننا هنا بصدد التحرك من نتيجتها التي نفترضها ، ولا نحب ان نناقشها وهي ان الافراد الافذاذ دائما ينبثقون من مجتمع انساني يمهد لظهورهم بنموه الثقافي الفذ ، وان نتاج ما يقدمه هؤلاء الافراد الافذاذ من فكر وثقافة انما يعود مرة اخرى ليتسرب الى شرايين هذا المجتمع بطريقة تلقائية وغير منظورة . ليصبح تدريجيا جزءا من نسيج ثقافة شعب هذا المجتمع ، وليصبح جزءا رئيسيا من مكونات فكر الشعب وادب الشعب ...

والكثيرون من الدارسين للادب قد اتفقوا منذ فترة طويلة الى هذه الحقيقة

الهامة . فنسوا يربطون الانتاج الادبي الذي يبدعه الافراد المتميزون القادرون على التعبير باللغة الادبية المتفوقة بانتاج الشعب . او بالادب الشعبي ، القريب الى حس العامة ولغتهم . وايضا بالادب الشعبي الذي هو موروث عام للشعب صاحب اللغة التي يكتب بها هؤلاء الادباء المتميزون ...

الرمز الأدبي

وحين كانت تعوز النقاد القدرة على تفسير نص من النصوص الادبية كان ربط هذا النص بالمعطى الاسطوري ، والمعطى الشعبي ، هو الباب الرئيسي لتفسير ما يغمض من هذه النصوص . بل لقد قام الرمز في الأدب اساسا على العودة الى هذه المعطيات الشعبية ، والاحالة اليها والى ما تحمل من قصص تعود ، باصولها ، الى الرموز الأولى التي اسقطها الانسان في بدايات وجوده على القوى الموجودة في الكون وما تحمله من صراع دائم بينها لا ينتهي ولا يتوقف وعلى ما يمثله الوجود البشري من صراع مستمر ضد قوى الشر فيها ، واستجلابها لقوى الخير منها ..

والادب الرمزي في محاولته التغلغل في اعماق الانسان الفرد ، انما هو يستعين بموروث هذا الانسان الفرد ، باعتباره عضوا في جماعة ، للكشف عن طوايا نفسه المختفية وراء عقله الواعي المتحكم في سلوكه وفكره وتعبيره ، أي ان هذا الادب يحاول ان يمهر الفردية المتميزة بدمج وجدان الفرد صاحب الابداع ، بوجدان الجماعة ككل ، والبحث عن مدلولات الرمز ، لا من خلال وجدان الفرد المبدع للرمز وحده ، وانما من خلال وجدان الجماعة التي ينتمي اليها هذا الفرد ، وتندمج اندماجا كليا لحظة الابداع الفني بها ... ولجوء اديب الرمز الى الموروث العالمي من المعطيات الشعبية لا يساوي — من ناحية تحقيق العمق الانساني لابداعه — ما يمكن ان يساويه ويحققه اللجوء الى المعطيات الشعبية الحميمة الخاصة بشعبه الذي يصدر ادبه للتعبير عنه اولا وقبل كل شيء ...

وينطبق هذا بالطبع على استعمال الرمز في غير الادب الرمزي الخالص من الوان التعبير الادبي المختلفة ، كما ينطبق ايضا على الاحالات التاريخية في كل عمل من الاعمال الادبية ، وعلى الاعمال التي تتجه اصلا الى اتخاذ موضوعها مرحلة ما من مراحل التاريخ ، وتتجه ايضا الى استخراج شخصيات من الشخصيات ذات الدور المعين في مرحلة ما من مراحل التاريخ ..

المفاتيح الحقيقية

والذي لاشك فيه ان الاهتمام بالاسطورة ، وبالمعطى الأدبي الشعبي ، كان يكمن وراء العودة الجادة الى الموروث الاغريقي ، وخاصة الملاحم الاسطورية كالالياذة والاوديسة ، فمن خلال هذه العودة استطاع الادب الانساني ان يربط نفسه بجذور عميقة في غور الانسان ، لا الرجوع التاريخي المرتبط بالاحداث وحدها ، وانما الوجود الفني الملتحم بالوجدان الانساني ومراحل تكونه ، عبر صراعه الاول في سبيل البقاء ، ثم صراعه الثاني في سبيل الاكتشاف والمعرفة ، ثم صراعه الثالث والدائم في سبيل التقدم والتطور المستمرين ... فمنحت الميثولوجيا الاغريقية لانسان الغرب المفاتيح الحقيقية للفن ولوجدانه الانساني ، واستطاعت ان تجيبه عن اسئلة كثيرة شغلته وحيرته — وان كانت الفلسفة الاغريقية قد قدمت له التفسير العقلي لنموه ومعنى وجوده ، واذا كان العلم الاغريقي قد فتح امامه معنى البحث والاستنباط والمعرفة ، فان الميثولوجيا الاغريقية لاشك كانت المعين الحقيقي الذي استمد منه التفسير الوجداني لمعنى وجود الانسان ، وصراعه من اجل هذا الوجود ... ونحن نستطيع ان نقول ان الارتباط بالميثولوجيا الاغريقية كان الاساس الذي قام عليه الوجدان الجمعي لأمم الغرب ، كما انه كان الاساس لمحاولات الافراد الافذاذ في دنيا الانتاج الفني بعامة ، والأدبي على وجه الخصوص ....

انتفاء الأديب

وقد ظل ابتعادنا عن المجمعات الشعبية العربية الكبيرة كمصدر اساسي من مصادر العطاء الفني ، صاحب تاثير حقيقي على فهمنا لما اعطاه الادباء من انتاج غير منذ عصور الادب العربي الاولى وحتى الان — وقد لون هذا الابتعاد احكامنا النقدية على الادب والادباء ، بحيث سطح هذه الاحكام وربطها بظروفها الضيقة من بيئة واحداث تاريخية وواقع معاش ، دون ان يعمقها العمق الانساني الكافي ، ودون ان يربطها ربطا عضويا وحقيقيا بالضمير الشعبي العربي منذ لحظات تكونه الاولى ، وعلى مدى التطور والتفاعل والتغير الذي تعرض له هذا الضمير من عصر الى عصر ، ومن بيئة الى بيئة ، ومن مرحلة الى مرحلة معاشة الى مرحلة اخرى معاشة ... ولعل انتهاج نقادنا للمنهج السياسي في تقسيم عصور الادب اكبر شاهد على غياب فكرة العمق الانساني من ناحية ، وعلى مقدار ما في احكامنا على العطاء الادبي من سطحية واكتفاء بالظواهر الخارجية للاشياء من ناحية اخرى ، وقد اثر هذا على مفهومنا للادب نفسه ، اذ ربطنا الانتاج الادبي بالتغير السياسي ، وكان معنى هذا ان يستجيب هذا الادب استجابة مباشرة لكل تغير سياسي يطرأ على حياتنا ... وكان معنى هذا ايضا اننا نطلب من الاديب ان يكون في خدمة التحرك السياسي ، فهو ملتزم سياسيا شاء أم لم يشأ ، يسقط بسقوط الدولة التي ينتمي اليها ، ويرتفع بارتفاعها ... وهو في كل حال من الاحوال يوجه ادبه للدفاع عن كل ما تمثله هذه الدولة ، وهو ان لم يوجه هذا الادب باختياره فهو — على كل حال — مطالب بهذا ، لكي تتاح له فرصة الحياة داخل هذه الدولة ...

الحياة لن تتغير

وهذه النظرة لا تربط الأدب بوجدان الانسان ، ولا تعتبره سياحة ذات هدف انساني داخل اعماق الوجود الانساني نفسه ،

انتفاع نقادنا للمنهج السياسي في الأدب أكبر شاهد على غياب فكرة العمق الانساني

ارتبط الأدب الشعبي بكل الموروثات العربية القديمة التي حملتها الشعوب الوافدة



وهذه النظرة لا تنظر للأدب كوسيلة رئيسية من وسائل الكشف عن مكونات هذه النفس، واغوارها المظلمة البعيدة عن مجال الرؤية السطحية الظاهرة للأشياء، وهذه النظرة أيضا لا تعتبره وسيلة تربية الانسان: الانسان - لا الانسان الموشح برأي سياسي أو موقف سياسي معين ... بمعنى أنها الوسيلة الى الوجود الصحي المتطور للانسان بشكل عام في كل عصر، وتحت كل الظروف، وهي التي تجعل استمرار حمل المشعل الحضاري من يد الى يد أمرا حتميا، وهي التي تجعل انتقال هذا المشعل اضافة جديدة باستمرار الى الضوء الذي يتغلغل في قلب الانسان، ويزيد حياته ثورة ومعنى، ويزيد وجوده فوق الأرض جدوى وصلاحية ... بل إن هذه النظرة لا تستطيع أن تبعد بتطلعها الى أبعد من واقع حياة معينة تعيشها لفترة زمنية لا شيء وراءها ... الانسان فيها مجرد أداة للبقاء والقوة في هذه الحياة المعينة القصيرة البقاء والقاصرة النظرة ... وأي تطلع الى أمام انما هو مرسوم بمدى حياة دولة أو قوة، وأي تطلع الى خلف انما للقضاء على كل ما يذكر الناس بالحياة التي سلفت، أو الدولة التي سلفت، أو القوة التي تم القضاء عليها ... فهناك عداء دائم لكل ما مضى، وهناك خوف دائم من كل ما سيأتي، وهناك باستمرار محاولة لكي تكون هذه القوة الحاكمة هي المنتهى الأخير ... وليس هكذا الانسان، ولا هو خلق لكي يكون محصورا بارادة فرد أو أفراد منه، وانما هو تيار لا يتوقف ونهر دائم الجريان، ودائم التجديد، يتمرد على كل سد، ويكره كل محاولة لوقف تسلسله وجريانه، وهو يتمرد على هذه المحاولة ويهزمها، ويطيح بها ان اخرت مسيرته، والا توقف وجف ماؤه، وانتهى مجرد حفرة ممتدة تملؤها الرمال وتحكي عن قصة حياة عبرت وانتهت ... ومع هذا فان الماء الكامن في بطن الأرض لا يموت بموت النهر، وانما هو يصارع حتى يجد له مخرجا جديدا الى سطحها، لينطلق لنفسه مجرى جديدا فوق أرضها، يؤكد أن صانع الحياة لا يريد لها أن تقهر، ولا أن تجف، ولا أن تتحول الى موات وبقايا وجود ...

الانسان المشارك

وفي الوقت الذي اتجه فيه أدب الشعب الى الابداع - في عصور ما بعد الاسلام - معبرا عن الانسان العربي الجديد، في تطوره الذي امتزجت فيه اجناس وراء اجناس، وشعوب وراء شعوب، في هذا المزيج المتجدد، الدائم التجدد، الذي نسميه الشعب العربي أو الشعب الاسلامي أي تسمية تشاء وهو استطاع أن يفلت من هذا الحصار المضروب عليه، وأن يصل نفسه بالنهر المتجدد دوما، وأن يكون جزءا من تجدد هذا النهر واستمراره، وجزءا من الاضافة الدائمة التي تجعل من مائه تدفقا لا ركودا، وحيوية لا سكونا آسنا ... وبهذا ارتبط هذا الأدب الشعبي بكل الموروثات القديمة التي حملتها هذه الشعوب الوافدة الى النهر العربي، كما ارتبط بكل الموروثات العربية القديمة التي استطاع أن يقفز اليها، وأن يرتبط بها، بما استجد في اعماقه من معطياتها وآدابها وقيمها، وكون من الاثنين وجودا حيا متصلا يرتبط بالانسان الانسان، لا انسان عصر أو عنصر، ولا انسان حزب أو دولة، ولكن الانسان العربي من حيث هو انسان مشارك في اكتشاف الوجود الانساني بالبحث الدائم عن اعماق الوجدان الانساني، وكشفه والتعبير عنه، والاثراء بعامة على وجه الخصوص.

أين واقع البيئة ؟

وفي نفس الوقت تسللت الكثير من هذه المترسبات الى الأفراد الأفذاذ من أصحاب التعبير الرسمي، أو من أصحاب الأدب المعترف بهم، رغم كل الحواجز والمحظورات ... وظهرت في اشعارهم ورسائلهم وقصصهم هذه الاحالات الواضحة، وهذه الرموز الغامضة الى المأثور الشعبي المتوارث القديم، واختلطت في هذه الاحالات الموروثات السامية بالموروثات الآرية الحامية، وامتزجت في هذه الاحالات والرموز والاشارات متبقيات العقائد، وأساطير الأماكن، وأساطير الحيوان، وبقايا الحكايات عن القوى المجهولة، ومحاولة التعرف عليها، والتلاؤم بينها وبين قدرات الانسان المحدودة ... ولكن اذا كان الافراد الأفذاذ من أبناء الأدب العربي قد وجدوا أنفسهم بحكم طبائع الأشياء جزءا من نيل الانسانية المتدفق، يستعينون في تفسير وجدانهم بالاحالة على ما ترمز اليه حالات هذا الوجدان من

وجدان الانسان المصري في الفن التشكيلي





موروث شعبي يفسره ويعمقه ويقربه ، فإن النقاد والدارسين ، ورجال البلاغة ودارسي الأدب ، لم يلتفتوا الى هذه الظواهر الالتفات الكافي المثمر ، بل لعلهم في العصور المتتالية الكثيرة ـ لم يلتفتوا اليه على الاطلاق .. وظلت الاحالات الكثيرة الموجودة في الشعر الذي اتفقوا عليه اسم الشعر الجاهلي دون تفسير الى الآن . وظلت اسماء الاماكن التي اختار الشعراء ان يذكروها في شعرهم لا يعقب عليها دارسو هذا الشعر إلا بانها اسماء اماكن ، اما لماذا اختارها الشاعر بالذات ، وفي هذا الموقع بالذات ، فسؤال لم يخطر على اذهانهم ، بل لقد ذهب بعضهم الى اخراج ابيات كاملة من قصيدة لشاعر لانه لم يستطع ان يفسر بيتاً فيه مثل هذه الاحالات ، كابيات امرىء القيس حول ناقف الحنظل مثلا ... واختفاء هذا النوع من القراءة قد جعل من شعر هؤلاء مجرد عطاءات مسطحة لا نفهم منها إلا المعنى السطحي الواضح الذي يرضاه اصحاب اللغة لا اصحاب الفن ... وامكن بهذا ان يتحدث نقاد الشعر عن اغراض الشعر من مدح وفخر وهجاء ، كمسلمات ثابتة لا نكران لها ، ولا مناقشة فيها ، وكان الشاعر لا يجد ما يريد ان يعبر عنه ، وإنما كانه يوقف شعره لخدمة هذه الاغراض المصطنعة التي توظف الشعر توظيفا سياسيا او اجتماعيا ، دون ان تتعمق اهدافه الحقيقية كأداة لكشف وجدان الانسان وتعمقه ، وربطه بجذور الانسان الذي اتخذ الكلمة وسيلة للتعبير عن اشواقه واحلامه ، لا مجرد اغراضه الحياتية الآنية المعلقة من فترة الى فترة .. ونحن نادرا ما نسمع عن شاعر التشاؤم ، او شاعر السخرية ، او شاعر القلق .. ولكننا دائما نسمع عن شاعر المدح او شاعر الفخر او شاعر الحماسة ... وفرق كبير في الواقع بين النظرتين

أثر الوراثة

وكان خطانا الثاني اننا حاولنا ان نعزل الموروث العربي عن الموروث الحقيقي للشعب الاسلامي المتكلم بالعربية ..... كما اننا قصرنا هذا الموروث على المنطقة الاسلامية من تاريخه ، او ما قبلها بقليل ، رغم ان هذه المنطقة لا تمثل إلا جزءا واحدا من الاجزاء التاريخية التي كونت موروثه الثقافي منذ لحظة استشعاره لنفسه فوق الارض .

ونحن نستطيع ان نلمح اثار كل هذه المناطق الجغرافية والتاريخية في الكم الهائل من المنقولات الاسطورية التي تسللت الى كتب التفاسير والتاريخ ، وهي بقايا اسطورية لا تنسحب الى الماضي الاسطوري العربي الجزيري وحده ، وانما هي تنسحب على الماضي الاسطوري لابناء المنطقة جميعا .. كما اننا نلمح نفس الموقف بالنسبة للمنقولات من الحكايات الخرافية والملاحم والسير ، فهي لا تمت الى التحرك التاريخي لابناء المنطقة جميعا ايضا ... فعل الوراثة ، وفعل التزاوج وفعل الاحتكاك ، مع وجود

● فمن نادرا ما نسمع عن شاعر الشاقوم أو شاعر السكرية

● الانسان العربي عاش حياته متفتح الوجدان .. صافي العقل والقلب



التراكم الفولكلوري المستمر اسهم في تكوين هذه الحصيلة الهائلة من الادب الشعبي على مختلف فنونه

كما اننا نعثر ايضا على هذا المزيج من الموروث القولي الفولكلوري المرتبط بالعادات والتقاليد التي يفرزها مجتمع الصحراء ، ومجتمع الزراعة ومجتمع الرعي ، ومجتمع المدينة ومجتمع النهر ، ومجتمع البحر ، حول كل ما يمس الانسان ، وحول كل ما يرتبط بحياة الانسان من مظاهر

الشخصية العربية

ولا عجب ان نرى ان لكل جبل في الارض ، ولكل ثنية شاطىء متاخم للبحر ، من الحكايات والتفسيرات والتعليلات ، ما يملأ ، الموروث العربي بثراء لا مثيل له ، ونحن نعثر على الحكايات حول الاماكن والمدن ، بل وحول النباتات والحيوانات ، وحول النجوم والكواكب ، وحول الظواهر والتغيرات ، ما يرتبط بكل هذه الموروثات جميعا ...

ونحن بالتالي نحس ان الانسان العربي لم يعش حياته في عزلة عن الكون وعن البيئة ، وعن معطيات الكون والبيئة ، بل عاش حياته مفتوح العينين ، متفتح الوجدان ، صافي العقل والقلب ، يلتحم مع الحياة ومظاهرها التحام المعايش ، والتحام المشارك ، والتحام الفاعل المغير والتحام المتمرد الذي ينشد الافضل دائما ، والمفكر الذي يبحث عن المعنى دائما ، وصاحب الشوق الذي يتجه الى مصدر شوقه دائما ...

ان هذا الثراء الفذ يعكس بلا شك ثراء الشخصية العربية ، ويرسم اهمية دورها الحضاري في بناء الانسان ، ويهدم كل ما قيل على السنة المغرضين من المستشرقين ... حول الشخصية العربية ، وحول فكرها ، وحول دورها الحضاري ... فهذه المساهمة في إثراء الوجدان الانساني بكل هذا المعطى الشعبي الثري والمتنوع والعجيب ، صنعه بدون شك في شخصية الانسان كانسان على مراحل تاريخه منذ لحظة وجوده البدائي الاول وحتى اليوم ، والكشف عن هذا العالم الذي يقدمه لنا الادب الشعبي العربي ، كشف عن الدور البارز الذي قام به الانسان العربي في بناء الوجود الانساني المتطور والمتحرر من اسار المعوقات التي حاولت ان تعوق تطوره عبر التاريخ ...

ويوم ننجح في الكشف عن حقيقة وجدان الانسان العربي بالدراسة المتأنية لجزئيات ادبه الشعبي ، سننجح في اعادة قراءة ادبه قراءة صحيحة ، لنفهم الاضافات التي يحققها هذا الادب ، ولنفهم حقيقة معاناة الشعراء والادباء الذين اغفلت الدراسات اللغوية والبلاغية المسطحة ، حقيقة اعمالهم الثرية الخالدة .

وسننجح ايضا في فهم حقيقة الانسان العربي ، وحقيقة دوره كاحد بناة الحضارة الانسانية .

فاروق خورشيد

د . حسين مؤنس



أبو بكر بن عمار الشاعر الملعون

الشعر نفحة من نفحات الجمال والصفاء ، والشعر الصادق لا يصدر إلا عن نفس صافية وروح فياضة بالخير والجمال ، والشاعر قد يزل ويخطىء وقد يرتكب ما يشين ، ولكنه لا يؤذى إلا نفسه ، فقد يسرف على نفسه فى شراب أو لهو ، وقد يدمن على مكروه ، ولكنه لا يجنى بذلك إلا على نفسه ، ونادرا ما يؤذى غيره .

والشاعر يحقد ويذم ويحمل على غيره ، ولكنه إذ يفعل ذلك إنما يدفع عن نفسه أو قبيلة . فالشاعر بطبعه انسان ضعيف أو رقيق ، وقد تغرى هذه الرقة غيره بالعدوان عليه فيضطر الى الدفاع عن نفسه ، ولكنه يظل دائما شاعرا وانسانا رقيقا مرهف الحس ، وهذا ما نحس به وانت تقرأ شعر الهجاء أو النقائض ، فقد يفحش الشاعر فيها ولكن دفاعا عن النفس أو عن غير قصد .

رغم موهبته النادرة

ولكن عندنا فى العربية ، ومن بين شعراء الأندلس شاعر حقت عليه اللعنة فعلا . لقد رزقه الله شاعرية قل أن نجد لها مثالا حتى قال فيه ابن بسام الشنتريني صاحب كتاب «الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة» إنه شاعر الأندلس دون مدافع ، وهو بالفعل كان كذلك . كان كما يقول الفرنسيون عن لامرتين : يتنفس الشعر ، وكان لا يتكلف قوله وإنما يصدر عنه فيض الخاطر كما يتدفق الماء من نبع صاف فى الجبل .

ومن عجائب خلق الله أنه أودع إليه الى جانب هذه الشاعرية نفس شيطان ، فهو انسان شرير فاسد حقا ، وانت مهما تقلب فى نفسه ، فان يدك لا تخرج إلا بما يسوءك ، فهو جشع طماع حسود منافق وكذاب وخوان ، وهو مع ذلك خليع العذار مهتوك الستر .. كما يقول عنه ابن خاقان ، ولهذا ، وعلى رغم موهبته النادرة التى رفعته مرة الى مراتب الوزارة بل الامارة ، إلا انه ظل رغم ذلك فقير النفس مشتول الروح ، ظل عمره كله قميئا مستهجنا تقتحمه العيون وتطول عليه الألسنة ، ونظر إليه الناس جميعا حتى كونت برشلونة وملك قشتالة النصرانيين — نظروا إليه على انه انسان زرى غير محترم غير أهل للثقة .

ومن هنا ، وعلى رغم ما رأى من العز والرفعة رأى من الهوان والتعذيب أضعاف ما رأى غيره وحمل مرة على ظهر حمار من مرسية الى قرطبة مسافة ثلاثمائة كيلو متر ورجلاه فى جانب وصدره ورأسه متدليان على الجنب الآخر ومع ذلك ، وهو فى هذا الوضع المستحيل نظم شعرا جميلا فى الاستعطاف ، ومشاهد يجرى منه بعد ذلك ، وانتهت حياته على أسوأ الصورة ، فقد عاقبه القائد محمد بن أبى عباد الملقب بالمعتمد صاحب اشبيلية ، وكان شاعرا مثله فقتله بطبرزين وهى آلة تشبه الفأس ذات حدين قاتلين ، قتله فى سجن مظلم ومازال يضربه حتى برد ، ثم حمل فى غرارة «كأنه عدل تبن» كما يقولون ، وألقى به حيث تلقى القمامات ، ومع هذا فما حزن عليه أحد ولا أسف عليه انسان فمضى كما يقول أبو محمد بن قاسم الشلبى الذى أرخ له «من لعنة الدنيا الى جحيم الآخرة» .

عصر الأشجان

ذلك هو أبو بكر بن عمار شاعر الأندلس فى عصره وهو عصر الطوائف ، وكان العصر كله عصرا لا يصدق ، فقد بدأ القرن الحادى عشر الميلادى والأندلس فى ذروة مجده وقوته ، وعلى رأسه جبار من جبابرة الأرض هو محمد بن أبى عامر الملقب بالمنصور الذى والى الغزوات على ممالك الأعداء فى شبه الجزيرة حتى ذلت بين يديه ، وأصبحت قرطبة فى أيامه عاصمة أوروبا ودرتها وزادت عمرانا واتساعا وموارد خير مما كانت عليه أيام فخر خلفاء الاسلام عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠ — ٣٥٠ هـ / ٩١٢ — ٩٦١ م) فقد كانت جيوش المنصور تغزو مرتين فى العام وتعود الى قرطبة محملة بالسلب والمغانم ، ولكن المنصور محمد بن أبى عامر لم يذل الأعداء فحسب بل أذل الأهل وقسا عليهم ، فقد نشأ فى ضيعة وظل يدفع الناس بالمناكب حتى قبض على دفة الحكم فى الأندلس ، وملكه الخوف على ما بيده فما زال بالأحرار وأصحاب الحق من أهل البيت المروانى حتى لم يبق فى الأندلس سواه ، وملأ القلوب أحقادا ، وألقى البغضاء فى قلوب الناس وقسم جيش الدولة قسمين متعاديين . فما أن توفاه الله سنة ١٠٠٣ ميلادية حتى قامت الفتنة ولم تقعد قط . ودخلنا فى عصر الطوائف الأسيف ، وانفرط عقد الوحدة وانتثر النظام وصارت الأندلس قطعا وشظايا وحطاما تسمى ممالك ، وتربع على حكومتها رجال ممن تربوا فى مدرسة ابن أبى عامر ، فلم يعرفوا إلا الأنانية والبغضاء ، وانتهز الفرصة ملوك النصارى فى الشمال فأقبلوا يأخذون بثأرهم ، وجعلوا يسقون الأندلسيين من نفس الكأس التى سقاهم منها المنصور .

وفى يوم أسود من أيام سنة ١٠٨٥ م استولى ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون على طليطلة دون أن يسل سيفا ، بل أخذها أخذا وأهلها ينظرون لأن أميرها المسلم وهو المأمون بن ذى النون مهد الطريق لضياعها ، وكانت ولاية طليطلة ربع مساحة الأندلس الإسلامى وكانت تمتد من وادى ناجه الى مشارف الوادى الكبير وهو نهر قرطبة واشبيلية ، وفتح ملوك الطوائف عيونهم فإذا بمملكة

قتلوه في مجمل مظالمهم، وقتلوا به حيث تلتقي النهايات!

كان يتنفس الشعر، ولكنه قصير النفس متحول الروح!

فقشتالة التي كانت بالأمس لا شيء أصبحت اليوم كل شيء، فقسمتهم جميعا وأطلت عليهم بفرسانها تطالبهم أن يؤدوا لها الجزية صاغرين، وصاغرين أدوا لها الجزية، وملك الناس الورع واشتد بهم الفزع وتحولت مأساة الأندلس إلى داء عضال لا شفاء له قط.

في بلاط المعتمد

في ذلك العصر الحافل بالأشجان والمآسي عاش أبو بكر بن عمار في بلاط ملك صغير من ملوك الطوائف هو المعتمد ابن عباد، وأقول صغير لأنه كان بالفعل أميرا صغيرا لا يملك من الجند إلا بضع مئات من الفرسان يضرب بهم على جيرانه من المسلمين، ولا يجرؤ على أن يواجه ملك قشتالة في معركة، إنما كان يبعث إليه بالجزية صاغرا، ولهذا المعتمد صوت بعيد في التاريخ الأندلسي لأنه على خصاصة حاله وقلة ماله كان يظهر بمظهر الملوك ويتحلى أمام الناس بمظاهر من الترف كاذب مسروق، وكان شاعرا على علاته، يصيب مرة ويخيب مرات، ولم يجد شعره إلا بعد أن خلعه المرابطون عن ملكه التعيس ونفوه إلى أغمات جنوبي مراكش، فمضى يبكي نفسه ويرثي حاله في شعر صادق حقا حتى وافته المنية.

من الفقر إلى العبث

عرف أبو بكر بن عمار واسمه الكامل محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري محمد بن عباد في مطالع شبابه، وأصله من قرية من قرى شلب في البرتغال الحالية تسمى شنبوس، ونشأ كما يقول مترجمه أبو محمد بن قاسم الشلبي خاملا يتنجع بشعره، ويطوف على ملوك الطوائف في عصره، وكان يقصدهم على سبيل الكدية والتسول فربما عهدوا إليه في تعليم أولادهم، ومن بين من قصدهم عبد الرحمن بن طاهر صاحب مرسية، فكان يجلسه في دهليز داره ويرسل إليه الغلمان ليقرئهم القاء دريهمات.

وبعد أن طوف ابن عمار بنواحي الأندلس عاد إلى شلب خاوي الوفاض خائب المسعى، وعاش في خمول غير مدرك أن حظه في سبيله إليه، فما هو إلا قليل حتى أرسل المعتضد بن عباد ابنه وولي عهده محمد المعتمد إلى شلب في بعض شأنه، فلم يكذب ابن عمار أن سارع إليه، وخف على نفسه لأول لقائه إياه، ووجد محمد بن عباد في هذا الشاب الفقير أنيسا في ذلك البلد، ثم نقله إلى إشبيلية، ومضى الفتيان يتقارضان الشعر حتى أصبحا تربين حميمين، وتحدثت هناك ابن عمار وتحدى النفس الطبيعة وجرى المال في يديه، وكان في المعتمد ميل إلى العبث فوجد في ابن عمار خير معين على ما طلبه، وصار ابن عمار نديمه ونديمه حتى لقد غاب عنه ليلة فكتب إليه:

قد زارنا النرجس الذكي
وحان من يومنا العشي
ونحن في مجلس أنيق
وقد عطشنا وثم ري
ولي خليل غدا سميي
يا ليته ساعد السمي

فأسرع إليه ابن عمار وقال على نفس الروي:

لبيك، لبيك من مناد
له الندى الرحب والندي
ها أنا بالباب عبد قن
قبلته وجهك السني
شرفته والداه باسم
شرفته أنت والنبي

الصعود للقمة

ثم توفي المعتضد بن عباد سنة ٤٦١ هـ، وخلفه ابنه محمد وتلقب بالمعتمد، فأخذ معه صاحبه ابن عمار وجعله وزيره ثم ثنى له الوزارة فأصبح المؤدب الفقير يلقب بذي الوزارتين، وغدا صاحب رأيه لا يصدر شيء منه إلا عن أمره.

ولكن ابن عمار كان كافرا بالنعمة لا يعرف شكر الجميل، وهو من يوم صار صاحبه أميرا أصبح يفكر في أن يكون هو أميرا أيضا على أي بلد من بلاد صاحبه، وكانت الإمارة قد هانت في ذلك العصر حتى تقلدها في تلك الأندلس القاصي صعاليك حقا، وكان ابن عمار يستطيع أن يصل إلى ما يريد دون حاجة إلى غدر ولكن الله خلقه خليا من كل خلق، عاريا من كل خلة طيبة، فكان يجالس صاحبه وينادمه وهو يتحين الفرصة ليسلبه شيئا، وكأنه كان يحس أن صاحبه يطلع على ذات نفسه، فقال ذات مرة أنه عارف أنه سيموت على يديه.

وجعل ابن عمار يزين المعتمد أمر الاستيلاء على مرسية من يد صاحبها أبي عبد الرحمن بن طاهر، وكان مترسلا بليغا، وكان ابن عمار قد عرفه وأدب ولده واطلع على حاله، فما زال يزين للمعتمد أمر الاستيلاء على مرسية حتى استجاب لرأيه وأرسله على رأس قوة من الفرسان استولت على البلد بمداخلة نفر من أهلها، وأصبح ابن عمار نائبا عن المعتمد.

وما كاد ابن عمار يصل إلى هذه الإمارة حتى بدا يدبر الأمر للانفصال عن صاحبه وسيده، واتخذ هيأة الأمراء، وصار يخاطب المعتمد مخاطبة الند للند ولبس ملابس الإمراء واتخذ الفرسان يستدعين يوم على حاله من بينهم رجل يسمى عبد الرحمن بن رشيق، فاستوزره وفوض له أمره.

الهروب للصديق

وكان الذي يسر أمر مرسية لابن عمار هو صاحبه هذا عبد الرحمن بن رشيق، وكان في الخيانة صنو ابن عمار، فما زال يعزل رجال ابن عمار عن الحصون واحدا في إثر واحد حتى جاء يوم اكتشف ابن عمار أن الرجل قد أحاط به واستولى على البلد من يده، لأن رجال الحصون كلهم ورؤساء الجند جميعا كانوا قد أصبحوا

من رجال ابن رشيق . وكان المعتمد يرى خيانة ابن عمار ويحاول ان يستعيد صدقه واخلاصه فكتب اليه مرة :

تخير لنفسي من تخير حارث
ورب خليل غيرته الحوادث
أحارث إن سوركت فيه فطالما
نعمتما وما بيني وبينك ثالث

فكتب اليه ابن عمار وهو يعلم انه كاذب في كل ما كتبه :

لك المثل الاعلى ، وما انا حارث
ولا انا ممن غيرته الحوادث
ولا شاركتك الشمس في وانه
لمثلي بحظي منك ثان وثالث
فديتك ، ما للبشر لم يبد برقه
ولا فتحت تلك السجايا الدمائث
أهز الذي يمضي وبينك ذهبيت
حلاوته على الرجال الاخابث
ولكن تلون ساعدتها نمائم
كما ساعدت صوت المثاني المثالث

وختم قصيدته بقول :

ستذكرني إن بان حبلي واصبحت
لدي بكفك الحبل الذنائب
وتطلبني إن غاب للرأي حاضر
وقد غاب مني للخواطر باعث
اعود معيدا لحفظه لك ان اسرى
بحبل غيراه العاقدات النوافث

وعندما احس ابن عمار انه اصبح بلا سند في مرسية وان ابن رشيق غدره خرج منها هاربا ، ومر في طريقه ببلنسية وفيها صاحبها ابو بكر بن عبد العزيز اميرا ، وكان ابن عمار قد تنكر له ايام امارته على مرسية ، فلم يحفل له ابن عبد العزيز واخرج للقائه رجلا استجهله فكتب اليه :

تفاهمتم في ذرنا لنو سحنتم
بوجه صديق في اللقاء وسيم
وسلسلتم راح المشاشة بيننا
لو انكم ساهمتم بنديم

ثمن الشاعر

ساتلمس العيد الجميل عن العلا
واحتال للفضل احتيال كريم

وذهب ابن عمار الى ابن الفونش - اي الفونسو السادس صاحب قشتالة يطلب منه عونا على ابن رشيق ، فسخر منه الفونسو وقال له : يا ابن عمار : مثلك مثل السارق ، سرق المرقة فضيعها حتى سرقت منه !..

فتركه ومضى الى لاردة من مدن شمال شرق الاندلس يطلب عون صاحبها المظفر حسام الدولة بن سليمان المستعين بن هود ، فلم يلق منه اقبالا ، فخرج عنها وبكى نفسه بقصيدة مطلعها :

علي ، وإلا ما بكاء الغمائم
وفي ، وإلا ما نياح الحمائم

واقام الى جواره في جمول . وكان المعتمد ابن عباد قد طلب ابن عمار ووعد من يأتيه به بمكافأة سخية .

واتفق ان ثار على المؤتمن بن هود بعض رجاله ، واشترى باحد حصونه ، فطلب له ابن عمار استنزاله ووثق في ذلك منه المؤتمن وخاطب في امره المعتمد فرضي عنه بعض الرضى ، او لعله تظاهر بذلك .

وعندما وصلت اليه الاخبار عن ابن عمار بخيانة لجنته ، وثقة المؤتمن ... ابيه ... فتكلف عن نفسه عجز من عندوى وكتب الخيانة قد اتت على رؤسه الاندلس جميعا ، فسعى هذان العمدان في بيع الحصن لمن يدفع اغلى ثمن من رؤساء الاندلس ، فسارع ابن عمار ووعد المؤتمن بن هود بان يخدع العمدين ويأخذ الحصن له .

وسار بالفعل مع نفر من الفرسان ، وكان مصعد الحصن ضيقة ، فصعد ابن عمار ومد احد العمدين يده توبعه ، ثم اغلق الباب وصرف الفرسان ، وارسل للمعتمد ابن عباد يبلغه خبر حصول ابن عمار في يده . وسأله ان يرسل له الثمن ليسلم اليه الشاعر التعيس .

رحلة السقوط

وارسل المعتمد ابنه الراضي مع الفدية الى شقورة فقبض العمدان الفدية وسلما ابن عمار ، فحمل على بغل او حمار ، ومضى به الراضي الى اشبيلية والمسكين مدلى على البغل وراسه الى اسفل ورجلاه في الناحية الاخرى . وعلى هذه الحالة استطاع هذا الشاعر الموهوب الملعون ان يقول شعرا جميلا !

قالوا : اتى الراضي ، فقلت لعلها
طلعت عليه من صفات ابيه
قال جرى ، فمضى المؤيد واصفا
اسرى عن رضاه ومن لمعاني اخيه
قالوا : نعم ، فوضعت خدي في الثرى
شكرا له ، وتيمنا بسميه
يا ايها الراضي ، وإن لم تلقني
من صفحة الراضي بما ادريه
هبك احتجبت لوجه عذر بين
بذل الشفاعة اي عذر فيه ؟
سهل على يدك الكريمة احرقا
في من اسرت فتنثني تفديه

وقال يخاطب ولدا آخر من اولاد المعتمد يسمى الفتح يستشفع به :

بيد من المأمون اوثق عصمة
لو ان اسري في يد المأمون
اسري الى علك المنية اسره
وكفاه من فوق ، كفاه ، ودون
يا فتح جردها عناية فارس
يريد على نصر الوالي امين

وكتب الى ابن ثالث من ابناء المعتمد يسمى الرشيد :

قل لبرق الغمام : ظاهر بريدي
قاصدا بالسلام قصر الرشيد
اتقلب في جحود كفؤادي
وتقلد في محنته كالفريد
وانتحب في سلاسل الرعد تحكي
تحنيني في سلاسلي وقيودي
فاذا ، ما احتلالك او قال : ماذا
قلت إني رسول بعض العبيد
بعض من ابعدته عنك الليالي
فاحتمني طاعة المحب البعيد

وعندما اقترب من اشبيلية واحس قرب منيته كتب الى المعتمد يستعطفه :

سجاياك ـ إن عافيت ـ اندى واسمح
وعذرك ـ إن عاقبت ـ اجلى واوضح
وإن كان بين الخطتين مزية
فانت الى الادنى من الله اجنح
حنانيك في اخذي برأيك لا تطع
وشاتي ، ولو قهوا علي وافصحوا

وهي طويلة ختمها بقوله :

نعم ، لي ذنب ، غير ان لحلمه
صفاة يزل الذنب عنها فيصفح
سلام عليه كيف دار به الهوى

• محنوا به إلى إشبيلية
شوق بغل ورأسه مدلى إلى أسفل

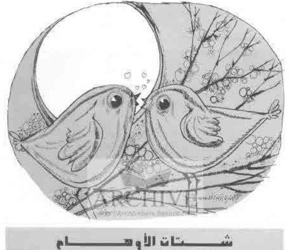
إلى قيدبو .. أو على قشتـــرج
ويهيبه إلى صمت السلو فاصتفى
أموت وبي شوق إليه مبرح

نهاية الموهوب الملعون

وقرأ المعتمد ذلك كله وعرف أن صاحبه في ذلك كذاب فأودعه السجن، وفكر في أمره ليالياً، ثم بدا له أن يطلق سراحه. وبلغ الأمر ابن عمار في سجنه، فما أسرع ما تحركت الخيانة في نفسه، فطلب ورقتين، وكتب بالخبر إلى بعض أصحابه. وبلغ الأمر المعتمد، فعرف أن ابن عمار لا يزال يلعب بذيله. فقال ليلة واحدة والغضب ملء جوانحه، حتى إذا انتصف الليل قام من فوره فأخذ طبرزينا ودخل عليه، فزحف كما كان في قيوده إلى تقبيل رجليه، فضربه حتى خر له فأجهز عليه!

وهكذا انتهت حياة ذلك الشاعر الموهوب الملعون!

د. حسين مؤنس



شتات الأوهام

شعر : عبد الله جابر

جئتك من نعمى وحنين دائمي
وهمت في سنا قلبك فكري
الغنى كل احتمالي عذابا
اغثني لم اسرف في وصالي

سقيتك من هوى ملء الحياة
وما قربت الى شط النجاة
وتحرق في شجون الذكريات
فإني قد سئمت من الأناة

• • •

بك الأيام كانت في خيالي
وتحبو فوق أحلام سراع
كأنك في صدى الأوهام همس
بحبك قد ملكت شباب عمري

تمر على ثوان باسمات
سبحت بها خيال الأمنيات
أعاد إلى بعضا من ضلالي
وما أبقيت شيئا من حياتي

• • •

جئتك من دموعي في المآقي
فهل أبكي وأنت تبيح هجري
وإني لست أطلب منك عمرا
فلا الأحلام تسكن نار حزني
وبعدك فجر أيامي ليالي

وحبك في الفؤاد لظاه باقي
والقى بين نيران احتراقي
قليل منه من يوم الفراق
ولا الآلام تهدأ باشتياقي
يضيء ظلامها نور التلاقي



قبرص

جزيــرة الأحــلام والأحــزان

إنهم يتحسرون بحب عميق للعرب والسائح العربي لا يشعر بأدنى غربة هناك

مطار لارناكا .. يستقبل زواره بمبناه المتواضع وساحته الصغيرة ، ووجوه رجال المطار يستقبلون زواره بابتسامة عريضة ترحب بكل قادم ، أيا كانت جنسيته ، يسهلون لهم المرور .. ومكتب صغير يقوم بحجز الفنادق لطالبها ، وفنادق قبرص دائما مشغولة فمنذ ان احترقت لبنان بنار الطوائف ، واحترقت جبال الزيتون بنار الحقد والانتقام رحل عنها زوارها من العرب والأجانب وهجروها محبوها ، ويمموا وجهة قبرص عسى ان يجدوا فيها الروشة الضائعة ، او ليالي بيروت الساهرة او سواحلها الزاخرة بمصطافين من شتى البلاد ، وعلى شواطيء قبرص يلقون بانفسهم في المياه الدافئة ، تدغدغ حواسهم ، وتلعب بعواطفهم ، وتنسيهم مشقة حياتهم !

وتحرص السلطات القبرصية على ان يرى السائح في جزيرة قبرص جزيرة حب واحلام ، تغريه بالقاء نفسه في احضان البحر ، وعلى شواطيء لارناكا وليماسول وفاوبولوس ترى سحر الطبيعة ومرح الشباب .. وبالرغم من تواضع شواطيء قبرص اذا ما قورنت بشواطيء الاسكندرية او اليونان او فرنسا الا ان القبارصة اليونانيين يحاولون ان يقدموا كل التسهيلات الممكنة للسائح ، وباسعار تقل كثيرا عن مثيلاتها في اوربا .

والانسان العربي لا يشعر بالغربة كثيرا في قبرص ، فكثير من اللبنانيين

قبرص
جزيرة الأحلام والأحزان



اللغة العربية على ألسنة القبارصة

اتخذوا من قبرص وطنا ثانيا لهم، ويسمع اللغة العربية طوال تجواله وترحاله لا من العرب السواح فحسب بل من القبارصة انفسهم، فكثير منهم ولدوا وعاشوا في الاسكندرية ومازالوا يشعرون بالحنين إلى العودة لبلاد النيل والسواح العرب لايبتغون في قبرص إلا البعد عن متاعب الحياة.

جنة شكسبير

شرقيون وليس فيهم خجل الشرق، أوربيون وليس فيهم إباحية الغرب المطلقة، وعلى شواطىء قبرص يشعر الانسان وكأنه على شواطىء لبنان أو الاسكندرية أو المغرب، فالشواطىء مزدحمة بباعة اللب والفول السوداني، وباعة الآيس كريم، والذين يشوون الذرة!

وقبرص التي اتحدث عنها هي الجانب اليوناني من الجزيرة، فالشواطىء خاصة بروادها والاجانب في قبرص أكثر من اليونانيين القبارصة، والجزيرة تعد نفسها لاستقبال حركة السياحة التي تضاعفت في الاعوام الاخيرة فتشهد موانىء قبرص التي سحرت شكسبير حين زارها وتغنى بها طوال حياته.. كلها تشهد حركة عمرانية ضخمة وكأنها تسحب البساط من لبنان، حتى اذا استعاد لبنان اتزانه السياسي والعقلي، واسترد وجهه الجميل الضائع وجد رواده قد هجروه ويمموا الى قبرص.

يشعر المرء ببساطة اليونانيين القبارصة وحبهم للاجانب وكرمهم البالغ وحسن استقبالهم لضيوفهم.

ولقد اكتسب القبارصة اليونانيون كثيرا من العادات المصرية فلقد ظلت بلادهم تابعة لمصر طوال الحكم الفرعوني، ثم إبان حكم المقدونيين للاسكندرية واستولى عليها الرومان، وأصبحت تحت السيطرة البحرية العربية، ثم أصبحت جزءا من ممتلكات الامبراطورية العثمانية حتى سقطت تحت الاحتلال البريطاني، ولم تهدأ قبرص بحريتها قط منذ أن عرفت الجزيرة طريقها إلى التاريخ.

وهم يشعرون بحب عميق للعرب، ويعشقون زعيمهم الراحل الأسقف مكاريوس والذي تحول بعد وفاته الى شبه أسطورة، ترى صورته في الميادين، وفي الشوارع على صدور كل الناس، وإذا ما ذكر اسمه جاشت نفوسهم بعلامات الحب والوفاء..

ويبدو الموقف الآن وكأنه استقر نهائيا، وبدأت الحياة تطمر أحزان الماضي، واتسعت المباني في الجزيرة واستغلت أراضيها الشاسعة بالنسبة لعدد سكانها الذي لا يتجاوز ستمائة ألف مواطن منهم تسعون ألف تركي على حد قولهم.





اللغة العربية

وليس من السهل أن يندمج القطاع التركي من جديد إلى القطاع اليوناني حتى لا يفقد الاتراك حكم انفسهم بأنفسهم!

والجزيرة وإن لم تقسم رسميا الا انها مقسمة فعليا ويفصل بين الجانبين خط أخضر تحرسه قوات الأمم المتحدة وعلى طول الطريق السريعة بين مدن قبرص والتي يمكن للانسان أن يسافر من أقصاها الى أدناها في ثلاث ساعات بالسيارة ترى لافتات تشير الى الحدود التركية ويعسكر رجال الحرس الوطني اليوناني ورجال الأمم المتحدة بالقرب منها..

- الحياة فى المرتفعات تحوطها خضرة الغابات ولفحات الهواء البارد
- الفلاح يعيش فى مستوى مرتفع بالرغم من موجة التضخم الحادة !





وحياة القبارصة اليونانيين تعتمد على الزراعة التى تعتمد بدورها على الأمطار والمياه المندفعة من الجبال .. وهم يقومون أيضا بالرعى ويتقنون الأعمال الخشبية والجلدية ..

وقد فوجئنا بالسائق الذى حملنا إلى جبال ترودوس ، وهو يتحدث اللغة العربية بطلاقة .. وحين تساءلنا أين تعلم العربية ، قال إنه ولد فى الإسكندرية وإنه مازال يحلم بالعودة إليها !

عادات شرقية

سرقت الطبيعة الخلابة انتباهى من حديث السائق ، فقد جذبت الطبيعة بخيراتها ، ويرى المرء أشجار الفاكهة والتفاح والعنب والتين قد تفجرت بثمراتها ، والفلاحات يقفن على رأس الطريق يعرضن فاكهة لم تجف بعد مياه الترية منها ، ويحملن معهن أوعية مملوءة بالعسل الأبيض ، بمختلف ألوانه !

والحياة فى المرتفعات تغلفها خضرة الغابات ، وتنعش روادها لفحة الهواء البارد .. ولقد عرفت كثير من الأسر القطرية والخليجية الطريق إلى جبال ترودوس فى قبرص ، فالقبارصة يتميزون بطيبة يفتقر لها أبناء أوربا ، والهدوء البعيد عن ضوضاء المدينة يعطى الإنسان فرصة نادرة لتسترخى أعصابه .. ويستطيع الإنسان بسهولة أن ينفذ إلى قلوب الأسر القبارصة ، ويحادثهم الحديث ويتقبل الزيارات الودية معهم ..

وفى إحدى قرى جبال ترودوس فى قرية بلاتريس ، أجمل قرى قبرص على الإطلاق ، تعرض السوق مشغولات أنيقة .. أعمال التطريز المشهورة فى قبرص .. ويجد السائح متعة كبيرة فى أن يساوم بائعاتها ..

ولا يقطع هدوء القرية الرائدة فى أحضان الغابة إلا ضحكات السواح وصرخاتهم المرحة فى مداعبات بريئة مع سكان القرية ..

وعلى المنحدرات الجبلية ترقد مطاعم صغيرة وأماكن للاستجمام تماما كما فى جبال لبنان أو فى بلودان بسوريا وتجتمع الأسرة مرة كل أسبوع فى أحد هذه المطاعم ، وقد رأيت أسرة بأجيالها الثلاثة أحضروا معهم أنواعا متعددة من الطعام .. ويشوى الرجل اللحم فى أسياخ ضخمة ، ولا تشعر أن هناك فرقا كبيرا بين العرب وبينهم فهم يدخنون النرجيلة ، ويتلذذون بالقهوة ، ويلعبون الطاولة بنفس اسمها المعروف فى مقاهى مصر وسوريا .. ومازالت حمية الشرف والدفاع عنه تتصدر عاداتهم ، والأخذ بالثأر شىء مألوف فى القرى القبرصية !

حقل الألغام

ويحاول القبارصة اليونانيون أن يستغلوا المساحات الخالية ويستصلحوها للزراع ويقيمون فيها المساكن الحديثة

ومستوى الفلاح القبرصى مستوى لا يطمح له كثير من مستوى مزارعى الدول النامية .. فالفلاح فى قبرص غالبا ما يملك سيارة وجرارا زراعيا ، ومستواه المعيشى مستوى مرتفع بالرغم من موجة التضخم الحادة التى تشمل البلاد النامية ..

أما الصناعة القبرصية وإن كانت محدودة إلا أنها بدأت تخرج من النطاق المحلى إلى النطاق العالمى ، وخاصة صناعة الإسمنت القبرصى الذى أثبت جودة عالية ويصدر جزء كبير منه إلى سوريا والعراق وليبيا ومصر ..

والمنسوجات القطنية والصوفية وأعمال التطريز بدأت تظهر فى الأسواق العالمية وعليها كتب « صنع فى قبرص » بالإضافة إلى اشتهارهم بأعمال الأثاثات الخشبية والمشغولات اليدوية ، ويقال أن درع « أخا ممنون » بطل الإلياذة كان مصنوعا فى قبرص ، وأن السيف الذى كان يتمنطق به الإسكندر الأكبر كان صناعة قبرصية ..

ولم تنس قبرص أن تقيم متحفا لفنونها الشعبية فى التطريز يشهد بمدى مهارة اليد الفنية القبرصية ومدى تمتعها بخيال خصب مشوب بروح مرحة ..

والحكومة القبرصية كما يبدو تضع أملها فى تطوير السياحة ببلادها فتقدم كل التسهيلات الممكنة للسائح ، وربطت شبكة اتصالاتها الهاتفية مباشرة بشبكة أوربا مما يسهل لأصحاب العمل اتخاذ أعمالهم وللسائح إخطار أهله وأسرته بمكانه أو الاستنجاد بهم إن الغربة طبيعة قبرص يلتقى كل ما يملك !

وقد حاولت الدخول إلى القطاع التركى من الجانب اليونانى فلم أفلح ، ورفضت القوات الدولية أن تمدنى الجانب التركى ، وكان هناك حصارا على القطاع التركى حتى لا يدخله السواح واستدرت خائبا للقطاع اليونانى الهى بقية أيامى ، لأحاول فى المرة القادمة أن أتوجه مباشرة إلى القطاع التركى فى جزيرة قبرص ، لأستكمل كل جوانب الحياة فى جزيرة الأحلام والأحزان !

سيد على شعبان

المسابقة

حل مسابقة من . أين . ما العدد «٥٧»

من : الشاعر محمد اقبال
أين : افغانستان
ما : القلم

١ – لا .. لأن الشجرون متعادل الشحنة
٢ – إن كنت في كل الأمور معاتباً صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه
بشار بن برد
٣ – الذهب – النحاس – الطباشير
٤ – في القرن السابع الميلادي
٥ – عثمان بن عفان
٦ – ثاني أكسيد النتروجين
٧ – أمريكا
٨ – ١٩٥٨
٩ – ٤٠٠ كيلو متر
١٠ – عبد الرحمن عزام – عبد الخالق حسونة – محمود رياض – الشاذلي القليبي

من . أين . ما

● من :
صحابي جليل وصفه الرسول الأعظم بانه من اهل البيت اشفاقا لأن الاسلام هو الرباط الحقيقي فوق رابطة العرق او اللغة او اللون او البلد وان بني آدم في هذا الدين سواء لا فضل بينهم إلا بالتقوى . اسمه من كلمتين واثني عشر حرفا :
٤ – ٥ – ٨ – ١٠ – ١ – ٩ – ٥ ركاب الخيل
٦ – ٢ – ١١ – ٧ – ١٢ – ٣ الذي لدغته الافعى

● أين :
البلد الذي ولد فيه مؤذن الرسول الأعظم وكان عبدا لأحد كفار قريش ... يعذبه ... مثل المشركين ... واعتق ... اسم البلد من ستة احرف :
...
...

● ما :
... الوطنية ... الثقافية ... المعاصرة ... وحدة الأمة الإسلامية وتشتتها في شعوبيات متنافرة : اسمها من سبعة احرف :
١ – ٣ – ٧ – ٦ منسوب للذات العلية
٢ – ٦ – ١ – ٥ – ٤ مستسلم

الجواب الصحيح



١ – من الحكماء الشاعر العالم الفلكي المسلم صاحب الرباعيات المشهورة مولود في :
مصر – فارس – افغانستان – العراق – الهند .
٢ – بحر صغيرة يقع بين بحرين من البحار الآتية . ما هما :
البحر الأحمر – البحر الأبيض – البحر الأسود – بحر العرب – البحر الميت – بحر عمان
٣ – أول من الغى نظام الخلافة الإسلامية في العصر الحديث بتحريض من أعداء الإسلام هو :
نوري المجوني – كمال أتاتورك – ... زوج ابراهيلا
٤ – ثلاثة من الثمار الآتية تنتمي لعائلة نباتية واحدة . ما هي تلك العائلة :
المشمش – اللوز – البرقوق – المانجو – التفاح – البصل .
٥ – رفض تركي مناى للكويم عن الأب ... الميت والذكر ثم قاتله
٦ – اديسون مخترع المصباح الكهربائي من أصل :
أمريكي – روسي – الماني – يمني .
٧ – كانت قطر عند ظهور الإسلام جزءا من منطقة المشرق العربي يحكمها زعيم من تميم يسمى :
المنذر بن النعمان – المنذر بن ساوى – المنذر بن ماء السماء .
٨ – وقعت حادثة دنشواي في مصر والتي فيها قتل جنود الاحتلال البريطانيون جمعا من النساء والشيوخ والأطفال ظلما وعدوانا في سنة :
١٩٠٨ – ١٩١٩ – ١٩٢٠
٩ – الضابط الفرنسي الذي وقف على قبر صلاح الدين الايوبي في دمشق بعد الحرب العالمية الأولى وقال ها قد عدنا يا صلاح الدين كان اسمه :
اللنبي – غورو – كلارك – ويفل .
١٠ – يصنع الابنوس من مشتقات تقطير البترول .
هل هذه العبارة صحيحة علميا ؟!

نتيجة مسابقة شهر سبتمبر ١٩٨٠ العدد ٥٧

الفائزون في مسابقة شهر سبتمبر ١٩٨٠

● الجائزة الأولى مقدارها ٤٠٠ ريال والاشتراك لمدة ستة شهور : شعراوي حسن – السعودية .
● الجائزة الثانية مقدارها ٢٠٠ ريال والاشتراك لمدة ستة شهور : نبيل احمد حسن العلبي – سوريا .
● الجائزة الثالثة مقدارها ١٠٠ ريال والاشتراك لمدة ستة شهور : موسى مروان موسى – الامارات العربية .

الفائزون باشتراك لمدة عام :

١ – محمد العباس الحسين : السودان
٢ – السيد عبد اللطيف محمد : ج . م . ع
٣ – محمد طه : لبنان
٤ – منير وحيد : الكويت
٥ – عماد زهير الخيرودي : سوريا
٦ – حسين عبد الله صيام : السودان
٧ – عبد الغني محمود : الأردن
٨ – السلام نبيه البدراوي : ج . م . ع
٩ – عبد العزيز ابراهيم : الامارات العربية
١٠ – محمد معن مروان : الكويت
١١ – سماح حمدي الفقد : سوريا
١٢ – سمير عواد عطية : ج . م . ع

كلمات لها معنى

– الدنيا ملأى بما يكفي حاجاتنا لا بما يكفي جشعنا

«المهاتما غاندي»

– أن تعرف الأشياء على حقيقتها أفضل من أن يجذبك مظهرها

– الجهل ينبع عند الشباب ثلاثة : المال ، والعادات السيئة ، والحاجة

«فولتير»

– أنت تتعلم من أبويك الحب والضحك والمشي ولكن حين تبدأ القراءة تشعر وكأنك تعلمت الطيران

«هلن ميلر»

– ليس هناك قول يتصف بالبلاغة أكثر من القول الذي يعتمد على الحقيقة المجردة

– لماذا لا أسترحم ؟ إن كنت محكوما بحق فأنا أرتضي حكم الحق ، وإن كنت محكوما بباطل ، فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل

«سيد قطب»

– الخبرة ليست فيما يحدث لك وإنما فيما تفعله وتجد نفسك فيه

عبد القادر عيري
حلب – سوريا

العقول الفـارغة

● قال لقمان الحكيم : وقفت يوما أمام حقل من حقول القمح فاسترعى نظري سنابل تطاولت في خيلاء ، وسنابل أخرى رؤوسها نحو التراب وجلة

ولكم تعجبت حين تلمستها [illegible] الأولى فارغة والحبوب الشبه [illegible] القمح فقلت : [illegible] من العقول الفارغة من [illegible]

محمد [illegible]
حلب – سوريا

من هو الضــرير ؟

كان متسول جالسا في زاوية أحد الشوارع وكلبه الصغير قابع إلى جانبه ، وبالقرب منهما لافتة تحمل هذه الكلمات «اشفقوا على ضرير بائس»

ومر به عابر سبيل فألقى في قبعته قطعة نقد ثم انحنى قائلا :

– ألقيت قطعة ذات الخمسة فرنكات وها أنذا أسترجع ٤ فرنكات .. فقال المتسول :

– عفوا سيدي إنك تخطئ .. إن ما ألقيته في القبعة قطعة ذات الفرنك الواحد .. فرد الرجل :

– أنت هو المخادع .. تقول إنك أعمى ، فكيف عرفت ؟

– من قال لك ذلك ؟ الأعمى هو كلبي !!

رجب كافقدة جادين
كادوقلي – السودان

أضخم تلسكوب

يعتبر التلسكوب الموجود في مرصد مونت بالمارا بولاية كاليفورنيا أضخم تلسكوب انعكاسي في العالم ، حيث يبلغ قطر مرآة هذا التلسكوب مائتي بوصة ، أي حوالي سبعة عشر قدما ، وسمكها ٢١ بوصة والمرآة مصنوعة من زجاج البايركس وقد غطي بطبقة من الألمنيوم ويبلغ وزن المرآة ١٤٫٥ طنا . وقد واجهت بناء التلسكوب صعوبات عدة ، فقد ظل الزجاج المصهور بعد صبه عاما كاملا ليبرد داخل القالب ، كما تطلب العمل في صقل المرآة أحد عشر عاما ونصف عام . ثم ظهرت مشكلة نقل المرآة من مكان الصنع في مدينة كورننج – بولاية نيويورك إلى كاليفورنيا ، نظرا لحجمها وثقلها ، فاستعين على ذلك بصناعة عربة حديدية خاصة ، ويبلغ ارتفاع القبة التي يوجد بها التلسكوب ١٣٥ قدما ، وقطرها ١٣٧ قدما .

هذا وقد كلف التلسكوب ثمانية ملايين دولار واستغرق صنعه عشرين عاما .

هشام عبد الحميد الضمور
الأردن

كلام الحكماء

● سأل رجل أحد الحكماء قائلا : متى أتكلم ؟ قال الحكيم : إذا اشتهيت الصمت .. فقال : ومتى أصمت ؟ .. فرد الحكيم : إذا اشتهيت الكلام

● سئل أحد الحكماء : ممن تعلمت الحكمة ، فقال الحكيم : من الأعمى .. قالوا كيف ؟ قال : لأنه لا يضع قدمه على الأرض حتى يختبر الطريق بعصاه

● وقيل : إذا طرح أمر للمناقشة فالأحمق من يتكلم بدون تفكير .. والعاقل من يفكر ثم يتكلم .. والحكيم من يفكر ولا يتكلم

● وسئل حكيم عن سبب صمته ؟ فقال : أسمع فأعلم .. وأسكت فأسلم

● وقيل : إذا ندمت على السكوت مرة ندمت على الكلام مرات

● قال أحد الحكماء لابنه : يا بني خذ العلم من أفواه الرجال فإنهم يكتبون أحسن ما يسمعون .. ويحفظون أحسن ما يكتبون .. ويقولون أحسن ما يحفظون

● أجمع الحكماء على قول : رأس الحكمة الصمت

تغاني محمد عبد الله
مكة المكرمة

حاول أن تعرف ●●●



المدينة الوردية

مدينة صغيرة منحوتة في الصخر الوردي اللون تقع في احدى الدول العربية ـ وصفها شاعر انجليزي بقوله «المدينة الوردية الحمراء التي عمرها منتصف عمر الزمن» ـ وكانت في الاصل محطة للقوافل ـ المدخل الوحيد لها ممر ضيق متعرج يعرف بـ«السيق» بها آثار منحوتة في بعض المواقع ... متر

ما اسم هذه المدينة المنحوتة وفي أي الدول تقع ؟

●●●

برج إيفل في باريس هو أعلى برج حديدي في العالم ـ استغرق بناؤه حوالي عامين

في أي عام بني برج إيفل ؟ وما الاسم الكامل للمهندس الذي بناه ؟

حل مسابقة حاول أن تعرف العدد ٢٧٠ ●●

● اسم المدينة لاجوس عاصمة ● اسم الشاعر هيتريش هاينة نيجيريا .



الصورة الأولى

ـ اسماء الفائزين :

ولاء عبد الله احمد ـ عمان

الصورة الثانية :

المنير خليفة ـ تونس

علي عبد السلام ايوب ـ دمنهور



الأيام الخمسة

عدد الأيام في حياتنا خمسة وليست سبعة

● يوم مفقود ـ هو امسك الذي فاتك مع ما فرطت فيه .

● يوم مشهود ـ هو يومك الذي انت فيه فتزود فيه من الطاعات .

● يوم مورود ـ هو غدك لا تدري هل هو من أيامك أم لا ؟

● يوم موعود ـ هو اخر أيامك من الدنيا فاجعله نصب عينك

● يوم ممدود ـ هو آخرتك ، وهو يوم بلا انقضاء

سوزان غضوب خميس
الدوحة ـ قطر

جزاء الشهامة



حكي أن اعرابيا كان يسير في البادية فمر برجل جالس تحت شجرة يئن ويتوجع فترجل الاعرابي عن ظهر جواده ليستفسر عن أمر الرجل.. فتوسل اليه أن يركبه مكانه لاقرب قبيلة، فرق قلب الاعرابي ورفعه على ظهر الجواد وسار برأسه، وما هي إلا برهة حتى أطلق الرجل للجواد العنان وراح يسابق به الريح، فناداه الاعرابي بأعلى صوته: أيها الرجل.. اذا وصلت الى القبيلة فلا تذكر ما حدث لي معك لكي لا تقل الشهامة بين العرب.

سماعية محمد علي محمد
عدن – جمهورية اليمن الديموقراطية



فاز بالجائزة وقدرها ... القارئ عبد الله علي – دولة قطر



كاريكاتير وتعليق العدد «٧٥»







– الكتكوت لزميله: بالله اخرج بسرعة تقط الحب قبل ما يخرج الباقي ويعمل ازمة غذاء..
جوهرة صالح – الرياض – السعودية

– الكتكوت لزميله: لاتخرج فالعالم يعاني من ازمة غذاء..
حامد يوسف علي – أم درمان – السودان

الفرخ الأول للثاني: شو هالجو.. تعالي ترجع..
عبدو سالم سعيد – الدوحة – قطر

عبد الله الشيخي

وماذا عن الخيارات السهلة ؟

قرأت في عدد مضى من (الدوحة) الغراء ، المقال الشهري للأخ الدكتور محمد ابراهيم الشوش ، عن (المال العربي والخيارات الصعبة) وقد اعطى هذا الموضوع المهم والخطير حقه من الدرس والتحليل والمقارنات والمعالجة الموضوعية ، اقتصاداً وفكراً ووجوداً وقضية وتحديات ، في مواجهة القوى الشريرة المعادية لأماني امتنا العربية وقضاياها المصيرية العادلة ، وما يتوجب علينا في هذه المرحلة اتخاذه وفعله ، حيال هذه الثروات الطائلة التي نمتلكها كدول وقوى اقتصادية ومالية مؤثرة أو يجب أن تؤثر وتفعل ولا يكفي أن تتحول وتنقض فالمراد اعطاء نتيجة ايجابية تحقق دولياً مع العوامل المتربصين بنا الدوائر ، وبالتالي – وهذا الاهم – أن المال العربي كثروة ونفع وسيطرة ، يمكن أن يكون من قوة السلاح وامضى ، للدفاع عن قضايانا وبلوغ اهدافنا التي بين الأمم والشعوب الواعية .

وهنا ، اريد أن اتحدث عن (الخيارات السهلة) بالنسبة للأفراد ، الاثرياء منهم وغير الاثرياء ، هؤلاء الذين ينفقون ذات اليمين وذات الشمال في أوروبا ودول الغرب ، كلما قصدوه سياحة واصطيافاً أو اشتاء ، فتراهم في عواصم الغرب المختلفة ، يتدرجون في التبذير بـ (سهولة) الاختيار أو سهولة الاغراء أو محاولة اثبات (الوجود) المالي عن طريق هذا الاسراف في ما يلزم وما لا يلزم ، وبذلك تتدفق اموال العرب – عن طريق الافراد وهم كثر – الى جيوب الغرب فيأخذ ما يعطينا إياه ثمن النفط فارضاً الاسعار الخيالية على الحاجيات الاستهلاكية والكمالية وما اكثرها في التعداد وبذلك يكون هذا الغرب الظالم سبب التضخم المالي ، يدعيا في الوقت نفسه أن حكوماتنا النفطية هي التي تسبب التضخم بسبب رفع اسعار النفط في حين – كما قال وزير المالية والبترول القطري – تكون الشركات النفطية الاحتكارية في امريكا والدول الغربية بعامة هي سبب الارتفاع المباشر والمضاعف عندما تشتري الشركة المستوردة مثلاً البرميل بثلاثين دولاراً أو اكثر قليلاً وتبيعه بخمسين أو ستين دولاراً فتقوم قيامة الغرب وصحافة الغرب واجهزة اعلام الغرب تقوم كلها لتعلن أن العرب وبخاصة الدول المصدرة والمنتجة للنفط هي المسؤولة عن التضخم وعن الغلاء العالمي ، فاذا بالاسعار الاستهلاكية تضرب رقمها القياسي في محاولة سريعة من تلك الدول الصناعية الكبرى المستوردة للنفط لاستعادة ما دفعته ثمناً للنفط العالمي للحاجيات الاستهلاكية والسلع المختلفة ، ناهيك عن الانفاق العربي المذهل بـ (سهولة الاختيار) لا صعوبته ، في العواصم الاجنبية وناهيك ايضاً عما ينفقه المنفقون يجثون على موائد القمار وفي علب الليل واماكن اللهو والتباري الشنيع بين كبار الاغنياء العرب في مشتريات القصور والمقتنيات والآثار بحيث لو انفق هذا المال العربي – الفردي لشكل ثروات ضخمة يمكن أن تقدم اجل الخدمات والمشاريع وانشاء المباني والمعامل ومختلف حقول العمل والانتاج الجماعي بما يحقق هذا معنوياً ومادياً ايضاً لصاحب الثروة الحقيقية في غير معنى ، عندما تأخذ طريقها الصحيح في الاستثمار والاستغلال الجماعي ، في ظل وعي قومي وإرادة عازمة ومحاربة الاهواء بسلوكيهم حيث نرى كيف انهم يوشكون سلوكيات اموالنا – في بنوك ومصارف الغرب التي تأخذها بطريقة أو بأخرى ، ويزيد ذلك من تبذيرنا مصحح اقتصاد قوي ، ومن اسرافنا نجد انهم يحسبون الف حساب لكل قرش وكل فلس ينفقونه في امر من الامور سواء على صعيد (الدولة) أو الافراد ، مما يجعلنا نتمنى على انفسنا كافراد أن نوازن حقيقة ، بين ما يلزم للانفاق وما يلزم للتوفير ، وأن نوظف اموالنا في ما يجدي وليس في ما لا يجدي ، في الخدمات والانجازات الجماعية ، في أن تكون ظهير الدولة اقتصاداً وقوة مادية مؤازرة ، في أن نكف عن هذا البذخ والاسراف الطائلين ، والحديث الشريف يقول : (اخشوشنوا ، اخشوشنوا فإن النعم لا تدوم) .

لقد تحدث الدكتور الشوش عن الخيارات الصعبة وها نحن هنا ندعو الى ممارسة الخيارات السهلة ، في أن نعرف كيف نصون وننفق ونستغل ما يسمى بـ (العملة الصعبة) التي تتبخر من ايدينا بلا معنى ولا جدوى بمنتهى السهولة والعقوق بالواجب والتقيد بمتع الحياة الصغيرة في عواصم العالم ، بينما مصلحتنا كبيرة وماساتنا في خسارة اوطاننا واراضينا ونفوسنا كعرب نواجه التحدي الصهيوني – الاستعماري اكثر واكبر .

فهل نعقل ؟ هل نصحو ؟ هل نتعظ ؟

عبد الله الشيخي

طبعت بمطابع علي بن علي Ali Bin Ali Printing Press - Doha